محمـــود صـــلاح

فى بلاط صاحبة الجلالة

دار الشروق

فى بلاط صاحبة الجلالة

الطبعـــة الأولـــى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

إهـــــداء

إلـــى روح أبـــــى...

« محمــود »

مقـــدمة

لم ألتق بأمير الصحافة محمد التابعى إلا مرة واحدة فقط . . ولم يكن فى هذا اللقاء على قيد الحياة!

حدث ذلك فى بداية عملى فى بلاط صاحبة الجلالة فى جريدة «أخبار اليوم» فى منتصف السبعينيات ، عندما طلب منى الكاتب الكبير مصطفى أمين وكان يرأس تحرير «أخبار اليوم» فى ذلك الوقت بعد خروجه من السجن ـ أن أقوم بكتابة قصة صحفية عن وفاة أمير الصحافة محمد التابعى .

وكان اليوم يوم جمعة . . وكانت جرائد الصباح صدرت وهى تحمل خبرا قصيرا عن رحيل محمد التابعى . ولم أكن قد التقيت به أثناء حياته أبدا . لكنى بالطبع كنت أسمع عنه وأقرأ مقالاته الشهيرة فى «آخر ساعة» و«أخبار اليوم» وأعلم أنه مؤسس مجلة «آخر ساعة» و«أخبار اليوم» والتى أصدرها عام ١٩٣٤ . وبعد ذلك بسنوات اشتراهما الأخوان على ومصطفى أمين . لكن التابعى ظل يديرهما ثم يكتب فيها وفى «أخبار اليوم» الجريدة .

ولم أكن قد سمعت قبل ذلك عن أية خلافات قديمة بين التابعى ومصطفى وعلى أمين . وإن كنت فيما بعد ـ وبالتحديد فى نفس ذلك اليوم ـ عرفت أنه كانت توجد مثل هذه الخلافات خاصة فى السنوات الأخيرة قبل رحيل التابعى .

المهم . . أسرعت ومعى أحد مصورى «أخبار اليوم» إلى منزل الراحل محمد التابعى فى حى الزمالك . وهو البيت الذى عاش فيه معظم سنوات عمره . وهو نفس البيت الذى شهد فصولا مثيرة من حياة التابعى أمير الصحافة . فى هذا البيت كان التابعى يلتقى بكبار الساسة والشخصيات العامة التى لعبت أدوارا خطيرة فى تاريخ مصر فى فترة الثلاثينيات وما بعدهما . وفى هذا البيت حدثت فصول من

قصة التابعى وأسمهان . وشهد صالون هذا البيت سهرات حافلة أحيتها شخصيات فنية كبيرة مثل كوكب الشرق أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب موسيقار الأجيال .

ولم يكن التابعى أميرا للصحافة فقط . . بل كان أيضا أميرا للغرام . وحكاية غرامه مع أسمهان يعرفها الجميع . كما كانت له قصة حب رومانسية مع أم كلثوم نفسها . وكانت له على مدار سنوات مغامراته العاطفية خلال رحلاته الشهيرة إلى أوروبا والبلاد العربية . وقد أشار إلى بعض هذه المغامرات فى بعض مقالاته وبعض رسائله الخاصة إلى مصطفى أمين . واحتفظ برسائل وصور فوتوغرافية كثيرة لهذه المغامرات العاطفية دون أن يطلع عليها أحدا . لكنه قبل وفاته بفترة أعطى بعض هذه الصور إلى أنيس منصور . لكنه لم يخبره ماذا يفعل بهذه الأسرار العاطفية !

ولم يتزوج التابعى إلا مرة واحدة ! وأنجبت له زوجته السيدة هدى التابعى ولدا أسماه «محمد» . ولكن ابن التابعى كان حظه فى هذه الدنيا صعبا . فقد أصيب بعد طفولته بمرض وغادر الحياة وهو فى عز شبابه . وأنجبت السيدة هدى التابعى ابنة هى شريفة التابعى التى درست فى الجامعة الأمريكية . لكن ابنة أمير الصحافة لم تعمل فى الصحافة .

وأعود إلى يوم وفاة التابعى . . . ضغطت على جرس باب بيت التابعى . وبعد برهة انفتح الباب ووجدت نفسى أقف أمام سيدة ترتسم أمارات الحزن على وجهها .

وما أن أخبرتها أننى صحفى فى «أخبار اليوم» حتى فوجئت بها تصرخ فى وجهى فى انفعال . وقالت بصوت هستيرى : «اطلع بره» !

وكنت بالفعل «بره» لم أدخل البيت . بل أقف على عتبته !

وانطلقت السيدة هدى التابعى فى ثورة تكيل الشتائم إلى دار «أخبار اليوم» وإلى صاحبيها مصطفى وعلى أمين ، وإلى جميع الصحفيين الذين يعملون فى «أخبار اليوم» !

واستولى على الذهول . . وتسمرت فى مكانى وأنا لا أعرف سببا لثورة السيدة

هدى التابعى. وفى اللحظة التى قررت فيها أن أغادر مكانى. فوجئت بفتاة فى العشرينيات تأتى من داخل البيت على صوت صراخ هدى التابعى. وكانت هذه الفتاة شريفة ابنة التابعى.

وأخذت الفتاة شريفة التابعى تهدئ من روع والدتها. وأفهمتها أننى مجرد صحفى يؤدى عمله. ولا شأن لى بمسألة الخلاف الذى كان بين التابعى وبين «أخبار اليوم».

وهدأت السيدة هدى التابعى قليلا.. ودعتنى إلى دخول البيت وجلست أمامى والدموع فى عينيها تروى لى فى تأثر كيف أن التابعى عاش شهور وأيام مرضه الأخير وحيدا دون أن يفكر أحد من «أخبار اليوم» فى الاطمئنان عليه أو السؤال عنه.

وفجأة نهضت من مقعدها..

وقالت لى بانفعال: تعال.. لأريك.

ونهضت لأسير خلف أرملة التابعى إلى إحدى حجرات البيت وأنا لا أعرف ماذا تريد. وفتحت هدى التابعى إحدى الحجرات ـ وكانت حجرة نوم ـ وأشارت بيدها إلى فراش تغطيه ملاءة بيضاء. ويبدو واضحا أنه كان تحت الملاءة.. شىء!

وقالت وهى تبكى: هذا هو جثمان التابعى.. أمير الصحافة!

ولن أنسى ما حييت أبدا هذا المشهد..

والمهم أننى بعد أن عدت إلى دار «أخبار اليوم» جلست أكتب قصة رحيل محمد التابعى. ثم أعطيت القصة للأستاذ مصطفى أمين. وللأمانة فإنه أمر بنشر ما كتبته دون أن يحذف كلمة واحدة من القصة!

ومرت سنون..

وشاءت أقدارى أن أتولى مسئولية رئاسة تحرير مجلة «آخر ساعة» فى منتصف عام ١٩٩٨. وبعد أيام قليلة فوجئت بالسيدة هدى التابعى تتصل بى. وتبلغنى أنها مازالت تتذكرنى. وأنها سوف ترسل لى «بعض الأشياء» التى ربما تهمنى.

وأرسلت لى السيدة هدى التابعى هذه «الأشياء» التى كانت عبارة عن أكوام وأكوام من أوراق وكتابات محمد التابعى. بعضها كان قد تم نشره والبعض الآخر لم ينشر!

وعكفت على قراءة «أوراق التابعى».. ويوما بعد يوم كنت أشعر أننى عثرت على كنز لا يقدر من الأسرار والحكايات السياسية والفنية. التى تشهد على تاريخ مصر فى فترات مهمة وخطيرة من تاريخها.

وفكرت فى نشر بعض أوراق التابعى فى «آخر ساعة».. وكان أول ما فكرت فى نشره أوراقه أو مذكراته عن حادث ٤ فبراير الشهير. الذى أعقب معركة العلمين والتى هتف لها الملك فاروق ومعظم الأحزاب المصرية فى ذلك الوقت ما عدا حزب الوفد. فقام اللورد كيلرن المندوب السامى البريطانى بفرض مصطفى النحاس باشا على الملك بواسطة الدبابات البريطانية التى حاصرت قصر عابدين.

ولأننى وجدت أن محمد التابعى قد كتب فى مقدمة هذه المذكرات أنه كتبها بناء على طلب من الأستاذ محمد حسنين هيكل لنشرها فى جريدة «الأهرام» فقد حملت نسخة من هذه الأوراق إلى الأستاذ هيكل. وسألته: هل نشرت «الأهرام» هذه الأوراق؟

تصفح الأستاذ هيكل الأوراق.. ولاذ بالصمت.

فأعدت تكرار سؤالى عليه.

فقال الأستاذ هيكل إن «الأهرام» لم تنشر هذه الأوراق.

قلت له: لكن الأستاذ التابعى يذكر فى مقدمتها أنك طلبت منه كتابتها لنشرها فى «الأهرام».

تردد الأستاذ هيكل فى الإجابة برهة..

لكن أخيرا قال: الكل يعرف التابعى كان فى حياته مسرفا وقد تعود على نوع من حياة الترف. وكان يحدث أحيانا أن نتفق معه على كتابة بعض الموضوعات فقط لكى يحصل على عائدها. لكنى لا أتذكر أن«الأهرام» نشرت هذه المذكرات حول

حادث ٤ فبراير . وإن كان التابعى قد كتب أكثر من مرة حول هذا الحادث ولكن بأسلوب آخر .

سألت الأستاذ هيكل : هل ترى أن فى إمكانى نشر هذه الأوراق فى مجلة «آخر ساعة»؟

صمت برهة . .

ثم قال : هذا يرجع إليك .

وكنت قد حملت معى فى نفس الزيارة إلى الأستاذ هيكل بعض أوراق التابعى الأخرى . ومنها سيناريو فيلم كتبه التابعى باللغة الإنجليزية عن أسمهان .

وقد تحمس الأستاذ هيكل كثيرا لقصة أسمهان . وطلب منى مهلة لكى يقرأها ووعدنى بأنه يمكن أن يكتب مقدمة لهذه القصة إذا نشرتها فى «آخر ساعة» . لأنه - الأستاذ هيكل - لديه اهتمام بقصة التابعى وأسمهان .

وقد أعطيت الأستاذ هيكل - فى وقتها - نسخة من ذلك السيناريو . وظللت أنتظر - ومازلت - المقدمة التى وعدنى بكتابتها لهذه القصة .

وعلى الصفحات التالية الأوراق التى كتبها أمير الصحافة محمد التابعى عن حادث ٤ فبراير . وهى تبدأ بالمقدمة التى كتبها التابعى .

أوراق أمير الصحافة
عن حادث ٤ فبراير

الفصل الأول

التابعى.. والأبطال الخمسة!

طلب منى الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير «الأهرام» أن أكتب كل ما أعرفه عن حادث ٤ فبراير.

وقد رأيت أن أبدأ أولا بذكر الظروف التى عرفت فيها الشخصيات الرئيسة التى سوف يجيء ذكرها. فى هذه المقالات التى أكتبها لجريدة الأهرام. ولكن لا بترتيب مقامها أو أهمية الدور الذى قامت به فى حادث ٤ فبراير وإنما تبعا لتاريخ معرفتى بكل شخصية منها.

أما هذه الشخصيات فهى:

أحمد محمد حسنين باشا - يرحمه الله - وكنت اعتدت فى صيف عام ١٩٣٦ أن أمضى عطلة آخر الأسبوع فى رمل الإسكندرية.

وفى مساء أحد أيام شهر يونية من العام المذكور.. وبينما كنت جالسا فى عربة «البولمان».. شعرت بيد توضع على كتفى.. والتفت فإذا بى أرى رجلا أسمر الوجه نحيف القامة يقول لى: أنا أحمد حسنين..

وقد عرفته على الفور من صوره.

وبعد أن جلس قدم لى سيجارة وأخرج من جيب سترته ولاعة من الذهب وأشعل لى السيجارة.. ثم قال: إنه يقرأ كل ما أكتبه فى مجلة «روز اليوسف».. استطرد يقول: وأنت تعرف أن صاحب السمو الأمير فاروق قد عاد من لندن عقب وفاة والده المرحوم أحمد فؤاد.

وسكت قليلا قبل أن ينحنى ويقول :

الملك أحمد فؤاد كما تعرف لم يكن محبوبا من الشعب - ولكن فاروق يختلف عن أبيه فهو طيب القلب . . كما أنه وطنى لا شك فى حبه لمصر والمصريين - وهو بعد هذا وذاك يتكلم اللغة العربية بلهجة مصرية . . ولهذا فأنا أرجوك أن تقوم قدر ما تستطيع بالدعاية للأمير فاروق . . لأنه فى حاجة حقيقية لأن يدرك الشعب أنه يختلف عن أبيه . . وأن تذكره دائما بالخير وتشيد بما فيه من فضائل .

وثانى هذه الشخصيات هو المرحوم الدكتور على ماهر باشا .

وقد قدمنى إليه صديقان هما السيد سعد اللبان الذى كان من أنصارعلى ماهر . . والآخر كان سرى عمر بك السكرتير يومئذ بوزارة الخارجية . وقدمنى الاثنان إلى «معاليه» فى صيف عام ١٩٢٩ وكان على ماهر باشا يومئذ وزيرا للحقانية .

وكنت أزور على ماهر فى مسكنه بمحطة لوران برمل الإسكندرية طوال صيف ١٩٢٩ .

وكان حزب الوفد يومئذ يشن حملات عنيفة على محمد محمود باشا وعلى وزارته .

أما سبب زيارتى لوزير الحقانية فهو أن معاليه كان يسر لى بكل كبيرة وصغيرة من المناقشات التى كانت تدور فى مجلس الوزراء . . كما أنه كان يطلعنى على كثير من الأسرار وكان غرضه من هذا إحراج مركز وزارة محمد محمود .

وكنت أنشر فى «روز اليوسف» جميع هذه الأسرار . وكان القراء يعجبون كيف أمكننى الحصول عليها . .

أما محمد محمود باشا فكان يضرب كفا بكف . . ويثور غضبا ولكن لم يخطر ببال دولته أن الذى أذاع هذه الأسرار هو زميله وزير الحقانية .

* * *

وثالث هذه الشخصيات هو . . المرحوم السيد مكرم عبيد باشا . .

أما كيف عرفته . . فإن لها حكاية سوف أوجز فيها قدر ما أستطيع .

كانت هناك مجلة تصدر فى القاهرة واسمها «الكشكول» . . وكانت واسعة الانتشار . . وكان صاحبها هو سليمان فوزى ـ يرحمه الله ـ .

ولقد دأب منذ عام ١٩٢٥ ـ أى فى حياة المغفور له سعد زغلول باشا دأب هو وبعض محررى الكشكول ، ومنهم المرحومان محمد الهوارى والشيخ عبدالعزيز البشرى دأبوا على تجريح الزعماء الوفديين والطعن فى أعراض السيدات زوجاتهم .

ومن هؤلاء السيدات المرحومة صفية زغلول ـ أم المصريين كما كان لقبها يومئذ ـ وكذلك السيدة الكريمة أرملة المرحوم مكرم عبيد . .

وفى عام ١٩٢٧ بدأت حملة طعن وتجريح وتشهير بسليمان فوزى المذكور فى مجلة روز اليوسف ، ولكننى كنت أكتب دون أن تذكر المجلة اسمى لأننى كنت يومئذ موظفا فى قلم الترجمة بمجلس النواب .

هذا ، وقد سر مكرم عبيد لأنه وجد أخيرا من يجرؤ على مهاجمة صاحب الكشكول . وذات يوم طلب من أحد معارفه من موظفى مجلس النواب أن يدعونى لزيارته فى مكتبه لأن مكرم عبيد كان يشتغل يومئذ بالمحاماة ، هذا ، وكان جميع موظفى المجلس يعرفون أننى أنا الذى أشن حملة الطعن والتشهير ضد سليمان فوزى صاحب الكشكول . . وقابلت مكرم عبيد . . وأصبحنا صديقين .

* * *

ورابع الشخصيات هو المرحوم السيد مصطفى النحاس . كانت وزارة الوفد قد أقالها الملك أحمد فؤاد فى شهر يونية عام ١٩٢٨ ، وتولى رئاسة الوزراء محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، وهنا بدأت أن أشن على محمد محمود باشا . . لأن أول قرار كان أصدره بعد توليه رياسة مجلس الوزراء كان القرار الخاص بتعطيل العمل بأحكام الدستور لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . .

كما أنه استصدر من الملك فؤاد مرسوما ملكيا بحل مجلس النواب ، أعلن دولته كذلك أنه سوف يحكم مصر بيد من حديد . . وأن الحكم لا ينبغى أن يكون للشعب أو من أسماهم الغوغاء ـ وإنما يجب أن يكون للعناصر الرشيدة وأبناء البيوتات . .

وهنا وفى أحد أعداد «روز اليوسف» نشرت لمحمد محمود صورة كاريكاتيرية وفيها يرى القراء محمد محمود وهو يدوس بقدمه ورقة مكتوبا عليها «الدستور» . . وإلى جانب هذه الورقة رسم لامرأة ملقاة على الأرض بينما يداها وساقاها مكبلة بقيود من حديد . . ومكتوب على المرأة المذكورة «مصر» !

وأصدر محمد محمود باشا أمرًا بمصادرة عدد مجلة «روزاليوسف» .

ومرت بضعة أيام . . .

ووقف مصطفى النحاس باشا وألقى فى حشد كبير من الوفديين خطبة حمل فيها على محمد محمود . . وقال بين ما قاله إن رئيس الوزراء الجديد يصادر حرية الرأى وصحف الوفديين . . ويومئذ بدأت أتردد على النادى السعدى . وهناك قدمنى مكرم عبيد إلى مصطفى النحاس .

* * *

وخامس هذه الشخصيات وآخرهم هو : الملك فاروق بن أحمد فؤاد . .

كنت هويت رياضة «السكى» أى التزحلق منذ عام ١٩٣٦ ، وهناك كنت أسافر بطريق البحر إلى مرسيليا فى شهر نوفمبر من كل عام . . ومن مرسيليا بالقطار إلى جنيف ومن جنيف إلى زيورخ . . ومن هذه إلى سان موريتز . . حيث كنت أمضى نحو شهرين .

وبعد أن قامت الحرب العالمية الثانية وفى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ . . واستحال على السفر إلى أوروبا بدأت أسافر إلى لبنان .

وهكذا سافرت فى يوم السبت ٢٧ ديسمبر عام ١٩٤١ بطريق السكة الحديدية إلى القدس . . من القاهرة إلى القنطرة . . ومن القنطرة بقطار فلسطين إلى حيفا إذ لم يكن هناك يومئذ شىء اسمه «إسرائيل» .

ومن حيفا عبر الحدود بين فلسطين ولبنان ويسمونها الناقورة . . بالسيارة إلى بيروت . . ومن بيروت بسيارة تاكسى إلى جبل الأرز الذى تكسوه الثلوج طوال السنة .

وكنت أعود إلى القاهرة من نفس الطريق . . وقد عدت فى ٣٠ يناير عام ١٩٤٢

وبعد انتهاء الحرب . . كنت أسافر فى شهر نوفمبر من كل عام . . أعوام ١٩٤٦ و١٩٤٧ .

ثم انقطعت عن زيارة سان موريتز لأن صحتى لم تعد تحتمل الإقامة فيها بسبب ارتفاعها عن سطح البحر بنحو ١٧٠٠ متر .

***

وتوفى الملك أحمد فؤاد فى يوم ٢٦ مارس عام ١٩٣٦ . وكان ابنه وولى عهده يقيم يومئذ فى دار استأجروها خصيصا له وأسماها «كنرى هاوس» فى ضاحية «كنجسون» القريبة من لندن .

وكان معه حاشيته على رأسها المرحوم الفريق عزيز المصرى باشا . . ويليه أحمد حسنين الذى رتبته القائمقام . وعدا هؤلاء جميعا كان يوجد أيضا الدكتور عباس الكفراوى الطبيب الخاص لفاروق ، والسيد حسين حسنى سكرتير خاص فاروق .

ورأى حسنين باشا أن يتعلم فاروق الرقص فأحضر له سيدة إنجليزية لكى ترقص معه فى قاعة جلوس القصر كل مساء بعد تناول العشاء .

وذات مساء . . سمع عزيز المصرى باشا صوت دقات البيانو . . فنزل من غرفته ليرى ماذا هناك . .

وعندما رأى فاروق يرقص . . شخط فيه وأمره بالصعود فورا إلى غرفة نومه وقال :

ـ بدل ما تذاكر دروسك قاعد ترقص . . اطلع يا ولد . . اطلع أودتك نام . ثم التفت إلى أحمد حسنين . . تأنيبا وتقريعا شديدين !

وحفظها حسنين فى صدره . . وهكذا وفى صباح اليوم التالى بعث حسنين بخطاب إلى الملك أحمد فؤاد وقال فيه إن عزيز المصرى باشا يسب ويسىء معاملة صاحب السمو الملكى الأمير فاروق .

وكان أحمد فؤاد يحب ابنه حبا شديدا ومن ثم أمر باستدعاء عزيز المصرى من لندن .

***

وهنا أشعر بأننى أطلت الحديث فى هذه المقدمة . . ولكن سوف يرى القراء أن كل واحد من أفراد هذه الحاشية قد لعب دورا فى الأزمات التى قامت بين فاروق ومصطفى النحاس .

عقب وفاة الملك أحمد فؤاد تشكل مجلس للوصاية على فاروق . . وكان المجلس مكونا من صاحب السمو الملكى الأمير محمد على ولى العهد ومحمد شريف صبرى باشا خال فاروق وعبدالعزيز عزت باشا من أصهار الأسرة الملكية .

وفى شهر فبراير عام ١٩٣٧ . . رأى مجلس الوصاية أن يسافر الشاب النصف أمى فاروق إلى أوروبا لكى يطوف ببعض أقطارها ويلم بعادات وتقاليد شعوبها لعله يعوض بذلك ما فاته من الدراسة .

وكانت نازلى أم فاروق تريد هى أيضا السفر إلى بلدة فيشى فى فرنسا لأنها كانت تشكو من وجود حصوة كبيرة فى إحدى كليتيها .

***

وفى مساء يوم ٢٠ فبراير من نفس العام دخل فى مكتبى بجريدة «المصرى» محمود أبو الفتوح التى كنا نحن الاثنين ومعنا كريم ثابت نملكها ونصدرها .

ودخل يقول إن جلالة الملك سوف يسافر فى يوم ٢٧ وأنه لابد أن يسافر أحدنا معه لكى يوافى جريدة المصرى بأخبار الرحلة الملكية . . وخصوصا أن جريدة «الأهرام» سوف توفد مندوبا عنها هو مسيو فوشيه .

ثم قال : إن كريم ثابت مريض ولا يمكنه السهر فى الجريدة . . ولهذا فإنه محمود أبو الفتوح مضطراً لأن يبقى فى القاهرة للإشراف على تحرير الجريدة وصدورها . . ولم يبق إذاً إلا أن تسافر أنت . .

ورفضت فى بادئ الأمر أن أسافر . . لكنه ألح فى الطلب . . لكنى صممت على عدم السفر .

وأخيرا . . تركنى وذهب وتحدث بالتليفون مع أحمد حسنين لكى يقنعنى بالسفر . . وكان أبو الفتوح يعرف أننا صديقان .

***

وتحدث فعلا حسنين معى بالتليفون وذكرنى بوعدى له فى القطار . . وقال :

ـ وأنت يا فلان خير من يقوم بالدعاية «لمولانا» . . وسف أعطيك جميع الأخبار التى يمكنك أن تبعث بها إلى «المصرى» . .

وهكذا وبعد ظهر يوم ٢٧ فبراير سافرت بالقطار إلى بور سعيد . . وذهبت إلى الميناء حيث كانت ترسو الباخرة (تايش روى أوف أنديا) وكنت حجزت لى مقصورة صغيرة جداً لأن الباخرة كانت مزدحمة بالركاب القادمين من نيوزيلاندا ، وأستراليا والهند وسيلان . إلى آخره .

أبحرت بنا الباخرة فى مساء اليوم المذكور .

وكان فاروق يصحب معه أمه نازلى وشقيقاته الأربع : فوزية ، وفايزة ، وفايقة ، وفتحية التى تزوجت فيما بعد من رياض باشا غالى . وكان معه أيضًا خاله الآخر حسين صبرى باشا وزوجته السيدة زينب ذو الفقار كبيرة وصيفات نازلى ، وكريمتها الآنسة صافيناز ذو الفقار التى تزوجها فاروق فيما بعد وأصبح اسمها فريدة أو الملكة فريدة . .

* * *

وفى صباح اليوم الثانى وبينما كنت واقفا أتحدث مع حسنين باشا فى أحد صالونات الباخرة أقبل الملك فاروق وحيا حسنين .

والتفت حسنين إلىّ وأشار بيده أن أتقدم لكى يقدمونى إلى فاروق .

ولكن صاحب الجلالة أشاح بوجهه عنى وولانى ظهره . . وذلك لأنه كان يمقت أشد المقت الصحافة والصحفيين . . والذين كان يعتقد أن كلا منهما إنما هو جاسوس ورقيب عليه !

* * *

ووصلنا مرسيليا فى صباح يوم ٣ مارس . وجاء المرحوم على رشيد بك ـ الذى أصبح فيما بعد وفى عهد الثورة كبيرا للأمناء ـ جاء يبلغنا ـ فوشيه وأنا أن حسنين باشا يرجونا ألا نغضب ذلك لأن «مولانا» يرفض أن نستقل معه وأسرته وأفراد حاشيته القطار الخاص الذى أعد لهم لكى يركبوه من مرسيليا إلى سان موريتز .

وهكذا اضطررنا ـ أنا وفوشيه ـ إلى أن نستقل قطارا آخر لم تكن فيه عربة نوم . . أو عربة لتناول الطعام!

وأمضينا فى القطار نحو ثلاثين ساعة . . لم نذق فيها طعم النوم . .

وكان مسيو فوشيه ينزل فى المحطات التى يقف فيها القطار ويشترى طعاما لنا من الخبز والجبنة والسردين!

ووصلا سان موريتز فى صباح ٤ مارس . . وذهبنا إلى فندق «سوفريتا هاوس» حيث كان ينزل فاروق ومن معه ولحسن الحظ كنت حجزت لى غرفة فيه وملحق بها حمام خاص .

***

وصعدت فورا إلى غرفتى . . وبدأت أخلع ملابسى . . لكى أنام فقد كنت فى أشد حالات التعب والإرهاق .

وبينما أنا أهم بالاستلقاء فى فراشى . . دق باب الغرفة . . ثم دخل نائب مدير الفندق وقال لى وهو يعتذر :

ـ إن جلالة الملك فاروق قد طلب من إدارة الفندق أن تخرج منه جميع الصحفيين . . وهنا ـ وقد استبد بى الغيظ والغضب .

قلت :

ـ أرجو أن تقول لجلالة الملك إننى حقيقة من رعاياه . . ولكننى لست من عبيده . . لا تنس أننى أرسلت إليكم منذ عشرة أيام برقية أطلب فيها أن تحجزوا إلىّ غرفة ولها حمام خاص . . ومعى الآن برقيتكم التى تقولون فيها إنكم حجزتم لى فعلا الغرفة المطلوبة . . والآن أرجو أن تتركنى لأننى أريد أن أنام!

واعتذر الرجل مرة أخرى وخرج وأغلق وراءه الباب!

ونمت حتى المساء .

***

وبعدها ارتديت سترة أسموكن ونزلت . . وجلست أمام مائدة صغيرة فى القاعة الكبرى . . ولم يلبث أن حضر المرحوم محمود فخرى باشا الذى كان صهرا للملك أحمد فؤاد . . وكان يومئذ يتولى منصب وزير مصر المفوض فى فرنسا وفى سويسرا .

وحضر وجلس فى مقعد بجانبى وراح يحاول أن يهدئ من ثائرة غضبى لأنه كان عرف ما حدث . .

وهنا قلت لمعاليه :

ـ صدقنى يا معالى الباشا أننى أريد أن أغادر فورا الفندق بل وبلدة سان موريتز لولا أننى مضطر لأن أنتظر هنا وصول الحقيبة الكبيرة الموجود فيها معظم ملابسى والتى كنت عهدت إلى شركة «كوك» فى القاهرة بشحنها إلى سان موريتز .

ووقفت . . واعتذرت إلى معاليه . . وصعدت إلى غرفتى . . حيث طلبت أن يحضروا لى فيها طعام العشاء .

وبعد قليل دخل على السيد عبدالفتاح عسل الذى كان يومئذ قنصلا لمصر فى مدينة جنيف .

ودخل يحاول هو الآخر أن يهدئ من ثورة غضبى . . وقال بين ما قاله إن جلالة الملك لا يزال شابا حديث السن . . إلى آخره إلى آخره . .

أما أحمد حسنين باشا فلم يحاول أن يتصل بى أو يكلمنى فى هذا الموضوع ، وتلك كانت أخلاقه ـ رحمه الله ـ .

ومع أنه هو الذى كان كلمنى بالتليفون وأقنعنى بضرورة السفر معهم إلى سان موريتز .

***

ومر يومان . . وفى مساء اليوم الثالث . . . وبينما كنت جالسا وحدى فى أحد أركان القاعة الكبرى فى فندق سوفريتا هاوس . . جاء ياور فاروق المرحوم القائمقام عمر فتحى بك وسألنى لم لا أدخل قاعة الرقص حيث كان «مولانا» وأمه نازلى وسيدات الحاشية يرقصون .

واعتذرت عن عدم دخول القاعة المذكورة وقلت له :

- إنكم أشبه بأسرة واحدة . . وليس لغريب مثلى أن يقحم نفسه عليكم .

وصعدت إلى غرفتى . .

وعاد عمر فتحى وأبلغ فاروق ما قلته .

***

وفى مساء اليوم التالى . . وبينما كنت جالسا وحدى فى الركن أقبل اليوزباشى أحمد الطاهر ، وكان أحد ضباط الشرطة الذين أوفدتهم وزارة الداخلية لحراسة الملك فاروق .

أقبل يقول لى إن «مولانا» يطلب منك أن تأتى معى وتجلس مع الذين معه فى قاعة الرقص . ولكننى رجوته أن يبلغ مولانا أنه لم يجدنى . .

وصعدت إلى غرفتى . . فقد كان تعالى فاروق وسوء معاملته لى لا يزال يحز فى نفسى .

***

أما سبب استدعاء فاروق لى . . كان مسيو فوشيه مندوب «الأهرام» قد دخل قاعة الرقص . . بعد أن حشى جيوب سترته بالكرات الصغيرة المختلفة الألوان والمصنوعة من الورق . . والتى كانت إدارة الفندق قد أعطتها للراقصين والراقصات .

وراح فوشيه يقذف فاروق وأمه نازلى وسيدات الحاشية بكرات الورق المذكورة وغضب فاروق . . أراد أن يغيظ مندوب الأهرام فأرسل يستدعى مندوب «المصرى» للجلوس مع أفراد حاشيته .

ولكننى رفضت الدعوة كما سبق أن ذكرت .

***

وفى اليوم التالى . . تناولت الغذاء حول مائدة صغيرة فى قاعة الطعام وبعيدة عن الموائد التى كان يجلس حولها . .

وخرجت بعد تناول الغذاء إلى قاعة الجلوس . . ووقفت أدخن سيجارة . . ولم ألبث أن رأيت الملك فاروق قادما وإلى يساره حسنين باشا . وحاولت مغادرة القاعة . . ولكن حسنين - رحمه الله - أشار إليَّ بيده أن أتقدم . . ولم يكن هناك مفر لى . . فتقدمت وسحبنى حسنين من ذراعى . . وتقدم بى إلى فاروق وهو يقول : يأذن لى مولانا أن أقدم له فلان وابتسم فاروق وحيانى ببشاشة ومد يده يصافحنى وهو يقول : إيه النزاكة دى كلها؟

وكان يقصد بكلمة «النزاكة» اعتذارى لعمر فتحى عن عدم دخولى قاعة الرقص لأننى «لا أريد أن أقحم نفسى عليهم وهم أشبه بأسرة واحدة» .

* * *

ثم وضع فاروق يده على كتفى وقال : أنا مش عارف ليه مش قادر أنام كويس فى البلد دى . وكمان باتعب بسرعة إذا مشيت على قدمى ولو لبضع دقائق .

وقلت له : علشان يا مولانا سان موريتز ترتفع عن سطح البحر خمسة آلاف قدم يعنى حوالى ١٧٠٠ متر . . ولكن مولانا راح يقدر ينام كويس ويمشى زى ما هو عاوز بعد خمسة أو ستة أيام يعنى بعدما يتعود مولانا هذا الارتفاع .

سألنى : وهل سبق لك المجىء إلى هنا إلى سان موريتز ؟ !

قلت : نعم . . فى العام الماضى . . ورأيى - إذا سمح لى مولانا بإبدائه - هو أن لا يجهد مولانا نفسه فى المشى أو الحركة . . أو حتى فى الكلام الكثير . . وهكذا عرفت فاروق .

* * *

وهنا تنتهى المقدمة والآن أود أن أذكر مصادر المعلومات والتفاصيل العديدة التى يتضمنها حديثى عن يوم ٤ فبراير .

الفصل الثانى

الوفد.. حاول وضع الملك فى جيبه!

ذات يوم قرر فاروق أن يسافر إلى لندن وكان النحاس باشا ـ رحمه الله ـ موجودا يومئذ فى باريس على رأس وفد يزمع السفر إلى جنيف لكى يقدم إلى «عصبة الأمم» طلبا بانضمام مصر.

وقد تحدد موعد «يتشرف» فيه النحاس باشا وأعضاء الوفد بمقابلة الملك فاروق قبل السفر.. وفى الموعد المحدد أقبل فاروق على «الصالون» الخاص الملحق بجناحه فى الفندق ووقف كبار رجال حاشيته.. فى انتظار وصول صاحب المقام الرفيع ولكن النحاس باشا ـ كعادته ـ تأخر نحو ربع الساعة.

وكان فاروق يتأفف ويظهر غضبه.. ويقول إنه قرأ مرة أن دقة المواعيد من آداب الملوك... ولكنه يريد أن يقول إن الإخلال بالمواعيد يعد قلة أدب من رؤساء الوزارات!

وكانت هذه بداية الخلاف بين فاروق والنحاس!

***

أعود الآن خطوة أو خطوات..

كان مسيو فوشيه ونحن على ظهر الباخرة.. يكثر من التقاط الصور الفوتوغرافية لنازلى وهو ترقص... مع حسنين باشا أو شقيقها حسين صبرى.. بل وقد التقط لها صورة وهى ترقص مع إنجليزى من الركاب.

وأرسل فوشيه الصور إلى الأهرام ثم عاد والتقط لنازلى صورة وهى تتعلم كيف تنزلق على الجليد بينما كان المدرب السويسرى يحيط خصرها...

ونشرت جريدة الأهرام الصور.

وهنا بعث الأمير محمد على بخطاب شديد اللهجة إلى فاروق . . وقد جاء فيه أن نشر هذه الصور فى صحيفة مصرية لا يعجبه . . كما أن نشرها لا يليق بمقام الأسرة الملكية ولا يتفق مع تعاليم الدين الإسلامى الحنيف.

* * *

قلت إن الملك فاروق اختلى بمصطفى النحاس باشا فى الغرفة الملحقة بجناحه الخاص فى فندق «دى كريون».

ولم أدخل طبعا مع الاثنين ولكن المقابلة لم تطل أكثر من دقائق.

وبعدها فتح باب الجناح الخاص وخرج النحاس باشا ومكرم عبيد باشا وكان مصطفى النحاس متجهم الوجه مقطب الحاجبين ولم يكد يرانى حتى أشار إلىَّ ونزلت معه إلى بهو الفندق وهناك أخذ «رفعته» بذراعى وقال:

ـ اللعب بدأ من الآن . .

ـ قلت له: خير؟

ـ قال: مش خير أبدا . . . الملك كلمنى عن حفلات التولية التى ستقام بعد عودته إلى مصر . . وعاوز حفلة تقام فى القلعة . . وشيخ الأزهر . . وأمراء الأسرة يكونون حاضرين ومرتدين الملابس التى كان أجدادهم يلبسونها أيام محمد على . . وفى هذه الحفلة لا أعرف من هم الذين سوف يقسمون له يمين الولاء والإخلاص . .

ثم استطرد النحاس باشا يسألنى:

ـ وهل تعرف ماذا جاء فى الدستور؟

ولم تسعفنى ذاكرتى . .

ـ طيب . . . أنا أقول لك . . النص الذى جاء فى الدستور يقول إن الملك قبل أن يتولى سلطاته ويباشرها . . يقسم اليمين الدستورية أمام أعضاء مجلس الشيوخ والنواب . . . هذا هو نص الدستور . . لم يرد فيه أى نص عن سيف محمد على أو ملابس الأمراء . . ولا عن شيخ الأزهر ولمباشرة الملك لسلطاته!

وكان شيخ الأزهر يومئذ هو المرحوم الشيخ مصطفى المراغى وكان خصما للوفد . .

وهنا تدخل المرحوم مكرم عبيد :

ـ الأستاذ فلان «يعنى أنا» يمكنه أن يحل لنا هذا الإشكال . .

ـ ولكن الملك يسافر اليوم إلى لندن . . وأنا باق فى باريس . . .

قال مكرم باشا . .

ـ أرجوك . . إكرام لنا أن تسافر إلى لندن وتسوى لنا هذه المشكلة . . ونحن نعرف أنك موضع ثقة الملك!

* * *

وقد تبين فيما بعد أن هذه الحفلة كانت من اقتراح الأمير محمد على . .

ولما كانت الصحف المصرية ترسل بانتظام إلى الملك فاروق . . فإن سكرتيره الخاص الدكتور حسنى بك كان يقرؤها ويعرض ما يرى وجوب عرضه على الملك فاروق .

وقد سر فاروق كثيرا بهذا الاقتراح .

وسافرت إلى لندن . .

ومنه اتصلت بالتليفون بحسنى بك فى «كنرى هاوس» حيث كان يقيم الملك فاروق وطلب من حسنى بك أن يحدد لى موعدا أقابل فيه أحمد حسنين .

وفعلا . . حدد لى موعدا ذهبت فيه وقابلته وعرضت عليه وجهة نظر مصطفى النحاس ومكرم عبيد . .

ولكن حسنين باشا قال إن هذه مسألة سياسية وإنه لا شأن له بالسياسة . . وطلب منى أن أتحدث فى هذا الموضوع مع حسنى بك سكرتير خاص الملك . .

وتحدثت مع حسنى ، مما قلته له إن هذه الحفلة وما سوف يجرى فيها ليست فى مصلحة جلالة الملك لأنها شبيهة بتتويج الملوك الأجانب . . خصوصا حفلة تتويج

ملك إنجلترا وإمبراطور الهند . . جورج السادس . . وكانت حفلة تتويجه فى نفس الشهر . . . وتفاصيلها لا تزال عالقة بالأذهان . كما أنى مكلف بأن أبلغك أن الوزارة الوفدية متمسكة بأحكام الدستور، وهى ترى أن الحفلة المقترحة فيها خروج واضح على نصوص الدستور.

* * *

وقابلنى حسنى بك وقال لى إنه نجح والحمد لله . . . وأن «مولانا» قد تنازل عن فكرة إقامة الحفلة فى القلعة . . وأن برنامج حفلات تولية سلطاته الدستورية سوف تكون مقصورة على أداء اليمين أمام أعضاء البرلمان.

وأنه فى مساء نفس اليوم ـ تقام حفلة عشاء تعقبها حفلة ساهرة . .

وفى اليوم التالى تقام حفلة استعراض للجيش ثم يستقبل فاروق فى اليوم الثالث الأمراء ورجال السلك الدبلوماسى ورؤساء الوزارات السابقين والحاليين والشيوخ والنواب . .

وفى أول يوم جمعة يؤدى جلالته الصلاة فى مسجد الأزهر الشريف . . هنا قلت لا أعتقد أنه سيكون هناك أى اعتراض على البرنامج المذكور . .

وذلك لأن حسنى بك لم يكن قد انتهى بعد من حديثه . . فقد قال بعدها إن (مولانا) سرف يسره أن يقدم له الشعب (تاجا) وأن تقام حفلة التتويج ويدعى لحضورها ملوك ورؤساء الدول . .

ومضى حسنى يقول:

ـ ولما كان جلالة الملك ديمقراطيا وحريصا على احترام أحكام الدستور التى تقول إن الأمة هى مصدر جميع السلطات فإنه يرى أن تتبرع جميع طبقات الشعب بثمن هذا التاج . .

واعترف أننى تحمست يومئذ لهذا الاقتراح ووعدت بتأييده . .

وأسرعت وعدت إلى الفندق وطلبت المرحوم مكرم عبيد بالتليفون فى فندق جينف . . أبلغته أننى قد أفلحت فى إقناع الملك فاروق بالعدول عن إقامة الحفلة الدينية فى القلعة . .

ثم أبلغته تفاصيل البرنامج الذى ذكره الدكتور حسنى بك . . وقال مكرم باشا . . إنهم جميعا يشكروننى . .

وهنا قلت له : ولكن حسنى بك تحدث إلىّ فى اقتراح آخر . . وقد وافقت عليه . .

وسألنى مكرم باشا عبيد . . . ماذا؟

ورويت له تفاصيل مشروع التاج . . وأصغى مكرم باشا إلى ما قلته .

ـ ثم قال : وهو كذلك . .

وهنا سألته : إذن هل تأذن لى أن أبلغ حسنى بك أن معاليك موافق؟ قال . . لا مانع!

وبادرت وأبلغت حسنى بك بالتليفون أن مكرم باشا يوافق على مشروع التاج هذا، وقد عرفت فى مساء اليوم أن حسنى كان قد ذهب إلى فاروق عقب حديثى معه بالتليفون وأبلغه أن مكرم باشا يوافق على مشروع التاج . . وأن فاروق سر كثيراً بهذا الخبر . .

* * *

قلت إن نازلى أم فاروق كانت تشكو من وجود حصوة كبيرة فى إحدى كليتيها ، وأنها كانت تريد السفر إلى بلدة (فيشى) فى فرنسا للعلاج . . .

وركبنا قطارا خاصا . . وذهبت إلى عربة (البولمان) وجلست أمام إحدى الموائد . . وبعد قليل حضر حسنين باشا وجلس فى مقعد آخر أمام نفس المائدة . . ثم جاء فخرى باشا .

وهنا قال حسنين إن الحملة على الحفلة الدينية لا تزال مستمرة . . وإنها قد امتدت حتى تناولت تأدية (مولانا) لصلاة الجمعة فى الجامع الأزهر . .

وبينما نحن كذلك أقبل فاروق علينا ووقف أمام مائدتنا فوقفنا احتراما . .

وكانت فى يده مجموعة من صحف القاهرة وصلته فى صباح نفس اليوم . . ورمى بالصحف أمامى على المائدة وقال :

ـ هل قرأ (الأستاذ) فلان الكلام المنشور فى جريدة المصرى؟

وكان من علامات الرضا السامى أن ينادينى فاروق باسمى مجردا .

ومن آيات غضب صاحب الجلالة أن ينادينى يا أستاذ!

وسكت . . ولكننى ألقيت نظرة على (المصرى) فإذا بى أجد منشورا على رأس صفحتها الأولى وبالبنط الأسود الكبير . . (مانشيت) فحواه أن مصدرا رسميا كبيرا قد صرح لمندوبى الجريدة بأن الوزارة قد قررت عدم السماح بإقامة حفلة دينية . .

والتفت فاروق بعدها إلىّ وسألنى :

ـ هيه . . والأستاذ فلان جاى معانا برضه فيشى؟

وصعد الدم إلى رأسى . . فقد كان معنى سؤاله واضحًا وهو أنه لا يريد أن أسافر معهم إلى فيشى . . مع أننى لم أكلفه قرشا واحداً طوال هذه الرحلة التى دامت خمسة أشهر ، ونفقاتى كلها كانت من جيبى الخاص . .

ولكنى سكت تأدبا واحتراما! . . وإن يكن الجالسون فى عربة (البولمان) قد لاحظوا امتقاع لون وجهى . .

وأخيراً وقف فاروق . . . فوقفنا . . . والتفت إلىَّ وقال : أظن أن موعد تناول الغداء قد حان . . . ألا تود أن تتناول معنا الغداء؟

قلت : إن شاء الله . . . يا فندم!

وغادر فاروق عربة البولمان . . . وكان فخرى باشا وحسنين باشا قد غادراها من قبل . . .

***

ووصلنا فيشى ، بعد ظهر نفس اليوم أرسلت برقية إلى (المصرى) وصفت فيها الاستقبال الرسمى . .

ثم ذهبت إلى مكتب شركة كوك وابتعت تذاكر السفر إلى فيينا .

وعرف حسنين باشا والحاشية بالخبر فأقبلوا يطيبون خاطرى ويؤكدون لى أن (مولانا) لم يقصد إهانتى . . .

ولكننى صممت على السفر . . وهكذا وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى غادرت فيشى . . . وكان يصحبنى إلى محطتها المرحوم على رشيد أحمد يوسف الذى كان يتولى يومئذ تدريس اللغة العربية للملك فاروق وشقيقاته .

***

وهنا أعود خطوة إلى الوراء . . سبق أن قلت إننى أبلغت حسنى بك موافقة المرحوم مكرم عبيد باشا على مشروع التاج . . هذا وقد سمعت فى مساء نفس اليوم أن نازلى أم فاروق قد كرهت لندن وأنها أصبحت عصبية . . .

وفى اليوم التالى دعيت لتناول طعام الغداء وبعد تناول الغداء صحبنى المرحوم الدكتور عباس الكفراوى - إلى حديقة القصر لكى يتحدث معى عن منصب رئيس الديوان الذى كان بقى شاغرا منذ استقالة المرحوم أحمد زيور باشا .

وقال الدكتور الكفراوى إن جلالة الملك لا يزال صغير السن قليل الخبرة وإن الحالة هذه فى حاجة إلى رئيس للديوان يكون لجلالته بمثابة المعلم والناصح والمرشد والأمين أى رئيس للديوان واسع الخبرة متعدد الكفاءات . . من إدارية وقضائية ومالية وسياسية . . إلخ وأنه - أى الدكتور الكفراوى - لا يعرف رجلا قد توافرت له هذه الصفات والكفاءات خيرا من نجيب الهلالى بك . . .

ثم سألنى عن رأيى . . وهنا قلت له إننى لا أعرفه شخصيا . .

قال : ولكنك تستطيع أن تكلم مكرم عبيد باشا فى هذا الموضوع . وكان المعروف يومئذ أن المرحوم مكرم عبيد سكرتير الوفد المصرى هو الذراع اليمنى لمصطفى النحاس باشا وأنه صاحب النفوذ الأكبر والكلمة العليا فى الوفد المصرى .

***

وعدت إلى الفندق وطلبت بالتليفون مكرم باشا فى فندق جنيف . .

ولكنه لم يكد يسمع صوتى حتى قال . . . إنه كان سيطلبنى هو بالتليفون .

- قلت : خيرا يا باشا . . . ؟

* قال : حكاية التاج . . . اصرف نظر عنها ! . . . رفض النحاس باشا . . هاج

وثار جدا ضدها . . . وجميع إخواننا هنا لا يوافقون عليها . . . حتى على الشمسى باشا الذى حضر لزيارتنا اليوم قال عندما سمع بها (ده كلام فارغ) .

وأنا اضطررت أن أدافع عنك عند النحاس باشا وقلت لهم إن رجال الحاشية أحرجوك وورطوك . . . فأرجوك أن تجد طريقة ما لصرف النظر عن حكاية التاج . . .

* * *

وأسقط فى يدى . . . ماذا أفعل؟

هل أعود إلى حسنين باشا وحسنى بك وبقية أفراد الحاشية وأقول لهم إن مكرم عبيد لم يعد له أقل نفوذ أو أقل كلمة عند رفعت مصطفى النحاس؟

ومن فيهم يصدقنى إذا قلت هذا؟ . . . قلت هذا للمرحوم مكرم عبيد . .

ولكنه طلب منى أن أتصرف . . . وأن أقول لهم أى شىء . . . ورفضت أنا . . وطلبت من معاليه أن يتصل بهم إذا شاء ويبلغهم رأى النحاس باشا وأصحابه . . .

وانتهى حديث التليفون . . . وقد طار تماما من رأسى موضوع ترشيح المرحوم نجيب الهلالى . . .

* * *

وكان فاروق قد عاد من إنجلترا فى الأسبوع الأول من شهر مايو ١٩٣٦ واقترح الأمير محمد على رئيس مجلس الوصاية أن يرفع سن الرشد للملك فاروق من ١٨ عاما إلى ٢٥ عاما . . وأن يعود فاروق إلى إنجلترا لكى يكمل دراسته . . .

ولكن الوزارة الوفدية برئاسة مصطفى النحاس باشا رفضت هذا الاقتراح جملة وتفصيلا . وأعلن رئيسها أن الوزارة تحترم وتتمسك بأحكام الدستور والشريعة الغراء . .

وأن هذه جميعها تنص على أن الثامنة عشرة هلالية هى سن الرشد والبلوغ . . ومن ثم فإن جلالة الملك فاروق سوف يتولى سلطاته الدستورية فى يوم ٢٨ يولية ١٩٣٧ .

* * *

ولم يكن الاستمساك بأحكام الشريعة ونصوص الدستور سوى ذريعة أو حجة والحقيقة أن زعماء الوفد كانوا يعتقدون بعد أن أراحهم الله من خصمهم العنيد الملك أحمد فؤاد ـ أن فى مقدورهم أن يضعوا فاروق الملك الشاب فى (جيوبهم) . . .

كذلك . . . كان النحاس باشا وزملاؤه قد ضاقوا ذرعًا بمجلس الوصاية .

***

دعانى حسنين باشا ذات يوم لتناول طعام الغداء معه وقال لى فى حديث دار بيننا إنه هو المسئول عن تعيين على ماهر باشا رئيسًا للديوان . . وأن الملك فاروق كان يثق فى أول الأمر فى على ماهر ـ وقد ورث هذه الثقة عن أبيه الملك أحمد فؤاد ـ ولكن على ماهر بدأ يدس إلى محمد محمود باشا . . .

وعندما أدرك فاروق أن هدف على ماهر من الدس لمحمد محمود هو أن يخلفه فى رئاسة الوزارة . . عندئذ فقد على ماهر ثقة الملك .

وكان على ماهر ـ يرحمه الله ـ هو الذى أشار على فاروق بإقالة وزارة النحاس باشا فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ وبإسناد رئاسة الوزارة إلى المرحوم محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار .

وقال لى حسنين باشا كذلك إن على ماهر باشا أثناء رئاسته للوزارة ـ قال للملك فاروق إن سير مايلز لامبسون زاره وطلب منه كذا وكذا ولكنه رفض ثم يعود على ماهر إلى فاروق ويقول له إن لامبسون زاره مرة أخرى أظن يا (مولانا) تقدر تساوم وتعطيه ما كان طلبه فى زيارته الأولى فى مقابل أن يتنازل عن طلباته الأخيرة .

ولكن الأجل لم يطل بحسن صبرى . . وفوجئ الجميع بعد يوم واحد باختيار المرحوم حسنين باشا رئيسًا للوزارة .

ومضى حسنين فى روايته يقول :

إن الملك فاروق حضر وجلس وقد تكلف هيئة الجد وأنه عرض عليه رئاسة الوزارة . . . ولكن لما كان على ماهر هو الشخص الوحيد الذى استشاره فاروق فى أمر من يخلف حسن صبرى باشا . . . فقد أدركت أن هذا الترشيح «مقلب» من مقالب على ماهر المعروفة . . والغرض منه أن أبقى رئيسًا للوزارة أسبوعًا أو

أسبوعين أو شهراً على أكثر تقدير ثم أقال أو أرغم على الاستقالة وأخرج من القصر إلى داري . . . ذلك أنه لم يكن من المعقول أن يكون لى هذا الترشيح من جانب الملك فاروق لأن جلالته كان يعارض فى تعيينى رئيساً للديوان فكيف يرضى اليوم بتعيينى رئيساً للوزراء .

ومن هنا اعتذر حسنين باشا بكل أدب للملك فاروق من عدم قبوله للمنصب .

* * *

واستأنف حسنين باشا حديثه وقال إنه - أى حسنين - وضع أمام فاروق جميع (الدوسيهات) أو الملفات التى كان أحضرها له عبد الوهاب طلعت باشا وكيل الديوان . . وفتح بعضها لكى يوهم أى شخص يدخل أنه يبحث حقيقة عن اسم الشخص الذى يصلح لكى يكون رئيساً للوزارة . . . بينما كان قد اختار فعلا المرشح المذكور .

وعاد فاروق بعد نحو ساعة وسألنى - أى سأل حسنين - من الذى اخترته؟

قلت : حسين سرى .

وهنا صاح فاروق (أعوذ بالله . . إن حسين سرى هذا من أنصار الإنجليز) وطلب منى أن أبحث عن مرشح آخر .

وتركنى وخرج . . . وبقيت فى مكتبى أنتظر عودته . . . وكنت أعرف أن الملك لا يحب حسين سرى . . ولكننى صممت .

وعاد فاروق ليسألنى هل وجدت مرشحا آخر فقلت له إننى لم أجد أمامى سوى حسين سرى . .

وهنا صاح الملك غاضبا (هل هذه مؤامرة منك ومن الإنجليز) . قلت معاذ الله يا (مولاى) من أن أتآمر عليك أو أخونك . . ولكننى أعتقد أننى أخدم البلد وأخدمك وأنا فى منصب رئيس الديوان . . وحسين سرى فى منصب رئيس الوزراء . . . ذلك لأن سياستى لم تتغير منذ كنت يا مولاى لا تزال وليا للعهد . . . وسياستى هذه هى أن أحفظ لك حقوقك . . . وحسين سرى مهما يكن رأى جلالتكم فيه فإنه من أنسابكم ولذلك فهو مثلى حريص على حقوقكم . . ، نحن الآن فى ظروف حرب

عالمية ومفاجآت دولية خطيرة . . والحكم الآن فى أيدى أحزاب الأقلية التى لا تمثل رأى الشعب . . . بينما الوفد صاحب الأغلبية مقصى عن الحكم . . . ولذلك فإنى أعتقد أن اختيار رجل غير حزبى مثل حسين سرى قد يخفف من حدة خصومة الوفد لنا جميعا . . . ثم إن حسين سرى رجل مقبول عند الإنجليز وسوف يقابلون تعيينه بالرضا والسكوت تماما كما كان موقفهم عند اختيار المرحوم حسن سرى باشا .

* * *

وكان على ماهر باشا قد أذاع بواسطة أصدقائه أن الوزارة فى (جيبه) وأنه هو الذى سيتولى رئاسة مجلس الوزراء .

كما أن المرحوم محمد محمود خليل بك اعتقد هو أيضًا أنه سوف يكلف بتشكيل الوزارة الجديدة . . ومن هنا فقد طلب من أحد موظفى سكرتارية مجلس الوزراء أن يوافيه فى داره لكى يعد معه قائمة بأسماء الوزراء الذين سوف يختارهم أعضاء فى وزارته . .

لكن هؤلاء وهؤلاء فوجئوا جميعًا باختيار حسين سرى رئيسًا للوزارة .

الفصل الثالث

الدنيـا.. كانت «ضـــلمة»!

قامت وزارة حسين سرى فى يوم ١٦ نوفمبر عام ١٩٤٠ . . وأقبل صيف عام ١٩٤١ وذهب المرحومان مصطفى النحاس باشا ومكرم عبيد باشا إلى مصيف رأس البر لكى يكونا فى أمان من الغارات الجوية .

وذات يوم حضر إلى المصيف الصحفى مصطفى أمين وزار مكرم عبيد وأبلغه أنه يحمل له رسالة شفهية من حسنين باشا رئيس ديوان الملك فاروق ، وفحوى هذه الرسالة هو أنه إذا التمس النحاس باشا مقابلة جلالة الملك فاروق فإن جلالته سوف يجيب طلبه فى الحال . .

وكان النحاس باشا لم يقابل الملك فاروق منذ أقيلت وزارته فى يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧ . . وكان المعنى الواضح من هذه الرسالة أو المقابلة المطلوبة هو أن الملك فاروق يخطو الخطوة الأولى فى سبيل التمهيد لعودة المياه إلى مجاريها بين صاحب العرش وبين حزب الوفد .

ورحب مكرم عبيد بهذا الطلب وأبلغه للنحاس باشا . . ولكن رئيس حزب الوفد أبدى شكه فى صدق الرسالة والرسول . . ولكن مكرم عبيد باشا استطاع فى آخر الأمر أن يقنع (رفعته) بالسفر . . وتمت المقابلة فعلا بين فاروق ومصطفى النحاس . .

***

وعاد النحاس باشا ومكرم باشا إلى رأس البر . . ولم تمض على عودتهما بضعة أيام حتى أقام بعض الوفدين من المصيفين حفل تكريم لزعيمهم مصطفى النحاس . .

الذى وقف فى الحفلة المذكورة وشن على الإنجليز هجوما عنيفا . . جاء فيه أن إنجلترا التى تزعم أنها دخلت الحرب لكى تدافع عن الديمقراطية والحريات . . ها هى تحارب فى مصر هذه الديمقراطية وهذه الحريات . .

* * *

ثم عاد رئيس الوفد يدعو (لجلالة الفاروق المفدى) وأعلن عن إخلاصه وإخلاص الوفدين جميعا لصاحب العرش المجيد . . وكان هذا كما سبق القول فى أواخر صيف عام ١٩٤١ . .

واهتزت وزارة حسنين سرى . . وحسب الناس أن أيامها معدودة . . وأن الوفد يوشك أن يعود إلى الحكم . . ولكن حسنين باشا - رحمه الله - ماطل . . لأنه كره أن يسلم بالهزيمة . .

وفى حديث طويل أفصح به إلىَّ فى مساء يوم ٩ مارس ١٩٤٢ . . قال لى إنه من رأيه دائمًا أن تتولى حكومة قوية (ائتلافية) . . بينما تكون هناك أقلية معارضة . .

وهكذا كان تردده ومماطلته سببا فى إصابته بأكبر هزيمة حلت به وأعنى حادث ٤ فبراير . .

ذلك أن الغرور كان ملأ نفسه وخصوصا بعد أن فاجأ السفير البريطانى سير مايلز لامبسون باختيار حسن صبرى لرئاسة الوزارة . . ثم فاجأه مرة أخرى باختيار حسين سرى رئيسًا للوزراء . .

ومن ثم أراد أن يفاجئ مايلز لامبسون بقيام الوزارة الوفدية التى طالما ألحوا وتمنوا قيامها . . ولكنها - هكذا قدر حسنين - ستكون وزارة تتولى الحكم بإرادة فاروق لا بإرادة الإنجليز . .

ولكن رئيس الديوان أخطأ فى الحساب والتقدير . .

* * *

وكان هناك نشاط قال عنه الإنجليز إنه معرقل لجهودها الحربية . .

وكان بين أسماء الذين يقومون بهذا النشاط خارج مصر . . مراد سيد أحمد باشا

الذى كان وزيرا مفوضا لمصر فى روما . . ولقد رفض بعد قيام الحرب أن يعود إلى مصر وراح يتنقل بين إيطاليا وسويسرا وألمانيا ، وقد تركه الألمان والإيطاليون حرا طليقًا بينما اعتقلوا مئات من الرعايا المصريين .

وهنا تذكرت السلطات البريطانية أن مراد سيد أحمد صديق حميم لعلى ماهر الذى كان اختاره عضوا فى وزارته ثم عينه وزيرا مفوضا فى روما . . وتساءلت لماذا لم تتخذ السلطات المصرية إجراء ما ضد أحمد باشا ولو بصفته موظفًا كبيرًا فى المعاش؟

وكانت جريدة «الأهرام» قد نشرت مذكرات الكونت ثيانو - صهر موسولينى ووزير خارجيته - نشرتها بعد وفاته ، وقد جاء فيها أن حديثا دار أثناء الحرب بينه وبين سيد أحمد باشا ، وأن الباشا المذكور قال له إن الملك فاروق يميل إلى (المحور) ويكره البريطانيين . .

ولقد كان فى مقدور السلطات البريطانية أن تفهم وتقدر نشاط هؤلاء المصريين لا على أنه كان خيانة لبريطانيا وحلفائها . . وإنما كان إخلاصا لقضية مصر واستقلالها وأن هؤلاء المصريين ذوى النشاط (المحورى) لا يحبون الألمان والإيطاليين لسواد عيونهم . . وإنما كانوا يقومون بنشاطهم لحساب مصر ومصلحة مصر . .

كما أنه كانت هناك دول كثيرة تؤمن كل الإيمان بأن النصر فى هذه الحرب سوف يكون لدولتى المحور ، وأن بريطانيا سوف تهزم شر هزيمة . .

كذلك لم يكن هؤلاء المصريون يومئذ وحدهم هم الذين يؤمنون بهذا ، فقد كان هناك إخوان لهم فى فلسطين والعراق وسوريا يؤمنون نفس الإيمان ، بل وفى كثير من الدول الأوروبية وأمريكا الجنوبية وفى آسيا ، وفى فرنسا نفسها كان يوجد كثيرون من نفس الرأى ونفس الإيمان . . وحتى أيرلندا . . وإسبانيا والبرتغال وسويسرا والسويد . . وبعض دول أمريكا الجنوبية مثل الأرجنتين . . والهند فى آسيا . . وفرنسا التى كان يحتلها هتلر بجنوده . . وكان فيها كثيرون يعملون لحساب المحور . .

* * *

والبريطانى الكبير الوحيد الذى فهم الموقف فى مصر على حقيقته وقدر وجهة نظر المصريين المتهمين بالنشاط المحورى كان الجنرال هنرى سيتلانة ويلسون الذى قال يومئذ فى هذا النشاط إنه (صدام بين ولاءين) . . بين ولاء المصريين لقضية بلادهم واستقلالهم . . وبين ولائهم للديمقراطية وقضية بريطانيا وحلفائها . .

ولكن زملاءه من القادة البريطانيين سواء فى لندن أو فى القاهرة لم ينظروا إلى الموقف بنفس العين بل نظروا إلى نشاط هذه الجماعة من الساسة والمصريين على أنه نشاط خطر بالغ الخطورة . .

***

وهكذا غيرت بريطانيا سياستها نحو مصر وكان هذا فى أوائل يونيه عام ١٩٤٠ . ومن ثم أرسلت برقية تتضمن إنذارا بوجوب تنحية على ماهر باشا عن رياسة الوزارة . . وإسناد سلطات الحكم إلى مصطفى النحاس باشا . . أو على الأقل . . إلى وزارة يؤيدها مصطفى النحاس والوفديون . وكانت حجة بريطانيا فى هذا أن النحاس باشا كان المساهم الأول فى عقد معاهدة عام ١٩٣٦ . . وإذن فهو المسئول الأول عن تنفيذها نصا وروحا بولاء وإخلاص . .

ولكن السلطات البريطانية فوجئت أولا باختيار حسن صبرى باشا لرياسة الوزارة، ثم فوجئت مرة أخرى باختيار حسين سرى لمنصب رئيس الوزراء . .

***

وحول هذا قال الدكتور محمد أنيس فى إحدى مقالاته التى نشرتها «الأهرام» إن البوليس الخاص كان تحت قيادة السيد عبد الرحمن عزام . .

والحقيقة أنه كان تحت قيادة محمد طاهر باشا أحد أقرباء الملك فاروق . . وكان طاهر باشا هذا من بين الذين كانت السلطات البريطانية قد طلبت اعتقالهم بدعوى نشاطهم المحورى . .

كما كانت السلطات البريطانية تتلقى من عملائها تقارير فى كل يوم عما يجرى فى نادى السيارات المشمول بالرعاية الملكية . . وعن الأحاديث المنسوبة إلى بعض أعضائه مثل (النبيل) عباس حليم ومحمد طاهر باشا . . وأن الاثنين وسواهما من

كبار المصريين يدلون بأحاديث تفيض مرارة وبغضا للإنجليز . . وبالتأييد الصريح للألمان والإيطاليين .

ومن هنا رفضت السلطات البريطانية - عندما تولى محمد طاهر قيادة البوليس الخاص - رفضت أن تصدق أن مهمة البوليس المذكور هى مساعدة رجال الشرطة أثناء الغارات الجوية التى كانت تقوم بها طائرات دولتى المحور على ميناء الإسكندرية وقناة السويس ، إلى آخر ما قيل وما نشرته الصحف يومئذ عن الغرض من تشكيل هذا البوليس الخاص . .

وظنت السلطات البريطانية أن الغرض من إنشاء قوة البوليس المذكور إنما هو مساعدة قوات المحور يوم تدخل مصر ، ومعاونتها أثناء فترة الانتقال المضطربة وهى الفترة التى كان لابد أن توجد أثناء انسحاب البريطانيين ، ودخول الألمان والإيطاليين . .

***

وتلقى الإنجليز معلومات من عملائهم فى (إستانبول) فحواها أن هناك نظاما خاصا للإشارات والتعليمات متفقا عليه بين الألمان وهذا البوليس الخاص ، كما أن فى مصر محطات لاسلكية سرية للاستقبال والإرسال ، أى محطات تستطيع أن تلتقط الرسائل ، وترسل على موجات الأثير أية معلومات تحصل عليها دون أن تمر رسائلها على الرقابة العسكرية . .

وبعبارة أخرى كانت السلطات البريطانية تعتقد أن المحطات المذكورة جزء من النشاط المحورى الذى كان يقوم به (طابور خامس) على رأسه عدد من كبار الساسة المصريين . .

وأثناء الفترة ما بين يونية ١٩٤٠ وأواخر عام ١٩٤١ تلقى الإنجليز تقارير جاءتهم من أقلام مخابراتهم فى مصر وفى أنقرة وإستانبول ولبنان وقد جاء فيها :

١ - إن سمير ذو الفقار بك الذى كان استقال من منصبه فى حاشية الملك فاروق - وكان أحد أصدقاء على ماهر باشا - قد سافر أكثر من مرة إلى تركيا بحجة التجارة فى التبغ والجلود وأنه اجتمع عدة مرات بسفير ألمانيا فى أنقرة . . وكان يومئذ هو فون

بابن . . كما أن سمير بك قابل أيضًا بعض عملاء المحور فى لبنان . . وبعد عودته إلى القاهرة ذهب وقابل فلانا وفلانا من الساسة وكبار رجال الدولة .

٢ ـ وأن شوقى الهجان الذى كان يومئذ الوزير المفوض فى القاهرة لحكومة تركيا قد سافر أكثر من مرة إلى بلاده بحجة الإجازة أو مراجعة حكومة أنقرة فى بعض الأمور، بينما كان الغرض من سفره نقل رسائل شفهية من السلطات العليا فى مصر إلى فون بابن لكى يبلغها بدوره إلى السلطات العليا فى برلين!

٣ ـ وأن الآنسة دولروس أى بدروزو الملحقة السياسية بمفوضية إسبانيا فى القاهرة كانت واسطة الاتصال بين فريق من الخبراء المصريين الموالين للمحور وبين سفارة ألمانيا فى مدريد . .

وكانت إسبانيا يومئذ على الحياد، ولكنها كانت تؤيد دولتى المحور كما سبق أن ذكرت .

٤ ـ وأن مسيو بوتزى الوزير المفوض لحكومة فيشى الفرنسية فى القاهرة يقوم بنفس الدور وكانت حكومة الماريشال بيتان تتعاون يومئذ مع الألمان . .

***

٥ ـ وخامسًا وأخيرًا، كان الملك فاروق يصحب معه أحيانًا السفير البريطانى إلى بحيرة أكياد لصيد البط . . وذات يوم لاحظ لامبسون أن الملك فاروق اصطاد من البط عددا يزيد كثيرًا عما اصطاد هو . . وهنا امتدح مهارة فاروق فى الرماية وابتسم فاروق وقال: إنه لا فضل له فى هذا وإنما الفضل كله لبندقيته المصنوعة فى ألمانيا . . (أما بندقيتك أنت يا سيد مايلز فمصنوعة فى إنجلترا . . وأنا أعتقد أن المصنوعات الألمانية أحسن بكثير من المصنوعات الإنجليزية) . .

وذكر لامبسون فى أحد تقاريره التى كان يبعث بها إلى وزارة الخارجية فى لندن ـ ما قاله فاروق ـ!

وكانت السلطات البريطانية تتلقى هذه التقارير طوال عام ١٩٤١ وتؤمن بصدقها وفى نفس الوقت كانت الهزائم تتوالى على الجيوش البريطانية فى البر وعلى أساطيلها فى البحر بسبب غواصات دولتى المحور . .

ثم قامت اليابان بهجومها المفاجئ على الأسطول الأمريكى فى ميناء (بيرل هاربور) فى شهر ديسمبر ١٩٤١، ودمرت معظم بوارجه وناسفاته . .

وبعدها اجتاح جيش يابانى معاقل وحصون بريطانيا فى الشرق الأقصى . . ومن ثم سقطت جزر المحيط الهادى والملايو وجزر الهند الشرقية وبورما وسنغافورة . . واضطرت بريطانيا يومئذ أن تعيد قواتها التى كان قد أرهقها التعب . .

أما فى أوروبا . . فإن الجيوش الألمانية كانت تحاصر موسكو ولينجراد وتعدو عدوا صوب آبار البترول فى القوقاز . .

وفى كلمة موجزة كان هتلر قد سحق أوروبا تحت حذائه من النرويج شمالا إلى اليونان فى الجنوب، ومن جبال (البرينيز) غربا إلى نهر الفولجا وجبال الأورال شرقا وفى أفريقيا - على حدود مصر الغربية - كان الثعلب المراوغ الماريشال إيروين روميل - كما أسماه يومئذ ونستون تشرشل - كان لا يتراجع مرة إلا ليرتد بعدها مثل وتر القوس وهو أكثر قسوة وأشد بأسا وعنفا ليكيل للبريطانيين ضربات قاصمة . .

وفى كلمة موجزة كانت أعصاب الإنجليز متوترة، وصوابهم يكاد يطيش ما بين هزائم متوالية، وانقلابات فى أقطار صديقة موالية مثل الانقلاب الذى قام به المرحوم رشيد على الكيلانى فى العراق . .

* * *

وكان ساسة بريطانيا وقواد جيوشها ورجال سفاراتها فى مصر يشعرون أن شعب مصر يكرههم وأن عواطفه مع الألمان، وأنه يتمنى لهم النصر . .

وتناقلت الألسن يومئذ نكتة مشهورة قالها المرحوم أحمد زيوار باشا عندما سأله بعضهم عن رأيه فى الحالة:

- حالة إيه (يا مونشير) أى يا عزيزى؟ . . شعب مصر ألمانى . . وملك مصر طليانى . . وحكومة مصر إنجليزية! . .

أى أن عواطف الشعب مع الألمان . . والملك فاروق ضالع مع الإيطاليين بحكم

نشأة أبيه والصداقة الموروثة والحاشية التى كان بعض أفرادها من الإيطاليين . . بينما كانت حكومة مصر تتعاون يومئذ مع الإنجليز !

* * *

وكان من أفراد حاشية فاروق المرحوم سحاب الماز، الذى لقى حتفه عندما سقطت به طائرة أثناء عودته من إيطاليا إلى القاهرة وكان ذلك فى شهر فبراير ١٩٤٦ . .

وكان سحاب قد قضى معظم شبابه فى روما . . ولما عاد إلى القاهرة كان يدخل المطاعم والحانات والمقاهى ويرفع يده بالتحية الفاشستية ويصيح (فيفا الدوتشى . .) وإن فاروق كثيرا ما كان يوفده إلى إيطاليا فى مهام خاصة .

وها هو ذا . . يهتف علنا بحياة موسولينى . . ولا يسمع من فاروق أو أحد رجال القصر كلمة تأنيب أو تقريع !

* * *

قرر الإنجليز أن تكون عودة الوفد إلى الحكم بفضلهم هم لا بفضل فاروق، وقد اتخذوا قرارهم للأسباب الآتية :

١ ـ إن مصطفى النحاس باشا هو وحده الزعيم الشعبى القادر على تحويل (الدفة) . . دفة عواطف الشعب . . من الاتجاه إلى الألمان . . إلى الاتجاه إلى بريطانيا وحلفائها . .

٢ ـ والملك فاروق ضدهم . . والشعب المصرى ضدهم . . وحزب الوفديين ـ أى حزب الأغلبية ـ ضدهم كما تبين من الخطبة التى ألقاها النحاس باشا فى مصيف رأس البر .

٣ ـ وكانوا ـ أى الإنجليز ـ قد عرفوا جميع الخطوات التى تمت من أجل عودة المياه إلى مجاريها بين فاروق ومصطفى النحاس .

ومن هنا قدرت السياسة البريطانية أنه إذا عاد حزب الوفد إلى الحكم فسوف تكون عودته بفضل فاروق لا بفضلهم هم . .

وهكذا أسرع الإنجليز وانتهزوا فرصة حوادث أواخر شهر يناير ١٩٤٢ . . وأسرعوا وضربوا ضربتهم التى فرقوا بها بين الملك فاروق وبين مصطفى النحاس باشا وحزب الوفديين.

وفى غداة حادث ٤ فبراير هتف الشعب ـ ومعظمه من الوفديين ـ هتف لسير مايلز لامبسون وهو فى طريقه إلى رياسة مجلس الوزراء لكى يهنئ النحاس باشا على توليه رئاسة مجلس الوزراء . .

وعندما أطل السفير البريطانى وإلى جانبه رئيس الوزراء من شرفة مبنى الرئاسة هتف الشعب وصفق طويلا .

ويومئذ أحس الوفديون أنهم مدينون فعلا بعودتهم إلى الحكم بعد حرمانهم منه زهاء أربع سنوات . . مدينون لبريطانيا وسفيرها فى مصر . . لا لفاروق وأحمد حسنين ! . .

وعندما غادر لامبسون مبنى رياسة مجلس الوزراء حمله الشبان الوفديون على الأكتاف !

وأذاعت محطة لندن يومها هذا النبأ وهو أن شعب مصر قد حمل السفير البريطانى على الأعناق !

* * *

قلت فى الحلقة الأولى من سلسلة هذه المقالات إننى كنت عدت من لبنان إلى القاهرة فى ٣٠ يناير ١٩٤٢ .

ومن شرفة مكتبى بمجلة آخر ساعة ، وكانت تطل على ميدان الخديو إسماعيل ـ الآن ميدان التحرير ـ كنت أرى المظاهرات الكبيرة وهى تسيرُ وتهتف (إلى الأمام يا روميل . . وحذاؤك يا فاروق فوق تاج جورج السادس) .

وكان روميل يومئذ يشن أعنف وآخر هجوم له عند قرية العلمين . . وكان دوى القنابل يسمع فى سكون الليل . . فى الإسكندرية .

* * *

وهكذا استبد الخوف والفزع باليهود الذين كانوا يقيمون فى مصر ، كما استبد ببعض كبار المصريين مثل المهندس أحمد عبود يرحمه الله . وأمين عثمان باشا الذى سافر مع زوجته الإنجليزية إلى فلسطين .

خصوصا وقد كان هؤلاء اليهود . . وهؤلاء الكبراء يرون الدخان يتصاعد من مداخن مطابع قصر الدوبارة مقر السفارة البريطانية . . ومن مطابخ السفارة الأمريكية ، وكلاهما كان مقره - وما زال فى حى جاردن سيتى - هذا لأن رجال السفارتين كانوا يحرقون الأوراق والملفات استعدادا للرحيل . .

وهكذا هاجر البعض إلى فلسطين والبعض إلى السودان والبعض الأخير إلى جنوب أفريقيا .

إذن فقد كان هناك خطر وهو أن يفلح الماريشال روميل فى دخول مصر فها هى سفارتا أمريكا وبريطانيا تحرقان أوراقهما السرية .

وهنا أرسل قائد حامية الإسكندرية خطابا سريا إلى وزارة الحربية فى القاهرة يسألها عما يجب عليه أن يعمله فى حالة دخول قوات المحور . . هل يقاوم هو وجنود الحامية . . أم يستسلمون ويسلمون أسلحتهم وذخيرتهم للغزاة؟

وعرض الخطاب على وزير الحربية وكان يومئذ المرحوم الفريق حمدى سيف النصر باشا الذى أمر موظفى مكتبه أن يغفلوا الرد على الخطاب المذكور .

ولكن قائد الحامية عاد بعد يومين اثنين وبعث بخطاب سرى آخر ومستعجل جدا - كما كتب فى أعلاه - وكرر نفس السؤال .

وعندما عرض هذا الخطاب على حمدى سيف النصر باشا صاح . .

- انقلوا ابن . . ده من الإسكندرية وأرسلوه إلى منطقة أخرى وابعثوا ضابطا آخر يحل محله هو عاوز يودينى فى داهية وإلا الحكاية إيه؟ . .

ذلك أن حمدى سيف النصر كان يخشى إذا هو أمر قائد حامية الإسكندرية بالمقاومة ثم نجح روميل وجنوده فى دخول الإسكندرية - فإنهم قد يحاكمونه أمام مجلس عسكرى . . وإذا هو أمر قائد الحامية بالاستسلام ثم تمكن جنرال مونتجمرى

فى صد الألمان وحلفائهم الإيطاليين فإن الإنجليز سوف يحاكمونه قطعا على تهمة الجبن والخيانة . .

قلت إننى عدت من لبنان فى ٣٠ يناير عام ١٩٤٢ . . وكانت الحالة فى القاهرة متوترة جداً وخصوصًا بعد استقالة حكومة حسين سرى فى يوم ٢ فبراير . . والإشاعات كثيرة منها : أن على ماهر باشا هو الذى سيقوم بتشكيل الوزارة، وأخرى أن محمد محمود خليل هو المرشح لرئاسة الوزراء .

وفى يوم ٢ فبراير زارنى فى مكتبى السيد أحمد الوكيل صهر النحاس باشا لأنه شقيق السيدة زينب الوكيل أرملة مصطفى النحاس يرحمه الله . . سألت أحمد الوكيل : إيه الأخبار . . ؟

قال : لا تصدق كل ما تسمعه . . الراجل بتاعنا هو اللى رايح بكل تأكيد يشكل الوزارة وهنا سألته عن سبب ثقته هذه . . فقال إن أمين عثمان باشا اتصل به تليفونيا وطلب منه أن يتصل بالتليفون بالسيدة شقيقته ويطلب منها أن تقنع النحاس باشا بالعودة فوراً إلى القاهرة لأنه سوف يشكل الوزارة الجديدة .

وكان النحاس باشا يقوم يومئذ برحلة فى النيل . . وقد رست به الباخرة عند مدينة قنا . . لكى يقوم - رحمه الله - بزيارة مقام سيدى عبد الرحيم القناوى .

ورفض النحاس باشا فى بادئ الأمر أن يعود إلى القاهرة وظن أنها مشاورات أو مقترحات مثل تلك التى كان عرضها عليه فى كفر عثمان عبد الوهاب طلعت باشا وكيل ديوان الملك فاروق . .

ولكن قرينته استطاعت أن تقنعه، وهكذا عاد وذهنه خال تمامًا مما حدث أو سوف يحدث . .

***

وكان حادث ٤ فبراير - كما سبق أن قلت - أكبر هزيمة أصيب بها أحمد حسنين فقد ترك الإنجليز - بتسويفه ومماطلته - يسبقونه وينتزعون من يديه مصطفى النحاس والوفديين .

وقابلته بعد الحادث بثلاثة أيام . .

وقال لى يومها : القلم كان جامداً . . ولسه بيرن على صدغى . . وشغل ثمانية أشهر راح فاشوش . .

وكان المعنى الذى يقصده هو أن مساعيه من أجل عودة الوفد إلى الحكم بالطريق الشرعى السليم لا بهذه الطريقة . . مساعيه هذه قد فشلت .

ثم تنهد وقال إنه لو كان قابل وزير الدولة البريطانى مستر لتلتون قبل الحادث ولو بيوم واحد . . لما حدث شىء مما حدث . . ثم قص على كثيرا من التفاصيل ومنها أن الملك فاروق عرض على النحاس باشا أن يرأس وزارة ائتلافية أو قومية . . أو أن تتألف وزارة محايدة تجرى انتخابات جديدة . ولكن النحاس باشا رفض كل هذه العروض وأصر على أن تكون الوزارة التى يشكلها وفدية خالصة روحا ودما . وعندئذ قال فاروق لحسنين باللغة الإنجليزية وهمسا (يظهر إن النحاس باشا مالى إيده كويس من الإنجليز . .) .

وبعد الحادث ببضعة أيام قال فاروق لبعض أفراد حاشيته : يظهر أن الإنجليز بعد ما خسروا معركة بنى غازى . . أرادوا أن يكسبوا معركة عابدين . . !

***

سبق أن قلت إن السفير البريطانى كان قد طلب من أحمد حسنين رئيس الديوان أن تتولى الحكم وزارة وفدية أو على الأقل وزارة يؤيدها الوفديون . .

ولكن حسنين سوّف وماطل . . ثم فاجأ مايلز لامبسون مرتين بوزارة حسن صبرى ثم بوزارة حسين سرى . .

وسكت السفير البريطانى ولكن على مضض . .

وحاول حسنين باشا أن يقنع النحاس باشا بتشكيل وزارة قومية . . أو . . إلخ . ولكنه رفض . . وأصر على أن تكون وزارته وفدية خالصة كما سبق القول . . هذا وكان الملك فاروق ـ عندما عرف رأى النحاس باشا ـ قال لحسنين باشا سوف نتغلب على كل شىء .

وفى يوم الاثنين ٢ فبراير عام ١٩٤٢ استقالت وزارة حسين سرى كما سبق أن قلت . . وأرسل مايلز لامبسون إلى الملك فاروق يطلب منه إسناد رئاسة الوزارة

الجديدة إلى مصطفى النحاس باشا أو أى شخص آخر يختاره زعيم الوفد ويعد بتأييده . .

وأرسل فاروق واستدعى لمقابلته رؤساء الوزارات والأحزاب ومجلس الشيوخ ومجلس النواب السابقين . وسألهم ماذا يفعل فى طلب السفير البريطانى ثم طلب منهم أن يختاروا من بينهم وزارة قومية تستطيع أن تواجه الأحداث الخطيرة التى تتعرض لها البلاد .

وهنا قبلوا جميعًا أن يشتركوا فى وزارة يرأسها مصطفى النحاس . . ولكنه - رحمه الله - أصر على موقفه السابق ورفض الطلب المذكور . .

وفى اليوم التالى ٣ فبراير ذهب مايلز لامبسون إلى قصر عابدين وقابل أحمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك فاروق ، وقال له إنه سمع أن النحاس باشا رفض تشكيل وزارة قومية ، ولهذا فإنه - أى مايلز لامبسون - يزور حسنين باشا لكى يطلب منه أن يقدم النصيحة لجلالة الملك وهى أن يوافق على طلب النحاس باشا . . وهو تشكيل وزارة من الوفديين .

ولكن حسنين عاد مرة أخرى وماطل . . ولهذا قال للسفير البريطانى إن المشاورات لا تزال تجرى مع رؤساء الأحزاب لتشكيل وزارة قومية وإنه واثق من أن وطنية الزعماء سوف تتغلب على كل شىء .

وانصرف مايلز لامبسون . . ولكنه عاد عند ظهر اليوم التالى الأربعاء وسلم حسنين باشا هذا الإنذار وها هو نصه :

إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد عهد إليه بتشكيل وزارة وفدية فإن الملك فاروق يكون مسئولا عما قد يحدث.

وماطل حسنين باشا مرة أخرى . . ومن هنا استدعى الذين كان سبق استدعاؤهم للاجتماع فى قصر عابدين . . ودامت مناقشاتهم مدة طويلة . .

ودخل عليهم حسنين باشا مرة ومرتين ليقول لهم إنه مضطر لإرسال رد الملك فاروق على الإنذار البريطانى قبل السادسة مساء . .

ولكن اجتماع الزعماء لم ينته إلى النتيجة التى كان يرجوها فاروق وحسنين بسبب إصرار مصطفى النحاس على موقفه المعروف.

وكان أحمد زيوار باشا هو الوحيد بين الحاضرين الذى وافق النحاس باشا على رأيه.. وغادر المجتمعون قصر عابدين على أن يستأنفوا الاجتماع مرة أخرى..

ولكن حوالى الساعة التاسعة مساء امتلأ ميدان عابدين (واسمه الآن ميدان الجمهورية) بآلاف الجنود البريطانيين الذين كانوا يرتدون ملابس الحرب والقتال.. وكانت معهم عشرات من الدبابات..

وطوقت هذه الدبابات قصر عابدين وصوبت إليه مدافعها، وتقدمت إحداها وحطمت الباب الرئيسى، ودخلت إلى ساحة القصر، ومن ورائها سيارة فيها مايلز لامبسون والقائد الإنجليزى جنرال ستون. ودخلت السيارة أمام باب القصر الداخلى، ونزل منها لامبسون وستون ودخل كلاهما القصر، بينما كان يسير أمامهما ثمانية من الضباط البريطانيين الذين كانوا يمسكون المسدسات بأيديهم..

وهنا تقدم منهم كبير الأمناء المرحوم إسماعيل باشا تيمور يسألهم ماذا يريدون؟ ولكن مايلز لامبسون نحاه بيده، وقال له إنه يعرف الطريق إلى مكتب الملك فاروق.

هذا، وكان الجنود البريطانيون قد هاجموا حرس القصر وجردوهم من سلاحهم فيما عدا بعض جنود الحرس قاوموا، ولكن عددهم كان قليلا جداً بالنسبة لعدد الجنود البريطانيين، ومن هنا أصيب الذين قاوموا بجراح أو كسور فى العظام.

ولحسن الحظ أو لسوئه.. صدرت الأوامر من الملك فاروق بعدم المقاومة لكى لا تحدث مذبحة أمام قصر عابدين.

وكان الإنجليز قد حاصروا محطة الإذاعة لكى يحولوا دون وصول الخبر إليها ومن هنا لم يعرف الشعب شيئًا عما حدث.. كما أن الرقابة العسكرية ـ ورئيسها كان من الموظفين الإنجليز ـ منعت نشر الخبر فى الصحف.

***

ودخل السفير البريطانى على فاروق فى غرفة مكتبه وكان يقف إلى جانبه أحمد حسنين. ووراء السفير كان يقف جنرال ستون، بينما كان الضباط الإنجليز يقفون أمام باب غرفة المكتب وفى أيديهم المسدسات . .

وقال لامبسون لفاروق إنه يخيره بين التنازل عن العرش وبين تكليف النحاس باشا بتشكيل وزارة وفدية.

وقبل فاروق أن يعهد إلى النحاس باشا بتشكيل وزارة من الوفديين، وقال لامبسون. . (هذا المساء)!

ووعده فاروق بهذا . .

وانصرف لامبسون والذين كانوا معه ولكن الدبابات بقيت تحيط بقصر عابدين وثكنات الحرس . .

* * *

ومرة أخرى عاد حسنين واستدعى من كان سبق له استدعاؤهم للاجتماع . . وحضروا . . ورأوا الدبابات وهى تحاصر القصر.

ودخل عليهم الملك فاروق وقال لهم إنه قد قبل الإنذار البريطانى ومن ثم فقد عهد إلى مصطفى النحاس باشا بتشكيل الوزارة التى يطلبها . .

وهنا قال المرحوم الدكتور أحمد ماهر: اسمع يا مصطفى باشا . . أننى أقول لك أمام جلالة الملك وزعماء مصر إنك تتولى الحكم مسنوداً بالدبابات والجنود الإنجليز . .

وقال إسماعيل صدقى باشا: نعم يا نحاس باشا . . مسنودا بالدبابات والإنجليز حقيقة لا مجازا .. وقد رأيناها فى ميدان عابدين . .

واحتج النحاس باشا ونفى عن نفسه هذه التهم، وقال إن الدنيا كلها كانت «ضلمة» ولهذا فإنه لم ير شيئًا، لا جنود ولا دبابات!

* * *

الفصل الرابع

الإنجليز فكروا فى خلع الملك فاروق!

زارنى ذات صباح فى أواخر شهر فبراير سنة ١٩٤٢ عمر فتحى بك وكان يومئذ يحمل رتبة قائمقام. . زارنى لكى يرجونى أن أتوسط لدى حكومة الوفديين أن ترقيه إلى رتبة أميرالاى. . وقد رقاه فاروق فيما بعد إلى رتبة لواء. . ثم إلى رتبة فريق. .

وحدثنى - رحمه الله - عن ورقة التنازل عن العرش التى كان مايلز لامبسون قد أعدها وقدمها للملك فاروق. .

قال عمر فتحى: إن (مولانا) عندما أمسك بالورقة قلبها بين يديه ثم ابتسم وقال لمايلز لامبسون بالإنجليزية ما معناه: لا . . لا . . يا سير مايلز. . دى ورقة وسخة. . ويوم ما أتنازل عن العرش سوف أكتب تنازلى على ورقة نظيفة. . ومزركشة بالألوان. .

***

وقد وقفت كثيراً عند حادث ٤ فبراير؛ ذلك لأنه رغم كل ما قيل ونشر عن الحادث المذكور فإن هناك تفاصيل وأسرارا كثيرة لم تنشر بعد، كما أن أحدا من الذين كتبوا عن الحادث المذكور لم يحاول أن يجلو هذه النقطة وهى: هل كان اعتداء بريطانيا على استقلال مصر وسيادتها وعرشها نتيجة قرار اتخذته فجأة بعد أن توالت انتصارات الماريشال روميل فى الصحراء الغربية وبات من المحتمل بل من الأرجح أن تدخل قواته الإسكندرية. . ثم تنحدر منها جنوباً إلى الدلتا. . وشرقا إلى فلسطين ثم سوريا والعراق؟ أم كان هذا الاعتداء نتيجة سياسة تقررت ورسمت

خطوطها قبل ذلك، بوقت طويل؟ ثم من هم الذين قرروا ورسموا خطوط السياسة المذكورة؟ هل كانوا ونستون تشرشل وأنطونى إيدن فى لندن . . ووزير الدولة أوليفر لبتلتون ومايلز لامبسون فى القاهرة؟ أم كانوا قواد الجيوش البريطانية فى مصر ودول الشرق الأوسط؟

هذه النقطة أو هذه النقط لا تزال ملفوفة فى ضباب كثيف . . !

على ماهر باشا كان السبب وهذا ما رواه لى مستر جرافتى سميث..

ذات يوم فى أوائل شهر يونيه عام ١٩٤٠ كنت أجلس إلى مائدة فى قاعة محل جروبى وأمامى قدح من القهوة . . دخل جرافتى سميث مساعد السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية وكان عرفنى به كريم ثابت رحمه الله . .

دخل وجلس فى مقعد بجانبى وراح يحدثنى عما تلقاه السلطات البريطانية فى مصر من معاكسات، وكيف أن الحكومة المصرية قد انقلبت فى الأسابيع الأخيرة من حكومة صديقة تنفذ معاهدة سنة ١٩٣٦ بأمانة وإخلاص . . وهو الأمر الذى شكرها عليه جنرال ستون فى ثلاثين خطابا بعث بها إلى رئيس الحكومة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا . .

انقلبت من هذا إلى حكومة تضع ـ كما قال ـ العقبات فى طريق السلطات البريطانية دون أن تبالى . . ومن ذلك أنها رفضت أن تعتقل عدداً كبيراً من عملاء المحور ممن كانوا يشغلون مناصب مدنية أو يقومون فى الظاهر بأعمال التجارة بينما هم فى الحقيقة كانوا يؤلفون شعبة تابعة لأقلام مخابرات الأعداء، أى أنهم كانوا جواسيس يعملون لحساب الألمان والإيطاليين . .

ثم مضى جرافتى سميث يقول: إن سنيور دودونى مدير وكالة الأنباء الإيطالية هو فى الحقيقة رئيس الجواسيس الإيطاليين فى مصر . . ولهذا فإن السلطات البريطانية طلبت من الحكومة المصرية أكثر من مرة أن تعتقله أو على الأقل أن لا تسمح له بمغادرة مصر والعودة إلى إيطاليا لأن المعلومات الكثيرة التى كان جمعها أثناء إقامته هنا سوف تفيد قطعا القيادة العليا فى كل من: جيش ألمانيا وإيطاليا، اللذين كانا يومئذ يحاربان الجنود البريطانيين فى الصحراء الغربية . .

واستطرد محدثي يقول: إن حسن فهمي رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية قد فهم موقفنا حق الفهم كما قدر الأسباب التي تبرر عدم السماح للسنيور دودوني المذكور بمغادرة مصر، ومن ثم فإنه أبقى طلبه تحت البحث والنظر، ورفض في نفس الوقت أن يعيد إليه جواز سفره . .

ولكن على ماهر باشا تكلم بنفسه بالتليفون مع إدارة الجوازات وألح عليها في إتمام إجراءات إعطاء (فيزا) الخروج للسنيور دودوني بكل سرعة . .

بل ولم يكتف رفعته بهذا، لأنه ذهب بنفسه إلى إدارة الجوازات ولم يبرحها إلا بعد أن تمت كافة الإجراءات، وغادرها وفي يده جواز السفر وقد سلمه بيده للسنيور دودوني . . وهكذا غادر رئيس الجاسوسية الإيطالية مصر، بينما كنا نحن مكتوفي الأيدي لا نستطيع منعه من مغادرة البلاد . . !

***

كانت هذه برقية أرسلها لورد هاليفاكس إلى السفير البريطاني في القاهرة . .

قلت إن السلطات البريطانية كانت تتهم الحكومة المصرية بأنها قد قلبت سياستها رأسًا على عقب . . وأنها بعد انهيار الحكومة الفرنسية واحتلال هتلر لفرنسا أصبحت تعتقد أن النصر سوف يكون لدولتي المحور . . حتى إن بعض الوزراء المصريين كانوا قد تحدثوا في جلسات حضرها علي ماهر باشا وصرحوا بأن الهزيمة سوف تحيق ببريطانيا . .

ووافقهم علي ماهر على رأيهم المذكور . . بل وذهب أحد الوزراء وهو صالح حرب باشا إلى حد أن قال إن أيام بريطانيا العظمى معدودة وإن مقاومتها لألمانيا لا تزيد على شهرين اثنين . .

وهكذا، قطعت بريطانيا خطوتها الأولى في الاعتداء على سيادة مصر . . وكان ذلك يوم أرسل وزير الخارجية البريطانية لورد هاليفاكس إلى سير مايلز لامبسون برقية قال فيها: يجب أن يستقيل علي ماهر:

والترجمة الحرفية للبرقية هي (علي ماهر يجب أن يذهب) Aly MAHER MUST GO . . واستقالت وزارة علي ماهر . .

وقامت بعدها كما سبق القول وزارة حسن صبرى ثم وزارة حسين سرى . . وكانت كل من الوزارتين مفاجأة للإنجليز . .

ومن هنا يمكن القول إن حادث ٤ فبراير كان تنفيذًا للمشورة التى كان مايلز لامبسون قدمها فى يونيه عام ١٩٤٠ ، وطلب فيها من الملك فاروق أن يعهد برياسة الوزارة إلى مصطفى النحاس ، رحمه الله . .

***

فى يوم الأحد ٢ أبريل عام ١٩٤٥ ، وكانت الحرب العالمية الثانية لا تزال دائرة . . قمت برحلة (بقطار السكة الحديدية - والسيارة) إلى بيروت ومنها بالسيارة إلى طرابلس ثم حلب ومنها بقطار طوروس إلى أنقرة فى إستانبول . .

وفى بيروت أعطانى الحاج حسين العوينى الذى تولى بعد ذلك منصب رئاسة الوزارة اللبنانية مرتين أو ثلاث مرات . . أعطانى خطاب توصية إلى صديق له وهو المرحوم الشهيد فؤاد حمزة الذى كان يومئذ الوزير المفوض لحكومة الملك عبدالعزيز بن سعود فى أنقرة . .

وكان السيد فؤاد حمزة - وهو لبنانى الأصل - كان ملما بكثير من الأسرار ، ومما ساعد على ذلك أنه كان يتقن أكثر من لغة أجنبية واحدة . . كما أنه كان من قبل تعيينه فى أنقرة كان وزيرًا مفوضًا لحكومة الرياض لدى حكومة فيشى وحكومة الاتحاد السويسرى فى مدينة بيرن . .

وأجد فى مفكرة الجيب الصغيرة - وقد أشرت إلى هذه المفكرات فى الكلمة التى قدمت بها حديثى عن يوم ٤ فبراير - أجد فيها أننى تناولت العشاء مع المرحوم السيد فؤاد حمزة فى مطعم كاريبيتسر فى أنقرة وكان ذلك فى مساء الاثنين ٣٠ أبريل . .

وحول مائدة العشاء قال لى - رحمه الله - إنه كان فى مدينة زيورخ يوم سمع بحادث ٤ فبراير وإنه قابل بعد الحادث المذكور اللورد (فلان) رفض - رحمه الله - أن يفضى باسمه - وكان اللورد المذكور يدير فى الخفاء قلم المخابرات البريطانية فى سويسرا . .

وقال له اللورد إن الحكومة البريطانية قد هالها ما يحدث فى مصر وإنها لهذا

السبب كـانت قررت خلع الملك فاروق ولكن الصعـوبة كانت فى اختيـار من يخلفه على عرش مصـر.. ولقد فكرت الحكومة البـريطانية فى أول الأمر فى حفـيد الخديو عباس حلمى الثانـى ـ أى ابن «الأمير محمد عبـد المنعم» على أن يبقى تحت الوصاية كما كان الحال يومئذ فى العراق.. وكان ابن عبد المنعم لا يزال يومئذ طفلا رضيعا..

ثم انتهى رأى الحكومة البريطانية إلى مفاوضـة الخديو عباس حلمى، وهكذا اتصلوا به فى سـويسرا التى كان يقيم فيـهـا يومئـذ . . ولبى دعـوتهم وسـافـر إلى إستانبول لكى يكون على مقربة من مجرى الحوادث فى مصر . .

وفى إستانبول قابله مستر آرثر مرتون الذى كان يعمل يومئذ مراسلا فى مصر لجريدة الديلى تلجراف، وسلمه رسالة من الحكومة البريطانية .

ونزل عباس حلمى فى فندق (بيرا بالاس) ينتظر الخطوة الثانية إلى أن يتصل به الإنجليز . . ولكن قلم المخابرات الألمانية أحس أن هناك شيئًا مريبًا يجرى . .

وأحس عباس حلمى كذلك أن الألمان بدءوا يشكون فيه، وأن عيون عمـلائهم فى إستـانبـول تراقب حـركـاته؛ ومن هنا خشى الخطر على نفسـه وأسـرع وغـادر إستانبول عائدًا إلى سويسرا . .

***

قلت إن حـسن صـبرى باشـا تولى رئاسـة الوزارة، ولكـن لـم تمض أيام حـتى بدأ يشكو لكل من يلقاه من الإنجليز من أنه لا يمكنه القيام بكل ما يقتضيه تنفيذ المعاهدة بصدق وإخلاص، لأن خصومه وعلى رأسهم على ماهر باشا يدسون له ويضعون فى طريقه العقبات والعراقيل . .

وتوفى حسن صبرى ـ يرحمه الله ـ، وتولى رئاسة الوزارة من بعده حسين سرى باشـا . . ولكنه ـ هو أيضًـا ـ لم يكد يمضى فى الحكم بضـعة أسـابيع حتى راح يشكو لكل من يلقاه هنا أو هناك من العقبات التى يضعها فى طريقه على ماهر باشا . .

وهنا طلب الإنجليز من حسن صبرى وحسين سرى اعتقال على ماهر ـ يرحـمهم الله جميعًا ـ ولكنهما رفضا . .

ولكن.. عندما تولت الحكم وزارة المرحوم مصطفى النحاس.. عاد مايلز لامبسون وطلب اعتقال على ماهر باشا.. وأجابه النحاس باشا إلى طلبه.. وأرسل قوة من رجال الشرطة حاصرت مبنى مجلس الشيوخ..

وكان على ماهر عضوا بالمجلس المذكور. . وعندما غادر مبنى المجلس اعتقلوه. . أرسله النحاس باشا إلى بلدة (السرو) حيث ظل معتقلا إلى يوم أقيلت وزارة النحاس باشا فى يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٤٤ . .

***

وذات مساء زرت رئيس تحرير «الأهرام» وكان يومئذ أنطون الجميل باشا ـ رحمه الله ـ زرته لكى أسأله عن آخر الأخبار فقال وهو يضحك إن على ماهر باشا ثائر هائج فى معتقله ويقول إنه سوف يحاكم مصطفى النحاس أمام محكمة مشكلة من مستشارى محكمة النقض والإبرام. . وسوف تكون التهمة التى توجه إلى زعيم الوفديين ورئيس وزرائهم هى تهمة الخيانة العظمى وسوف يكون حكم المحكمة الإعدام شنقًا. . !

ثم قال أنطون الجميل: إن على ماهر يصرخ دائمًا ويقول. . (أسنانى . . أسنانى يا عالم . . بس عايز أعرف . . ابن . . . . ؟ اعتقلنى ليه؟).

***

كان المرض قد اشتد على مصطفى النحاس باشا فى ربيع عام ١٩٤٣ إلى حد أن الأطباء يئسوا من شفائه . . .

وزارنى ذات مساء فى مكتبى على أمين، وكان مديرا لمكتب وزير المالية أمين عثمان. . وقال إن أمين عثمان باشا يهمه أن يعرف رأيى فيمن سوف يتولى زعامة الوفد ـ وبالطبع رياسة الوزارة ـ إذا أصيب النحاس باشا بمكروه لا قدر الله. . كما أن أمين باشا يريد أن يزورنى فى مكتبى لكى يتحدث معى فى نفس الموضوع. . وهنا قلت لعلى أمين إننى لا أظن بل لا أعتقد أن الهيئة الوفدية يمكن أن تختار . .

***

وبعد أن تناقشوا طويلا فى الموقف وقدروا جميع الاحتمالات قرروا أن يرسل

مجلس الوزراء خطابا يوقعه رفعة رئيسهم النحاس باشا . . إلى الماريشال روميل . . .

وطلبوا من المرحوم نجيب الهلالى باشا أن يكتب صيغة الخطاب المذكور . . وهاهو نص الخطاب :

* إن مصر دولة غير محاربة ، وجميع الإجراءات العسكرية التى اتخذتها السلطات البريطانية العسكرية فى مصر قد تمت قسرا وكرها وعلى غير رغبة الحكومة المصرية . . وأن مصر حكومة وشعبا تحب السلام وتحافظ عليه وهى فوق هذا وذاك قد اتخذت كافة الإجراءات الكفيلة بحفظ الأمن والحيلولة دون وقوع أية اضطرابات فى البلاد . .

هذا وقد اتفق رأى جميع الوزراء على أن يكون عبد الخالق حسونة باشا هو الذى يحمل هذا الخطاب إلى الماريشال روميل . .

وعهدوا إلى المرحوم عثمان محرم باشا وزير الأشغال بالاتصال بمحافظ الإسكندرية وإبلاغه بخبر هذه المهمة الجليلة التى يعهد بها إليه مجلس الوزراء . .

وفعلا تم الاتصال بالتليفون . .

ودهش حسونة باشا ـ وكان من الطبيعى أن يدهش ـ وسأل وزير الأشغال كيف يمكنه الوصول إلى مقر قيادة الماريشال روميل لكى يسلمه خطاب مجلس الوزراء . . ؟

وأجابه عثمان محرم باشا قائلا:

ـ تركب يا أخى سيارتك وتخرج بها إلى أن تقابل روميل وهو فى طريقه إلى الإسكندرية..

وهنا سأله حسونة باشا بسخرية: وهل حصلتم يا معالى الباشا على تصريح لى من القيادة البريطانية بمرور سيارتى عبر خطوط جيشهم وحقول الألغام التى بثوها فى الصحراء؟

وسكت وزير الأشغال.. وحار جوابا...

* * *

وفى صباح يوم السبت ٢٧ يونيه عام ١٩٤٢ - وكانت الإشاعات تملأ البلد - زرت حسنين باشا فى داره بميدان الدقى فلم أجده . . وقال لى محمد صادق تابعه الخاص إنه ذهب يزور ابنه هشام فى المستشفى الذى كانت أجريت له عملية استئصال (المصران الأعور) لابنه المذكور . .

وانتظرت حسنين باشا إلى أن عاد . . وقلت إننى سألت صباح اليوم وزير العدل صبرى أبو علم باشا عما إذا كان النحاس باشا قد أبلغ جلالة الملك تطورات الموقف فى الصحراء الغربية وأعطاه صورة صحيحة للحالة هناك . . أم أن رفعته ترك الملك فاروق يستقى الأخبار من الخارج كما كان يحدث يوم أن أغلق الإنجليز الحدود . . ثم هل النحاس باشا أبلغ الملك تفاصيل ما دار فى الاجتماع الذى كان عقده فى يوم الاثنين الماضى مع السفير البريطانى وجنرال ستون . .

وقلت أيضًا للمرحوم أحمد حسنين إن صبرى أبو علم - يرحمه الله - أكد لى أن رفعة رئيس الوزراء قد أدى واجبه تمامًا فى هذه المرة وأنه أبلغك أنت يا حسنين باشا جميع التفاصيل . . وهنا ابتسم أحمد حسنين بمرارة وقال : أبدا . . !

ثم مضى يقص على الحكاية من الألف إلى الياء . .

قال إنه عندما عرف أن النحاس باشا عقد الاجتماع الذى أشرت إليه فى حديثى انتظر أن يتصل به النحاس مباشرة بعد انتهاء الاجتماع المذكور ولكنه لم يفعل!

وفى المساء اتصل الملك فاروق وسألنى عما إذا كان النحاس باشا قد أبلغنى - ولو بالتليفون - ما دار فى ذلك الاجتماع . . فقلت له (كلا يا مولانا . . ولكن لعل رفعته ينتظر إلى أن يتمكن من جمع كل ما يمكن جمعه من التفاصيل لكى يعطينا صورة كاملة للموقف . .) .

ولكن هذا كان فى الحقيقة اعتذارا منى عن النحاس باشا لأننى كنت أنتظر أن يتصل بى ويلتمس مقابلة جلالة الملك لكى يبلغه عما دار فى الاجتماع . . ولكن الذى حدث أن رفعته أصدر بلاغا رسميا عن الاجتماع المذكور . . وقد نشرته الصحف وكان ذلك قبل أن يطلع (مولانا) على أى شىء . .

وهكذا قرأ الملك البلاغ الرسمى فى الصحف مثل أى أحد من رعاياه . .

ومضى حسنين باشا فى حديثه يقول: وفى صباح اليوم الثانى لم أستطع أن أنتظر أكثر مما انتظرت، وهكذا اتصلت تليفونيا بأمين باشا عثمان وبسطت له وجهة نظرى. . وبعدها بقليل اتصل بى النحاس باشا وقال لى: (أنت فين . . أنا بفتش عليك. .) ثم قال لى إن الحالة تبعث على الاطمئنان. . وسألنى عما إذا كنت أريد أن أقابله. . فقلت نعم. . قال (بس أنا عندى النهاردة جلسة يجب أن أحضرها فى البرلمان. .).

قلت له: (إذن نتقابل يا رفعة الباشا فى أى وقت يناسبك. .).

ثم مضى النحاس باشا يحدثنى عن البيان الذى سوف يلقيه فى البرلمان وسألنى هل يرسل لى نسخة منه. . فقلت إننى أكون شاكرا لو فعل. . وهكذا انتهى حديث رفعته معى وبعدها بقليل كلمنى أمين عثمان بالتليفون وقال لى: (أنت مش عاوز تقابل النحاس باشا. . ؟) فقلت له: (إزاى . . بالعكس. . أنا عاوز أقابله) قال: (رفعته فهم أنك لا تريد مقابلته. .) فقلت: (إذن فقد فهم غير ما كنت أريد منه أن يفهم. . وكل ما هناك هو أننى لم أود أن أربط رفعته بميعاد معين، وهكذا فضلت أن أترك له اختيار الوقت الذى يناسبه. .).

***

ثم أبدى حسنين باشا رأيه فى البيان الذى ألقاه النحاس باشا فى البرلمان. وقال - إنه فيما عدا ثلاث أو أربع نقط فإن البيان المذكور كان يبدو وكأن السفارة البريطانية هى التى كتبته؛ لأنه كان أمرا عجيبا حقا أن يقول النحاس باشا فى بيانه إنه مطمئن بينما الإنجليز أنفسهم يصفون ما حدث فى الصحراء الغربية بأنه كارثة، ويقولون عن الموقف هناك بأنه بالغ الخطورة. . وصحف اليوم التالى تقول - نقلا عن صحف لندن - إنها تكون معجزة لو استطاع مونتجومرى أن يوقف زحف جنرال روميل!

***

ولم يقل النحاس باشا لحسنين فى أول الأمر أكثر مما جاء فى البيان الذى كان - رحمه الله - قد ألقاه فى البرلمان وأعلن فيه أن الإنجليز يدافعون عن مصر إلى آخر مدى. .

واستطرد حسنين يقول: إنه حاول أن يعرف من حسنين باشا حدود (هذا المدى)

وهل هو يقف مثلا عند مرسى مطروح . . ؟ أم أن الدفاع (إلى آخر مدى) معناه أن الحرب سوف تدور داخل البلاد . . ؟

ولكن النحاس باشا رفض أن يتحدث فى احتمال وقوع هذا . .

قال حسنين - وسألت رفعته - (نفرض - لا قدر الله ، ولا سمح الله - أن الألمان دخلوا مرسى مطروح . . ثم استمروا فى زحفهم . . بعدها . . راح نعمل إحنا إيه؟) .

ولكن النحاس باشا أكد له أن هذا أمر مستحيل . . ثم عاد - بعد إلحاح حسنين باشا فى سؤاله السابق - عاد وقال إن الحكومة سوف تخلى المدن من ساكنيها المدنيين وترسلهم إلى الأرياف . .

وهنا قال له حسنين باشا . . إن معنى هذا أن الحرب سوف تدور داخل مصر . . وأن هذا هو الخراب بعينه!

وكان حسنين يقص علىّ تفاصيل هذا الحديث وهو حائر فى فهم عقلية النحاس باشا . . وكيف أنه أصبح آلة فى يد الإنجليز . . وكان مما قاله (النحاس باشا بقى خلاص فى إيد الإنجليز لأنه لو كان يعرف أن الأمر بيد الشعب لما بقى فى رئاسة الوزارة خمس دقائق . .) .

* * *

ثم انتقل حسنين إلىَّ بالحديث عن الشائعات التى تقول إن الجيش البريطانى فى الصحراء الغربية لا يريد أن يحارب . . وقارن بين موقف الجيش البريطانى اليوم وموقف الجيش الإيطالى أيام كان الجنود الإنجليز تحت قيادة الجنرال ديفيل . . وكانوا يومئذ يحاربون بشجاعة بينما كان الجنود الإيطاليون يهربون . . وأضاف أن الآية قد عكست فأصبح الجنود البريطانيون هم الذين يهربون . . والجنود الإيطاليون والألمان هم الذين يحاربون ويجرون وراءهم . .

واستطرد حسنين فى حديثه فقال : إن طيارا إنجليزيا كان زاره فى داره . . وأنه - أى حسنين - جره فى الحديث إلى أن اعترف له الطيار بأن هناك أمرا مريبا فى استسلام حامية حصن طبرق المنيع . فقد قال له الطيار إن جنود حامية الحصن رفضوا أن يقاوموا واستسلموا للألمان بدون قتال . .

ومضى حسنين يقول: إنه إذا كانت هذه هى الحالة فكيف يكون النحاس باشا مطمئنا؟ بل لعل روميل يعرف هذه الحقيقة وأن الجنود البريطانيين قد انهارت معنوياتهم، ومن هنا نراه الآن يسرع فى زحفه لكى لا يعطيهم فرصة لجمع جموعهم ولم شملهم. . وقد لا يبعد أن يدخل على مكتبى - فى أى وقت - يدخل ضابط «ألمانى» ويرفع يده بالتحية . . هاى هتلر!

ثم قال إن هناك موجة لاسلكية قد مدت بين أمريكا ومصر لنقل الصور الفوتوغرافية وقد افتتحها مستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة بإرسال صورة له مع محمود حسن بك وزير مصر المفوض فى واشنطن وقد نشرت الصحف المصرية يومها الصورة المذكورة. . ورأينا بعدها أن ترسل القاهرة ردها على هذه التحية وذلك بأن ترسل صورة جلالة الملك مع مستر كيرك وزير أمريكا المفوض فى القاهرة، وانتهزنا فرصة إقامة حفلة ما وهناك وقفت مع مستر كيرك وتحدثت معه فى مسائل عادية وكان مما قلناه. . إننى زرت أمريكا منذ سنوات وتعرفت برجالها وقلت لهم يومها إن أمريكا سوف تأخذ مكانها فى قيادة العالم الحر فى يوم ما وإننى سعيد بأن نبوءتى قد تحققت. .

وكنت أظن أن كيرك سوف يسره كلامى هذا أو يعلق عليه بكلمة أو عبارة ما. . ولكنه بقى شارد الذهن ينظر إلىَّ وكأنه لا يرانى. . أو كأنه لم يسمع حرفا مما قلته. . والسبب هو أن الرجل كان يدرك مدى الكارثة التى حلت بجيش الحلفاء فى الصحراء الغربية بينما لم أكن أنا قد عرفت هذه الحقيقة. . ورغم ذلك فإن النحاس باشا يعلن أن الحالة تدعو إلى الاطمئنان. .

ثم قال حسنين بانفعال وصوت عال: بأه دى بلد. . حديث الناس كله عن الخلاف الذى وقع بين النحاس ومكرم عبيد - وسوف أتحدث عنه فيما بعد - بينما الألمان على أبواب مصر والبلد كله مهدد بالخراب إذا قرر الإنجليز أن يقاوموا وأن يحاربوا فى دلتا النيل والأرياف!

***

ثم عاد حسنين وتحدث عن عقلية النحاس باشا فقال. . إنه - أى حسنين - كان قابله غداة سقوط طبرق فى أيدى الألمان، ومن هنا فقد كان يتوقع أن يحدثه النحاس باشا

عن هذه الكارثة المروعة والتي فتحت الطريق أمام روميل إلى الإسكندرية ودلتا النيل . . ولكن النحاس لم يحدثه في شيء من هذا ، بل راح يسأله عما تم في براءات رتبة الباشوية للوزراء ولماذا لم يرسلها ديوان الملك حتى الآن . .

ومضى حسنين في روايته يقول : إنه أكد للنحاس باشا أن البراءات قد أرسلت فعلا وهنا استدعى مصطفى النحاس - يرحمه الله - سكرتيره الخاص وسأله في هذا ، فقال السكرتير الخاص ، إن البراءات المذكورة قد وصلت منذ بضعة أيام . .

وضحك النحاس باشا وقال لحسنين إنه لم يكن يعرف أن البراءات موجودة في مكتبه.. وأنه سوف يغيظ الوزراء ويقول لهم إن البراءات لم تصل.. ولهذا لن يصبحوا باشوات..

***

ثم ابتسم حسنين وهو في أشد حالات الانفعال وأقسم بدينه وكل ما يملك أنه لو كان الأمر بيده . . وربنا سبحانه وتعالى أنقذ البلد من خطر دخول الألمان لذهب يومئذ إلى الملك فاروق يرجوه أن يفوضه في اختيار أعضاء وزارة جديدة تخلف وزارة مصطفى النحاس . . ويومها كان يختار هؤلاء الوزراء من (العيال اللي لسه بيلعبوا في . .).

وكان بين الذين رشحهم حسنين يومئذ لدخول الوزارة الأستاذ أحمد حسين . . وكان يومئذ زعيما لحزب مصر الفتاة . .

وآخر - أعفي نفسي من ذكر اسمه - وهو صحفي سابق وسجين الآن!

***

وأجد في مفكرة الجيب الصغيرة أنني - كما سبق أن ذكرت - غادرت القاهرة بالقطار في يوم الاثنين ٢ أبريل عام ١٩٤٥ إلى العبارة ومنها إلى حيفا ثم بيروت . .

ومن بيروت بالسيارة إلى طرابلس . . ثم من طرابلس بالقطار إلى أنقرة . . وبعدها إستانبول حيث أمضيت هناك نحو ثلاثة أسابيع على ضفاف البسفور . . وعدت ثانية إلى أنقرة . .

وفي يوم الجمعة ٤ مايو دعوت الملحق الصحفي بالسفارة البريطانية واسمه مستر

«آلن» لتناول طعام الغذاء معى فى مطعم (كريتشر) . . وقد دعوته لكى يتوسط لى لدى القنصل البريطانى من أجل إعطائى (فيزا) لدخولى اليونان . . وفعلا حصلت على (الفيزا) المطلوبة . . وحول مائدة الغذاء سألنى الرجل (وهل لا تزال إيڤى نمر صديقة لسير مايلز لامبسون؟) .

وكلمة «صديقة» هذه . . معناه محظية أو خليلة . . !

قلت إننى لا أعرف . .

وضحك مستر آلن وقال : (ومع ذلك فإن والتر سمارت هو أصدق صديق لمايلز لامبسون . .) .

وصديقه هذا كان سير والتر سمارت السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية وكان متزوجا من السيدة «إيڤى» كريمة فارس نمر باشا أحد أصحاب جريدة المقطم التى كانت يومئذ لسان حال الإنجليز . .

* * *

قلت إن الملك فاروق كان يصحب معه لامبسون لصيد البط فى بحيرة أكياد . . وكان البط الذى يصطاده السفير البريطانى لا يكلفه ثمن الخرطوش قط . . ولكنه كان يرسله مع أحد خدم السفارة لكى يبيعه فى سوق الخضار بأثمان عالية! ويقبض لامبسون ثمن البط . .

كذلك كان يستورد السيجار من سويسرا . . والسجاد الثمين من إيران . . ولا يدفع عنهما أية رسوم جمركية لأن رجال السلك الدبلوماسى معفون من دفع هذه الرسوم . .

ولكن كان يبيع السيجار . . ويبيع السجاد . .

تلك كانت وضاعة أو دناءة الرجل الذى كافأته حكومته عقب عودته فى يوم ٤ فبراير وعدوانه على سيادة مصر واستقلالها . . كافأته وانعمت عليه بلقب لورد أوف كيلرن . . !

وأتوقف هنا قليلا لكى أنشر أحد أسرار الحرب العالمية الثانية . .

وهذا السر هو . . . . .

الفصل الخامس

مطلوب .. خطف أم كلثوم وعبد الوهاب!

أجد في مفكرة الجيب أنني دعوت مستر دونالد الملحق الصحفي بالسفارة البريطانية في باريس.

وجرنا الحديث إلى الغناء في مصر وإلى المعجزة التي اسمها أم كلثوم . . والموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب . .

قال إنه عندما لاح شبح الحرب في الأفق في أوروبا صيف عام ١٩٣٩ ، لاحظ رجال المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط أن عملاء المحور راحوا يجمعون من أسواق القاهرة وتل أبيب ويافا والقدس وبيروت ودمشق وحلب إلخ . . جميع الأسطوانات العربية وخصوصًا أسطوانات أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب . . وهنا أدركت أقلام المخابرات أن المحور يستعد لحرب الدعاية؛ ومن ثم نشطوا هم أيضًا إلى شراء هذه الأسطوانات وكان سباقا حارا بين الفريقين . . وسبب جمع هذه الأسطوانات هو أن إذاعة لندن أو إذاعتي باري (إيطاليا) وبرلين، سوف تضمن كل منهما أن يسمع ملايين العرب إلى نشرات الأخبار التي تذيعها؛ إذا هي أدارت الأسطوانة قبل أو عقب إذاعة نشرة الأخبار . .

***

ومضى صاحبي يقول إنه عندما حل عام ١٩٤٢ ، وبدأ الماريشال روميل هجومه في يناير واستولى على «بني غازي» التي كان يحتلها البريطانيون . . ثم سقطت بعدها في يديه طبرق . . وانطلق مع الفيلق الأفريقي صوب الإسكندرية ودلتا النيل . .

ثم سكت دونالد وهو يبتسم لكى يرى وقع حديثه فى نفسى وسألنى :

ـ هل تعرف ماذا كانت السلطات البريطانية فى القاهرة تريد أن تعمله . . ؟

ـ إرغام الحكومة المصرية على اصطحابها إلى خارج البلاد لكى تقوم «حكومة مصر الحرة» على غرار حكومة جنرال ديجول . .

ومضى يقول إن وزارة الاستعلامات البريطانية ألحت فى نقطة واحدة وأمرت رجالها فى القاهرة باتخاذ كافة التدابير مهما كان الثمن .

ومرة أخرى سكت ثم قال : إخراج عبد الوهاب وأم كلثوم بالرضا أو الإكراه من مصر !

وهنا بدت الدهشة على وجهى وضحكت . .

وفهم هو من ضحكى أننى أشك فى صدق روايته فقال بلهجة كلها جد : صدقنى . . هى الحقيقة ما أقول . . فقد كان فى عزم السلطات البريطانية إذا ما اضطرت إلى الانسحاب من مصر أن تصحب أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب لأنهما كانت تخشى أن تستغلهما الدعاية الألمانية إلى حدود الاستغلال ، ولقد كان يكفى أن يذيع الراديو ـ الألمانى المصرى ـ أن أم كلثوم أو عبد الوهاب سوف يغنى هذا المساء لكى ينصت العالم العربى إلى إذاعة محطة القاهرة التى يسيطر عليها الألمان . .

سألته : وهل كنتم تضمنون أن عبد الوهاب . . وأم كلثوم . . سوف يقبلان أن يغنيا ويقفا أمام الميكروفون؟

قال : محال أن تكون جادا فى سؤالك هذا . . وفعلا فإنك لا تعرف شيئا عن النازيين . . فقد كان من السهل جداً أن يجذب عبد الوهاب أمام الميكروفون ووراء ظهره جندى ألمانى (ينخره) بطرف السنكى إذا توقف عن الغناء .

وكذلك الحال مع أم كلثوم . . !

* * *

قلت إننى زرت حسنين باشا فى داره فى صباح يوم السبت ٢٧ يونية ١٩٤٢ وقد

دار يومها حديث طويل . . وكان مما قاله بحدة ومرارة إنه لا يوجد فى مصر زعيم واحد جدير بالثقة والاحترام!

ولقد فهمت من كلامه أن النحاس باشا بعد أن تورط إلى أبعد حد فى تأييد الإنجليز ليس بالرجل الذى يمكن أن يتفاهم معه الألمان إذا دخلوا مصر أو الرجل الذى يمكنه أن ينقذ ما يمكن إنقاذه . . وأن واجب النحاس باشا والحالة هذه هو أن يستقيل.

***

ولست أعرف هل هذا كان رأيه الشخصى أم كان رأى الملك فاروق . .

وهنا قلت له : لقد عرض عليك جلالة الملك رئاسة الوزارة ثلاث مرات ورفضتها . . ولكن أظن أن من واجبك الآن أن تقبل . . يومئذ يمكن أن تتفاهم مع الإنجليز على عدم خراب البلاد.

ولكنه قال إن الإنجليز يتهمونه بأن سياسته (ماكيافيلية) وأنهم لن يطمئنوا.

وأراد حسنين - وقد أحس بالحرج - أن يتحدث فى موضوع آخر فقال:

- وهناك أمر عندما أفكر فيه ترتجف ركبى . . !

- قد يضطر الإنجليز إلى الانسحاب من مصر . . وفى هذه الحالة فإنهم قد يأخذون معهم - ولو بالقوة - الملك فاروق . .

- هذا أمر محتمل جدًا . . ويصبح (مولانا) مثل بطرس ملك يوغسلافيا وجورج الثانى ملك اليونان . . ويومها يتخذ الإنجليز من الملك فاروق مادة للدعاية ويقولون إنه خرج معهم بمحض إرادته هربًا من طغيان الألمان . . وقد يذيعون باسمه بيانات ونداءات . . يوجهونها إلى الأمة العربية . .

ثم سألت حسنين باشا ، يرحمه الله : ولماذا لا يفكر الملك فى الهرب ساعة حلول الخطر . . ثم يعود إلى مصر بعد دخول الألمان؟

قال : مستحيل لأن جلالة الملك تحت رقابة شديدة من الإنجليز.

سألته : وهل وصل الأمر إلى هذا الحد؟

قال: نعم مع الأسف ومولانا لا يجد أحداً يطمئن إليه أو يثق فيه، حتى ولا حكومته لأنه هناك من مع الإنجليز . . ثم نفرض أن الملك استطاع الهرب . . وبعدها حدثت معجزة وتمكن الإنجليز من صد زحف قوات روميل فماذا يكون موقف (مولانا) بعد فراره من مصر؟ تماما لن يستطيع بعدها أن يعود.

وسكت حسنين قليلا ثم قال: إن الصعوبة هي في تحديد اليوم أو الوقت الذي يمكن أن يقال بعدها إن كل أمل الإنجليز في كسب المعركة قد ضاع . . وإنهم لابد أن يخرجوا من مصر وأن هذه هي الساعة أو هذا هو اليوم . . هذه هي الصعوبة . .

***

قلت: يوم يجتاز روميل خطوط الإنجليز عند مرسى مطروح . .

ولكن حسنين قال كلا . . لأن الإنجليز كما سمعت ينوون مواصلة الدفاع والحرب حتى ولو استولى الألمان على مرسى مطروح . . وهم ينوون تدمير خزان أسوان وقناطر محمد علي؛ لكي يغرقوا أراضي الدلتا ويجعلوها بحرا من الطين تغوص فيه دبابات الألمان . .

وهنا هززت رأسي وقلت ما خلاصته . . إن كل هذا كلام فارغ لأنه إذا ضاعت مرسى مطروح . . ضاع كل شيء . . ولابد للإنجليز يومها من الانسحاب . . ومغادرة البلاد.

-يعني في رأيك أن راية الخطر هي سقوط مرسى مطروح؟

-نعم . . دون شك . .

وسكت حسنين قليلا يفكر . .

وعدت أنا وقلت: ومن يعرف . . إذا تمكنوا من حمل جلالة الملك قسرا معهم فقد يأخذون معهم أيضًا النحاس باشا ووزراءه لتكوين حكومة مصر (الشرعية أو الحرة) في الخارج . .

مررت على جريدة «الأهرام» وسمعت من أحد محرريها أن مستر كيرك وزير أمريكا المفوض ورجال المفوضية قد غادروا القاهرة . . وأن إشاعة سفر أمين باشا عثمان صحيحة لأنه صحب أسرته إلى فلسطين ثم عاد.

ومضى المحرر المذكور يقول إنه قابل جنرال ستون أمس وأن الجنرال البريطانى المذكور قال إن أعصاب النحاس باشا تعبانة جداً . . فقد اجتمع به أمس وكان معهما السفير مايلز لامبسون ومستشار السفارة والز سمارت . . وأن السفير تكلم لمدة ربع ساعة وأن ستون تكلم لمدة خمس دقائق فقط . . أما النحاس باشا فقد مضى يتكلم لمدة ثلاث ساعات!

هذا وقال جنرال ستون إن تدمير المنشآت أو عدم تدميرها مسألة تبت فيها وزارة الحرب فى لندن وإن القيادة البريطانية فى مصر لا تملك حق اتخاذ قرار فيها . . ثم قال إنهم إذا كانوا وعدوا النحاس بشىء ما منذ يومين فإن الأمور تتطور من يوم إلى يوم والوعد الذى يعطى فى ضوء حالة ما فى يوم قد يجوز نقضه فى ضوء حالة أو ظروف جديدة .

واستطرد المحرر بجريدة «الأهرام» يقول إن سفيرنا فى لندن الدكتور حسن نشأت باشا أرسل برقية يقول فيها إنه نظرا لاحتمال دخول قوات المحور مصر وانقطاع الإرسال بينه وبين مصر فإنه يطلب إرسال خمسين ألف جنيه لتغطية نفقات السفارة .

* * *

وساد الذعر فى الأوساط المالية وهرع الناس إلى البنوك يسحبون أموالهم المودعة فيها ويبدو أن البنك الأهلى قد تأثر أكثر من البنوك الأخرى ومن هنا لجأ مديره إلى وزير المالية صدقى باشا لكى يجد له مخرجا .

وقال لى أحد موظفى البنك إنهم يتحججون بالتغيب والانقطاع عن العمل لكى يتخذوا من غيابهم ومن قلة عدد الموظفين الموجودين عذرا يبررون به عدم استطاعتهم صرف المبالغ المطلوب سحبها من البنك .

وانقل عن مذكراتى المكتوبة فى يوم السبت ٤ يولية عام ١٩٤٢ .

قابلت صدفة صباح اليوم أحمد الوكيل وقلت له : قل لى بالله إيه الأخبار التى لم يقلها مصطفى باشا للوزراء .

ـ الإنجليز طلبوا منه أن ينتقل معهم هو والوزراء . . ولكنه رفض وقال لهم إنه

قاعد فى البلد واللى يجرى على البلد يجرى عليه . . وتضايق الإنجليز منه وبدءوا معه سياسة التريقة!

***

وذهبت إلى مكتبى فى «آخر ساعة» فوجدت أنطون الجميل ينتظر فيه ورويت له ما سمعته من أحمد الوكيل فقال إن الخبر صحيح وإن الوزراء الذين تصدوا لنفى الخبر إما أنهم كاذبون وإما أنهم لا يعرفون الحقيقة لأن النحاس باشا أخفاها عنهم. والحقيقة هى أن السفير البريطانى عرض الأمر بلباقة على الملك فاروق وقال له إن الخطر محتمل وإن الألمان قد يدخلون مصر فى هذه الحالة، ربما يفكر الملك فى الانتقال إلى بلد آخر فإذا استقر رأى جلالته على هذا فإنهم - أى الإنجليز - مستعدون لأن يقدموا لجلالته جميع التسهيلات والخدمات، ولجلالته أن يختار البلد الذى يفضله على غيره . . وقد رد فاروق شاكراً وقال إنه لا ينوى مغادرة مصر.

ومضى أنطون الجميل باشا يقول لى . . وهنا ذهب مايلز لامبسون وقابل النحاس باشا وتحدث معه فى نفس الموضوع ولكن النحاس باشا رفض مغادرة مصر وقال (لن تخرج الوزارة من مصر . . وعلى كل حال إننا تحت أمر جلالة الملك وما يريده سوف ننفذه).

وكان ردا بارعا من النحاس باشا لأنه أثبت أولا ولاءه وإخلاصه للملك فاروق وألقى ثانيًا المسئولية على الملك.

***

ثم تحدثنا - أنطون الجميل وأنا - عمن عساه يكون (رجل الساعة) الذى يستطيع مواجهة الموقف بأخطاره واحتمالاته والذى يمكنه إعداد العدة.

وقال أنطون الجميل إنه يعتقد أن إسماعيل صدقى باشا هو أقدر الزعماء جميعًا على مواجهة الموقف وأنه (رجل الساعة) لأنه أولا معروف بتأييده من قديم للسياسة الإنجليزية وبصداقته للساسة الإنجليز . . ورغم ذلك فإنه لم يتورط معهم أثناء الحرب، ولأنه ثانيًا أبدى نوعًا من الميل أو الصداقة لألمانيا فى بداية الحرب، وهو ما أكسبه ثناء الإذاعة الألمانية دون أن يفقده حسن ظن الإنجليز . .

ومضى رئيس تحرير «الأهرام» يقول إنه لو كان إسماعيل صدقى على رأس الحكومة الآن لاستطاع أن يجلو الموقف من كافة الوجوه، ولكان أرسل بصفته رئيس الحكومة المصرية رسالة إلى الماريشال روميل يشرح فيها وجهة نظر مصر المستقلة من هذه الحرب ومن الوجهة الدولية، ثم يطلب منه أن يحدد موقفه ونوايا حكومة ألمانيا.

* * *

وكان النحاس باشا قد صرح فى البرلمان وفى مجالسه وأمام أنصاره أكثر من مرة بأن الحالة تدعو للاطمئنان. ثم تبين بعد ذلك أن الحالة ليست مرضية ولا هى تدعو للاطمئنان وهذا من وجهة نظر الإنجليز. ولقد ظن يومئذ كثيرون أن النحاس باشا - يرحمه الله - كذب على الشعب وخدع ممثليه فى البرلمان أو على الأقل أنه ضحية الإنجليز أنفسهم كانوا مخدوعين فى قوتهم وفى براعة قوادهم، وهذه هى الحقيقة كما وضحت من خطبة وينستون تشرشل التى قال فيها إن السرعة الخاطفة التى زحف بها روميل أفسدت كافة الخطط التى كانت وضعتها القيادة البريطانية، فقد كان الإنجليز يظنون أنهم بانسحابهم مائة وخمسين ميلا سوف يكسبون أسبوعين أو ثلاثة أسابيع يرتاحون فيها ويجمعون قواهم ليعيدوا تنظيم قواتهم ثم يعودون ويهاجمون قوات روميل..

ولكن ثعلب الصحراء روميل - كما أسماه تشرشل - دفع بقواته وراءهم بسرعة خاطفة ولم يترك لهم يومًا واحدًا يستريحون فيه.. وهكذا فقد فوجئوا بوجوده أمامهم عند العلمين بعد خمسة أيام فقط من بدء انسحابهم أى أنه استطاع أن ينقل جيشه وجميع معداته وأسلحته مسافة مائة وخمسين ميلا فى خمسة أيام..

* * *

هذا ما أعلنه تشرشل فى خطبته ومن هنا نفهم لماذا كان الإنجليز متفائلين ومطمئنين إلى الحالة، ولكن تطور الموقف بسرعة زحف روميل وقواته قلب خططهم واطمئنانهم رأسًا على عقب. وهنا اضطروا أن يطلعوا النحاس باشا على الحقيقة أو على جانب منها وأن يصارحوه بأن الحالة ليست مرضية ولا تدعو للاطمئنان وأن دخول قوات المحور دلتا النيل خطر محتمل.. وكانت نقطة التحول

من الاطمئنان إلى الذعر والقلق هى مطلبهم من النحاس باشا الخروج معهم هو ووزراؤه.

***

وفى المساء ذهبت كعادتى إلى جريدة «الأهرام» وكان يوجد كثيرون فى غرفة رئيس تحريرها، أنطون الجميل باشا - يرحمه الله -.

ودار بيننا حديث عما عسى أن يحدث للوزارة إذا دخل الألمان مصر . . وقلت أنا إن النحاس باشا يرفض أن يستقيل لأنه يعتبر استقالته فرارا من الميدان . . وأن الملك لا يريد أن يأخذ على نفسه مسئولية إقالة النحاس باشا لأنه يخشى مما قد يفعله الإنجليز فى حالة إذا ما نجحوا فى وقف زحف الألمان وردهم عن مصر كذلك لا أظن أن الملك فى حالة دخول الألمان - سوف يختار من تلقاء نفسه - على ماهر باشا رئيساً للوزارة لأنه سوف يؤيد باختياره هذا صحة ما شاع وذاع عنه وهو أنه - أى فاروق - ضالع مع الألمان والإيطاليين . . وقد يحاسبه الإنجليز على هذا إذا قدر لهم النصر وعادوا وطردوا الألمان من مصر، ولهذه الأسباب كلها أصبحت أرى رأى أنطون الجميل باشا وهو أن الملك سوف يختار إسماعيل صدقى باشا رئيساً للوزارة فى حالة ما إذا دخل الألمان مصر.

ولكن أحد الموجودين لم يوافقنى على رأى هذا وقال - بل أكد - إن (رجل الساعة) هو على ماهر وأنه رئيس الوزارة القادمة، وأن الأمر متفق عليه منذ عدة أسابيع وأن التصريح المشترك الذى أذاعته إذاعات برلين وروما وبارى، وأعلنت فيه أن قوات المحور - ألمانيا وإيطاليا - التى تدخل مصر سوف تدخلها لكى تحررها من الاستعمار البريطانى وهكذا تعيد إليها استقلالها وحريتها، وأنه ليس عند ألمانيا وإيطاليا أية نية للانتقاص من استقلال مصر وحرية المصريين.

ومضى حضرته يقول إن هذا التصريح الذى اشتركت فى صياغته وإعلانه حكومتا هتلر وموسيلينى قد تم بفضل مساعى مراد سيد أحمد باشا الصديق الحميم القديم لعلى ماهر باشا، والذى كان يقيم منذ بداية الحرب فى مدينة جنيف فى سويسرا بعد أن رفض العودة إلى مصر.

***

سبق أن قلت إن حسنين باشا كره النحاس باشا وأقسم أن ينتقم منه .

ومن آيات هذه الكراهية . . ما وجدته مكتوبا فى مذكراتى . . وهو :

زرت حسنين باشا فى داره وبدأت الحديث فقلت إما أن الوزراء يكذبون وإما أن النحاس باشا لا يطلعهم على الحقائق، وذلك أن اثنين منهم أكدا لى أنه ليس صحيحًا أن الإنجليز طلبوا من النحاس باشا انتقال الوزارة معهم إلى بلد آخر، بينما سمعت من مصدر موثوق بصدق أخباره أن الخبر المذكور صحيح . . فما هى الحقيقة؟

قال حسنين إن الخبر صحيح . . وقص على تفاصيل كثيرة ومنها الحديث الذى دار بين الملك فاروق والسفير مايلز لامبسون فى هذا الموضوع وكيف أن الملك رفض أن يغادر مصر إلى آخره .

ومضى حسنين يقول :

- ولما عرض النحاس باشا الأمر على جلالة الملك قال أولا إنه رفض طلب الإنجليز، وإنه قال للسفير إن الوزارة لن تغادر مصر وأنهم (قاعدين) مهما حدث . . ثم عاد وقال (وعلى كل حال لا أريد أن أؤثر على جلالتكم أقل تأثير فيما إذا رأيتم رأيا آخر) .

وتساءل حسنين ما معنى هذا؟ ثم أليس النحاس باشا وهو رئيس الحكومة وكبير مستشارى الملك ومن واجبه والحالة هذه أن يبدى رأيه صريحًا واضحًا فى مثل هذا الموقف الخطير . . وما معنى تردده وتراجعه؟

مع أنه سبق أن اتفق مع رفعته على عدم مغادرة الملك والوزارة البلاد؟ . . اللهم إلا أن يكون النحاس باشا يريد أن يجس نبض الملك . . ويريد (توقيعه) لكى يرى هل لا يزال مصمما حقيقة على البقاء فى مصر أو هو يفكر فى الهرب من الإنجليز ومغادرة مصر سرًا إلى بلد آخر؟ . . ولمصلحة من هذا المكر من جانب النحاس باشا؟ . .

***

وهكذا قلت لحسنين إننى لم أفهم أين هو مكر النحاس باشا . .

وازداد حسنين باشا حدة وغضباً وقال: المكر يا أستاذ في قوله للملك إنه لا يريد أن يؤثر عليه فى حالة ما إذا كـان له رأى آخر.. يعنى يا جلالة الملك.. أنا زى أبوك.. قل لى ولا تخبيش على إذا كنت عاوز تهـرب من الإنجليز وتخـرج من البلد قل لى وأنا أسـاعدك..) أهو ده المكر يا سي مـحمـد.. عـاوز يعرف علشـان يجرى بعـدها ويروح للإنجليز يقول لهم الحقوا الملك راح يهرب من مصر..

وأنكرت على حسنين باشا هذا فى النحاس باشا وقلت له (مش للدرجة دى يا باشا حرام عليك).

قال: حرام على؟ يظهر أنك عبيط. . أعرف باأه أن النحاس باشا أصبح دلوقت مـحل ثقـة الإنجليـز تمامـاً . . ولقـد قـاوم فى أول الأمـر إلى حـد مـا ولكنه انتـهى بالاستسلام لهم استسلاماً تاماً والفضل فى ذلك لأمين باشا عثمان.

ثم مـضى حسنين يقـول: حـدث مرة فى إحـدى جلسـات مـجلس الوزراء. . وكانت المعارك الحربية تسير من سيئ إلى أسوأ أن قال النحاس باشا للوزراء: (يظهر إن الإنجليز ينوون عمل شوية تدمير خفيف!).

وصاح الوزراء فى وجهه. . كيف؟ . . وهنا تراجع رفعته وقال (ده اللى فـهمته وجـايز أكـون غلطان. .) ولكن الوزراء قـالوا له. . لازم تسـتـدعـى بكره السـفـيـر وجنرال ستون وتناقشهما وتأخذ منهما وعدا صريحاً بعدم تدمير أى شىء.

واستطرد حسنين باشا يقول: وكان فى وسع النحاس باشا أن يذهب إلى البرلمان ويصارحه بالحقيقة ويطلعه على كل ما يعرفه عن نوايا الإنجليز، أو على الأقل لا يكمم البرلمان ولا يخدعه ولا يضلله بالأكاذيب بل يتركه يتكلم ويحتج ويثور، ويتخذ من ثورة أعضاء البرلمان حجة يستند إليه فى أحاديثه ومفاوضاته مع السلطات البريطانية فيقول لها مثلا (إن البرلمان وهو من أنصار الوفد. . هائج ثائر ضدى فكيف أحكم بينما نفس أنصـارى ثائرون ضـدى) . . وفى هذه الحـالة كـان يمكن للنحاس باشا أن يطلب من الإنجليز ضمـانات مطمئنة، ولكنه لم يفعل بل فعل العكس تماماً فقد ذهب إلى البرلمان وألقى فيه تصريحات مطمئنة بينما هو يعلم أنها غير صحيحة. . وأن الإنجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير التام. . وعلى أساس هذه التصريحات الكاذبة المطمئنة حصل رفعته على ثقة البرلمان بينما كانت المصلحة كل

المصلحة هو أن يخرج من البرلمان مهزوما لكى يستطيع أن يوقف الإنجليز عند حدهم . . ولكن يظهر أن أمين عثمان سحر النحاس وحذره تمامًا حتى أصبح يفعل كل ما يطلبه منه أمين عثمان .

ثم قال حسنين إن من بين ما ينوى الإنجليز عمله عند انسحابهم من مصر هو أن يطلقوا الماء المالح من البحر الأبيض فى ترعة المحمودية لكى تغرق جميع الأراضى الزراعية الواقعة على ضفتيها وهذه العملية إذا أريد إصلاح الضرر الناتج منها سوف تكلف مصر أربعين مليونا من الجنيهات .

* وبعدها وصف حسنين باشا تفاصيل مقابلته له مع النحاس باشا وروى الحديث الذى دار بينهما وقال : قال النحاس باشا إن الإنجليز خانوه وكذبوا عليه وحنثوا فى إقسامهم ولم يحافظوا على تعهداتهم التى أعطوها لرفعته . . وأردت أن استدرجه فى الحديث فقلت له إننى استبعد يا رفعة الباشا صحة هذه الإشاعات وأن فى نية الإنجليز تدمير كذا وكذا وكيت ولكنه صاح فى وجهى (بل هى الحقيقة يا حسنين باشا . . التدمير العام والخراب التام) .

فقلت له : سوف نسجل احتجاجنا . . ثم سألته وبعدين؟

قال رفعته : وبعدين؟ . . بعدها يفعل الله بنا ما يشاء .

* * *

ثم مضى حسنين فى حديثه فقال إنه يتهم وزير الأشغال عثمان محرم باشا إنه أمر رجاله سراً بمساعدة الإنجليز فى تنفيذ خططهم .

واستطرد حسنين يقول إنه لم يأت على مصر يوم كانت فيه محتلة احتلالا تامًا كما هى الآن ، فقد كان الإنجليز يحاولون منذ شهور الحصول على نصيب فى حق حراسة بعض الطرق والمنشآت ولكن طلباتهم فى هذا الموضوع كانت ترفض دائمًا ، ولكنهم الآن وبموافقة النحاس باشا قد تغلغلوا فى صميم الريف وأصبح كل شيء فى قبضة أيديهم فإذا أزفت الساعة التى يرون فيها أنهم خسروا المعركة أمكنهم أن يدمروا كل شيء ؛ لأن كل شيء فى أيديهم الآن وفى حراستهم ولن يكون لمصر يومها حق الاعتراض لأنهم سوف يقولون كل شيء قد تم بالاتفاق مع رئيس الحكومة أى مصطفى باشا النحاس . .

ثم قال: إذا نفذ الإنجليز خططهم فإن النتيجة هى خراب الدلتا أى الوجه البحرى، وكان قائدًا من أبرع قواد الجيش الفرنسى وهو الجنرال كاترو قال لهم إن كل ما يهمهم فى مصر هو قناة السويس.. وأن خط الدفاع عن القناة ليس فى الصحراء وإنما فى الدلتا وعلى ضفتى النيل، ذلك لأن الدلتا تعد من وجهة النظر الحربية هبة لا تقدر للقائد الذى يدافع عنها، إذ إنها بعشرات القنوات والمصارف التى تشقها وتخترقها طولا وعرضا وبأراضيها الهشة الطرية وبقناطرها التى يمكن تدميرها عند اللزوم فى ساعة واحدة تعطل وتعوق زحف الجيش الذى يهاجم ويحاول التقدم.. وهكذا تصبح الدلتا ميدانًا للمعارك.. ويحل الخراب بكل بلدة بل بكل قرية فيها..

وهنا قلت لحسنين: إذن فالأمل الوحيد فى إنقاذ البلاد من الخراب هو فى ثورة تنفجر من البرلمان ثم بين أفراد الشعب، ويومئذ يضطر النحاس باشا والإنجليز إلى أن يتمهلوا ويراجعوا موقفهم ويفكروا مرة ومرات قبل أن ينفذوا خططهم.

وقال حسنين: ربما كان هذا ممكنا منذ عشرة أيام قبل أن يضع الإنجليز أيديهم على كل شىء.. كان هناك أمل فى أن يتمهل الإنجليز وأن يحجموا عن التدمير أو لو أن الجيش المصرى كان تولى حراسة المنشآت.. لأن الإنجليز كانوا يفكرون يومها طويلا قبل تدمير هذه المنشآت خوفًا من وقوع تصادم بينهم وبين الجيش المصرى. أما الآن فقد ضاعت الفرصة ولم يبق هناك ما يخشاه الإنجليز لأنهم كما قلت لك هم الذين يتولون الآن الحراسة وحماية جميع المنشآت.

ثم مضى يقول: لقد قال لى النحاس باشا أثناء حديثى معه: (تصور يا حسنين باشا أن الإنجليز عاوزين يدافعوا عن القاهرة!.. يدافعوا عنها بالرشاشات من النوافذ والبلكونات وسطوح المبانى والعمارات.. وبالقنابل اليدوية كمان.. وأنا قلت لهم وفايدة ده كله إيه؟..).

وتنهد حسنين وهو يقول: إذا قدر لك أن تكتب فى يوم ما عن هذه الأيام فاكتب وقل إن شيوخ البلد ونوابها قيل لهم إن هناك خطرا يهدد بيوتهم بالحرق ويهدد أراضيهم بالغرق ويهدد ريف مصر وقراه بالدمار التام، ولكنهم سكتوا خوفا من ضياع مكافأة الأربعين جنيها التى يقبضها كل منهم من خزينة البرلمان.

وقفت أتهيأ للخروج . . وهنا سألنى حسنين باشا وهو يسير معى إلى الباب هل تظن أن هناك خطراً على الملك؟ أى أن يأخذه الإنجليز معهم رغم أنفه؟

قلت: لا أظن أن الغباوة تصل بهم إلى هذا الحد . . ثم ما الفائدة التى تعود عليهم من أخذ الملك قسرا وقهرا . . ؟

قال: ليس الخطر فى أنه ملك ولكن الخطر هو أن مصر وملكها لهما مكانة فى العالم العربى والإسلامى، وقد يخشى الإنجليز أن يستغل الألمان هذه المكانة ويبنوا عليها دعاية واسعة فى مصلحتهم وضد الإنجليز، ولهذا فقد يفكرون فى أن يرغموا الملك على اصطحابهم ولو بالقوة والإكراه.

الفصل السادس

فصل مكرم عبيد من الوفد

انقل من مذكراتى المكتوبة فى يوم ٦ يولية عام ١٩٤٢ .

عقد مجلس النواب جلسة سرية وبعد انفضاضها اجتمع الوفد وأصدر قراراً بفصل مكرم عبيد راغب حنا من الوفد والهيئة الوفدية . .

وقال لى اليوم فؤاد باشا سراج الدين (إنه قرار حكيم وعادل) وأن الرأى العام يؤيده بل وكان يطالب به . . وإن المعارضة نفسها استهجنت موقف مكرم باشا إذ بينما الحرب على أبواب مصر والحالة تزداد خطورة ساعة بعد ساعة . . والمعارضة نفسها تنسى خلافًا لأنها مع الوزارة وتؤيدها فى موقفها الخاص بالدفاع عن البلاد . . يقف مكرم باشا فى مجلس النواب ويطلب المناقشة فى الاستثناءات وفى سوء استعمال سيارات الحكومة ثم يقول إن ـ أسبوع البر ـ «مشروع السيدة حرم النحاس باشا» هو ضريبة لم يصدر بها قانون . . ثم يتهم الوزارة بالتفريط فى حقوق البلاد .

***

من مذكراتى المكتوبة فى يوم الثلاثاء ٧ يولية عام ١٩٤٢ .

قابلت فى جريدة «الأهرام» الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشئون الاجتماعية وعند انصرافنا دعانى للركوب معه فى سيارته ؛ لأنه يريد أن يتحدث معى فى أمر مهم . .

وهذا الأمر المهم هو أنه كان حائرا أى موقف ينبغى له أن يتخذه بين صديقه القديم مكرم عبيد وبين زعيمه ورئيسه مصطفى النحاس . .

وأفاض طويلا فى الحديث عن صداقته المتينة مع مكرم باشا وكيف أن ضميره غير مستريح، وقال إن كثيرين كانوا ينتظرون منه أن يقف بجانب مكرم عبيد وأن يؤيده ضد مصطفى النحاس، ولكنه اختار موقف الحياد بين الاثنين ودلل على حياده بأنه منذ خرج مكرم من الوزارة لم يزر النحاس باشا فى داره أو مكتبه . . وأنه اعتذر عن حضور جميع الحفلات التى أقامها الشيوخ والنواب للنحاس باشا وذلك لكى لا يسمع سبابا أو طعنا فى صديقه مكرم عبيد . .

ومضى يقول إنه انقطع كذلك عن زيارة مكرم باشا حتى لا يسمع أى سباب أو طعن فى مصطفى النحاس . . وأنه يؤدى الآن عمله كوزير ليس إلا ولا شأن له بالخلاف وأسباب الخلاف بين النحاس ومكرم عبيد .

ثم سألنى : هل انصحه بالاستقالة من الوزارة؟

قلت : كلا .

ثم سألته : إيه فايدة بل أى معنى لاستقالتك الآن . . ؟ هل تريد أن تستقيل تضامنا مع مكرم باشا ولأنه فصل من الوزارة ومن الوفد؟ ولكنك قبلت أن تدخل الوزارة بعد أن خرج مكرم منها، ثم دخلت الوزارة وأنت تدرك تمامًا خطورة الخلاف بين مصطفى باشا ومكرم عبيد، وأن هذا الخلاف سوف يؤدى إلى القطيعة بين الاثنين . . ومع ذلك فقد قبلت المنصب الوزارى وقبولك له معناه أنك كنت تنوى البقاء مع مصطفى النحاس حتى وبعد خروج مكرم عبيد، وإذا استقلت اليوم فإن الناس سوف تقول أنك دخلت الوزارة لكى تحصل على لقب (معالى الوزير) . . ثم تخرج منها فى أول فرصة وهذا ما لا يرضاه لك أصدقاؤك ومحبوك . . ونصيحتى لك أن تبقى فى الوزارة تؤدى عملك كوزير ليس إلا . . ثم أن للنحاس باشا حقا عليك فقد وثق بك واختارك وزيراً معه وأنت قبلت . . واستقالتك الآن معناها مرة أخرى أنك قد (خلوت بمصطفى النحاس . .) .

قال : أنت غلطان . . فالنحاس باشا لا يحبنى . . وهو أدخلنى الوزارة لكى يفرق بينى وبين مكرم . .

وهنا سألته : ولماذا إذا قبلت المنصب مادام هذا هو رأيك؟

قال بعد تردد . . وبابتسامة باهتة فيها استحياء . . قال :

- فى الحقيقة لم أكن أريد دخول الوزارة ولكن زوجتى ألحت على بقبول المنصب لأنها تريد أن أكون وزيرا . .

ثم قال : إنه لا يستطيع أن يكسب ثقة أو محبة النحاس باشا لأنه - أى مصطفى النحاس - يحب التملق وهو - أى عبد الحميد عبد الحق - يكره أن يتملق أى أحد .

ومضى يقول إن صبرى أبو علم ومحمود سليمان غنام يزوران النحاس باشا دائمًا ويتملقانه ومن ثم كسبا ثقته ومحبته . .

ثم قال إن صبرى أبو علم لا يجيد الخطابة كما يجيدها هو . . وأن فؤاد سراج الدين لا يعرف كيف يتكلم ، ومثله محمود سليمان غنام . . أما هو - عبد الحميد عبد الحق - فإنه برع كما أثبت فى مجلس النواب أيام كان زعيمًا للمعارضة (ما بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٤٢) ، وأن فى إمكانه أن يعرض فى البرلمان وجهات نظر الوزارة على أكمل وجه ، ولكنه مضرب عن هذا إكرامًا لخاطر صديقه مكرم عبيد كما أنه تغيب عمدًا عن حضور جلسات البرلمان التى كان يتوقع أن يقع فيها صدام بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد .

وأوصلنى بسيارته إلى مسكنى ، وقال وأنا أنزل من السيارة : فكر كمان وابقى قول لى أعمل أيه !

***

ويظهر أن النحاس باشا أصبح يخاف أو يغار على رجاله من الملك فاروق ، فقد زرته اليوم فى مكتبه لأشكو إليه من عنت الرقابة . . وقبل أن أدخل عليه جلس معى سكرتيره الأستاذ إبراهيم فرج وتحدثت إليه فى موضوع الرقابة على الصحف وكيف أن بين الأخبار التى منعت الرقابة نشرها خبراً عن (عطف جلالة الملك فاروق على وزير التجارة الأستاذ سليمان غانم) .

وهنا ابتسم إبراهيم فرج وقال إن النحاس باشا نفسه هو الذى أمر بمنع نشر الخبر المذكور .

وأبديت دهشتى وسألته لماذا؟

وتردد طويلا ثم قال كلامًا ملفوفًا غامضًا، ولكنى فهمت منه أن النحاس باشا غير راض تمامًا عن محمود غنام.

وهنا ألححت على إبراهيم فرج أن يزيدنى إيضاحًا.

وأخيراً قال إنه لما ذهب الأستاذ محمود غنام وقابل الملك فاروق ليرفع إليه فروض الولاء على تعيينه وكيلا لوزارة الداخلية استبقاه الملك فى حضرته ثلاثة أرباع الساعة.. نشر يومها خبر معناه أن الأستاذ غنام كان موضع عطف الملك.

وسكت!

سألته: وماذا فى هذا؟

قال: إن مصطفى باشا أصبح يشك فى كل شىء ويتوجس شرًا من كل شىء بعد خلافه مع مكرم باشا وما قيل وما نشر يومئذ عن عطف الملك على مكرم وما حدث بعدها وكيف نشرت «الأهرام» مقالا لمكرم وقد رفع فيه الملك إلى السماء مدحًا وإطراء.

ولهذا السبب أصبح مصطفى باشا يخاف من تأثير هذا العطف الملكى على رجاله وهو لا يريد أن يخسر محمود غنام كما خسر من قبله مكرم عبيد.. وضحك إبراهيم فرج وضحكت معه.

* * *

ولكن النحاس باشا عاد بعد ذلك وعين محمود سليمان غنام وزيرا للتجارة.. لا حبا أو ثقة فيه، ولكن لكى يبعده عن مكرم عبيد.

تمامًا كما سبق أن فعل مع عبد الحميد عبد الحق.

* * *

قابلت مصادفة فى ميدان سليمان باشا مستر نابيير الملحق بإدارة النشر والصحافة بالسفارة البريطانية. وبعد تبادل التحية انطلق يطعن فى النحاس باشا وزوجته بنفس اللهجة التى يتحدث بها خصوم الوفد وزعيمه.

وأفاض مستر نابيير فى الحديث عن فضائح أقارب النحاس باشا وأصهاره

واستغلالهم لنفوذه فى الحصول على امتيازات وعقد صفقات . . ثم قال : لماذا لا يشلح الوفديون النحاس باشا من زعامة الوفد؟ ولماذا لا يعود أحمد ماهر وأصحابه إلى الوفد على أن ينتخبه الوفديون رئيسًا للوفد؟

ثم مضى يقول إن عبيد لا يستطيع أن يجمع حوله كلمة الشعب ولكن أحمد ماهر يستطيع . . وإن النحاس باشا أخذ يفقد نفوذه .

وهنا سألته : هل هذا هو رأيه الشخصى أو رأى السفارة؟

ونظر إلىّ طويلا ثم هز كتفيه . . وسار فى طريقه . . وأثناء حديثه معى كانت رائحة الخمر تفوح من فمه . . مع أننا كنا لا نزال فى الصباح .

* * *

كلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وقلت له إننى أسافر اليوم إلى رأس البر ورجوته إذا تطور الموقف إلى أسوأ وأصبحت الحالة خطيرة حقيقة أو خيف من تدمير المواصلات أن يكلمنى بالتليفون فى رأس البر . .

ولكنه قال : لا بلاش الكلام فى التليفون . . ساعتها راح ابعت لك تلغرافا بإمضاء جميل . . أقول لك فيه (احضر حالا بسبب القضية) . . وأنت تفهم . . وسافرت بالسيارة إلى رأس البر .

* * *

وانقل عن مذكراتى المكتوبة فى يوم الاثنين ٢٠ يولية عام ١٩٤٢ ، كنت كلمت حسنين باشا بالتليفون من رأس البر لكى أسأله عن تطورات الموقف ، وسألنى هو كى أعود إلى القاهرة وفهمت من لهجته أن عنده شيئًا يريد أن يقوله لى . . وهكذا عدت مساء من رأس البر وكلمته بالتليفون صباح اليوم فدعانى لمقابلته فوراً . . وزرته فى داره وبقيت معه نحو ساعة .

هذا وقد بدأ حديثه باللغة الإنجليزية بسبب وجود أحد الخدم معنا فى الحجرة - حجرة الاستقبال - فقال ما معناه إن الإنجليز قد لعبوا أوراقهم بمهارة . . وعرفوا كيف يلهبونها . . ثم مضى يقول إنهم لم يكونوا يستطيعون أن يحصلوا من أى رئيس وزارة مهما كان ظالمًا معهم على أكثر مما حصلوا عليه من مصطفى النحاس . .

وتبدو مهارتهم فى أنهم حصلوا من النحاس باشا على كل ما يريدون. وفى نفس الوقت جعلوه يعتقد أنه هو الذى (وحلهم) ومكر بهم وحصل منهم على ما يريد أو على الأقل لم يعطهم شيئًا.

واستطرد حسنين يقول: وهكذا إذا قدر لهم أن ينتصروا على الألمان فإنهم سوف يمكنهم أن يقسموا للنحاس بالطلاق (كذا..) على أنهم لم يفكروا أبدا فى القيام بأى تدمير أو تخريب.. أما إذا قدرت عليهم الهزيمة فإنهم سوف يكونون فى حل من تدمير كل ما يريدون تدميره بحجة الضرورات العسكرية، وكذلك بحجة أنهم قد اتفقوا على ذلك مع رئيس الحكومة مصطفى النحاس أو على الأقل بحجة أنهم لم يعدوه بشىء مخالف، أى أنهم لم يتفقوا معه أو يعدوه بعدم التدمير.. ويومها سوف يقول النحاس باشا إن الإنجليز قد خانوه وحنثوا بوعدهم له.. وما الفائدة؟

ثم مضى أحمد حسنين يقول: ولقد كان المفهوم أن دفاعهم ينتهى عند العلمين ولكنهم استطاعوا أن (يجروا) النحاس باشا إلى الحديث فى الدفاع عن الإسكندرية والقاهرة والدلتا وقناة السويس وهكذا هو الخطر، وهنا بانت مهارتهم.

ثم قال: ولم يفاتحوا الملك مرة أخرى فى أمر مغادرة البلاد ولكن ما دام فى نيتهم الدفاع عن القاهرة. بعد أن رفضوا أن يعلنوا أنها مدينة مفتوحة.. فإنه سوف يكفى أن تسقط قنبلة ألمانية فى ميدان عابدين أو على مقربة من قصر القبة لكى يقولوا يومها للملك - ومعهم حق - إن هناك خطرا على حياته (الغالية؟) ويجب أن يبتعد عن موطن الخطر أى عن القاهرة وسوف يشتركون معه فى اختيار المكان الأمين الذى يحسن به أن يلجأ إليه.

وضحك حسنين وقال: فى يولية كانت العلمين على وشك السقوط فى أيدى الألمان.. بل لقد أذاع الألمان يومها أنهم اخترقوا الخطوط وأنهم يطاردون الإنجليز فى اتجاه دلتا النيل ويومها كاد النحاس باشا أن يغمى عليه، ولكن الله سلم.. (وعبارة يغمى عليه من عندى أنا أما العبارة المدونة فى مذكراتى والتى استعملها حسنين باشا فى حديثه فإن الحياء يحول دون نشرها).

واستمر حسنين يقول وهو لا يزال يضحك: ست ساعات فقط وكان النحاس (أغمى عليه)، ولكن الله سلم، فقد كان الإنجليز قالوا له فى المساء إن الحالة خطرة

جداً ولكنه تجلد طوال الليل وتماسك . . فلما أصبح الصباح قالوا له إن الحالة أقل خطورة نوعًا ما . . فاطمأن ولم (يغمى عليه) . . ولكنه أطلق لسانه يومها فى الإنجليز فقال إنهم كذبوا عليه وأخفوا عنه حقيقة حاله . . وظل لسانه مغلوقًا ضدهم إلى إن عاد أمين عثمان من فلسطين وكان سافر إليها مع زوجته التى تركها هناك . . وبعودة أمين عثمان عاد نفوذ الإنجليز من جديد على رفعة النحاس باشا الذى عاد واطمأن واستكان إلى الإنجليز .

ثم قال حسنين : إن تصرفات الإنجليز لا تبعث على الاطمئنان . . وإلا لو كانوا واثقين من قوة مراكزهم وخطوط دفاعهم فى العلمين فلماذا طلبوا إخلاء الإسكندرية وإخلاؤها سوف يتم قريبًا؟

ومضى يقول : لقد سمعت من أحد كبار ضباطهم وكان صديقًا وزميلا لى أيام الدراسة فى أكسفورد أن عندهم أوامر سرية تقضى بترحيل جميع البريطانيين المدنيين ، وخروجهم فوراً من الإسكندرية والقاهرة عندما يصل الألمان إلى نقطة معينة ، لم يذكرها لى طبعا صديقه الضابط المذكور ، وقد قابلنى منذ ثلاثة أيام فقط وقال لى وأنا أترجم هذا عن الإنجليزية . . قال (راقب الموقف بدقة وإمعان أثناء العشرة أو الخمسة عشر يومًا القادمة فقد يحدث شىء ما فجأة ويجب أن تكون مستعداً) .

وسكت حسنين قليلا قبل أن يستأنف حديثه ويقول : إن الإنجليز تلقوا إمدادات من الطائرات ومن الأسلحة الأخرى بقدر لا بأس به . . ما عدا الدبابات وهذا هو السبب فى عجزهم عن القيام بأى هجوم . وكان أحد ضباطهم قال لى يوم اشتد الخطر على العلمين (فى ٢ يولية) إنه إذا استطاع الجيش الثامن البريطانى أن يصمد أسبوعًا واحداً فإنهم سوف يكرون بعد ذلك ويشنون هجوما على الألمان ـ ولقد مر أسبوع وأسبوعان ـ ودخلنا الأسبوع الثالث ولم يقوموا بعد بهذا الهجوم فما السبب . . إلا أنهم غير مستعدين .

* * *

بقيت فى مصر طول سنوات الحرب . . وفى يوم ٣ نوفمبر عام ١٩٤٦ غادرت

مصر إلى أوروبا . . وبقيت فيها تسعة أشهر ، زرت فيها إيطاليا وسويسرا والنمسا وألمانيا وفرنسا . ومن فرنسا ذهبت إلى إيطاليا ، زرت ميلانو وفلورنسا وروما . . ولم يكن أمرا سهلا أن أحمل القوم فى إيطاليا على أن يتحدثوا إلى - الصحفى المصرى - بصراحة عما كان سيحدث لمصر لو كانت جيوش المحور نجحت فى دخول مصر فى صيف عام ١٩٤٣ .

ولكن كان من السهل أن يتحدثوا بصراحة وبمرارة خبيئة الأمل عن سير الحرب وتطورها لو كان غزو مصر قد نجح وتمكنت جيوش المحور من اختراق استحكامات العلمين فى يولية أو فى شهر ديسمبر عام ١٩٤٢ . . وكان الماريشال الألمانى أيروين روميل قام بهجومه الثانى فى شهر سبتمبر . . وبعدها نفذ روميل عامل المفاجأة والمبادأة إلى أن فاجأه القائد البريطانى مونتجومرى بالهجوم بعد شهر واحد أى فى شهر أكتوبر من نفس العام . .

وقال لى القوم - وبينهم صحفيون ورجال أعمال وموظفون - قالوا لو أن روميل كان نجح فى الوصول إلى الإسكندرية ودلتا النيل لكانت الحرب قد انتهت بانتصار دول المحور بعد عام واحد أى فى عام ١٩٤٣ ، ذلك لأنه كان من المقرر - طبقًا للخطة العامة التى وضعتها هيئة أركان حرب المشتركة من الإيطاليين والألمان - أن ينفصل قسم من جيوش المحور ويزحف جنوبًا إلى صعيد مصر ومنه إلى السودان والحبشة ويسترد أريتريا والصومال . . إلخ . وهدفه الأخير هو الوصول إلى جنوب أفريقيا وتطهير أفريقيا من البريطانيين وإنشاء قواعد للغواصات الألمانية والإيطالية فى موانئ أفريقيا الجنوبية وفى شرقى أفريقيا . . والعمل على قطع طريق بحار الجنوب أى طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند وأستراليا . . وهذا طبعًا بعد أن يكون طريق قناة السويس وقد أغلق هو أيضًا فى وجه السفن البريطانية ، الحربية والمدنية على حد سواء . .

كانت هذه مهمة الجيش الذى ينفصل عن جيوش المحور الرئيسية . . وبقيت مهمة الجيش الرئيسى .

كانت مهمته هى أولا القضاء على مقاومة الجيش البريطانى فى دلتا النيل . . وكان قواد الجيش المذكور يدركون تمامًا صعوبة هذه المهمة بسبب اضطرارهم

للهجوم أثناء فيضان النيل وتعدد قنوات شبكات الرى فى الدلتا واستفادة الإنجليز منها فى دفاعهم وتعطيل زحف قوات المحور . . ولكنهم كانوا واثقين أنهم سوف يتمكنون فى النهاية من طرد الجيش البريطانى من دلتا النيل وقناة السويس وذلك فى فصل الخريف .

وبعدئذ كانت مهمة جيش المحور أن ينطلق عبر قناة السويس ومنها إلى سوريا ولبنان والعراق .

وكانت حكومات المحور تعتمد إلى حد كبير على (صداقة العرب!) وعلى أنهم سوف يقومون بثورات فى مؤخرة الجيش البريطانى تعرقل حركاته وتعوق انسحابه وتحول دون وصول الإمدادات أو الذخائر أو المؤن إليه .

ولا أريد أن أسهب هنا فى وصف خطة المحور إلا فى الإحاطة بتطورات الحرب وسيرها فى حالة ما إذا كان روميل قد نجح فى دخول الإسكندرية والقاهرة ودلتا النيل .

ومن هنا ، اكتفى - فى عبارات موجزة وسريعة - بذكر بعض التطورات الحاسمة التى كان مقدراً أن تقع .

١ - الوصول إلى إيران وقطع خط إمداد وتموين الاتحاد السوفيتى بالذخائر والمؤن ، وهو الخط الذى أنشأه الأمريكيون والبريطانيون من الخليج العربى إلى القوقاز .

٢ - انضمام تركيا إلى ألمانيا وإيطاليا ضد الحلفاء - وهذا أمر كان مقطوعًا به - فقد أبدت تركيا منذ بداية الحرب صداقتها لألمانيا . . وراحت تنتظر «الوقت المناسب» لكى تدخل الحرب إلى جانب ألمانيا . . وقد فسر سفير ألمانيا يومئذ فى أنقرة عبارة «الوقت المناسب» فى أحد تقاريره السرية فقال إن الأتراك مازالوا - حتى عام ١٩٤٢ - غير واثقين من انتصار ألمانيا ولهذا فإنهم يفضلون أن يتريثوا قبل أن ينحازوا إلى جانبها خوفًا من أن يصيبهم ما أصابهم فى الحرب العالمية الأولى بعد هزيمة ألمانيا فى عام ١٩١٨ . ولكن نجاح جيوش المحور فى دخو مصر وطرد البريطانيين منها ومن فلسطين وسوريا ولبنان والعراق ثم الوصول إلى إيران كفيل بإقناع الأتراك بأن «الوقت المناسب» قد جاء .

وكان دخول تركيا الحرب بعد قطع خط تموين روسيا من الجنوب كفيلا بتغيير موازين المعركة فى الجبهة الشرقية ضد السوفييت . . وكانت جيوش السوفييت يومئذ فى مركز حرج خطر سواء فى القوقاز كما أن الجيوش الألمانية كانت تحاصر يومئذ ستالنجراد وموسكو ولننجراد . .

٣ - القيام بحركة كماشة من الجنوب الشرقى ومن الغرب ضد جيوش السوفييت . . إلخ . . ولهذا لم يكن أمرا مبالغًا فيه أن تفاؤلا أكثر مما ينبغى أن يؤمل المحور فى إحراز النصر النهائى ووضع حد للحرب فى عام ١٩٤٣ .

* * *

وكان موسولينى يأمل فى دخول الإسكندرية والقاهرة فى موكب يشبه مواكب قواد روما الغزاة عندما كانوا يعودون من ميادين القتال وغزو بلد جديد أو إخضاع بلد ثار ضد روما . . وكان هؤلاء القواد الرومان يعودون وقد عقدت حول رءوسهم أكاليل الغار .

وهكذا، وضع «الدوتشى» أو «موسولينى» نظام وترتيب موكب النصر الذى سوف يسير على رأسه فى شوارع الإسكندرية والقاهرة . . كما أنه أصدر أمره بأن يرسل جواده الأشهب الأصيل إلى بنى غازى ومنها إلى العلمين لكى يمتطيه فى اليوم الموعود .

ووقفت طيارة حربية خاصة فى مطار روما لكى تحمل موسولينى عند الساعة المرتقبة - إلى أبواب الإسكندرية - أى إلى العلمين حيث ينتظره موكب النصر وجواده الأشهب الأصيل .

* * *

حتى قائمة الطعام الذى سيقدم فى المأدبة الكبرى احتفالا بالنصر . . قائمة الطعام هذه أعدها موسولينى بنفسه .

وكان من المقرر أن تقام مأدبة عشاء وحفلة ساهرة فى الإسكندرية . . ومأدبة وحفلة ساهرة أخرى فى القاهرة .

هذا وكان قد تم الاتفاق بينه وبين السلطات الألمانية على أن يكون فندق مينا هاوس هو مقر القيادة الإيطالية فى القاهرة.

وكانت قائمة الطعام التى أعدها موسولينى والتى كانت ستقدم فى فندق مينا هاوس عند وصول الغازى بنيتو موسولينى وقواده هى: حساء سمك النيل.. دجاج الفيوم.

***

* وقلت لفؤاد باشا سراج الدين إننى زرت حسنين باشا هذا الصباح ووجدته مشغول البال وقلقا لأن ابنه هشام أجريت له أمس الأول عملية استئصال الزائدة الدودية (المصران الأعور). وأننى فهمت من حديثه أن جميع من فى السراى - من الملك إلى أصغر فرد فى الحاشية - جزعون خائفون من تطور الموقف الحربى فى الصحراء الغربية من سيئ إلى أسوأ.. وأنهم جميعًا يتساءلون عن نوايا الإنجليز وخططهم وإلى مدى ينوون الدفاع والمقاومة..؟ هل يذهبون مثلا إلى حد نقل الحرب إلى دلتا النيل معتمدين كما قال أحد قوادهم العسكريين على فروع النيل وقنواته فى تعطيل زحف الألمان..؟

ثم سألته لماذا لا يطلب النحاس باشا مقابلة الملك لكى يبلغه شخصيًا آخر تطورات الحالة ويطمئنه، هذا إذا كان عند رفعته أسباب تدعو إلى الاطمئنان؟

ووافقنى فؤاد باشا على رأى وقال إنه يحبذ مقابلة النحاس باشا للملك فاروق وإنه إذا كان رفعته لم يطلب حتى اليوم مقابلة الملك، فذلك لأنه كان يخشى أن يرفض الملك مقابلته أو يسوق فيها كما حدث من قبل.

ثم مضى فؤاد باشا يقول إنه سيقابل النحاس باشا الآن لأنهم مدعوون عند الأستاذ حسن يس لتناول العشاء.. وسوف يقول لرفعته إن هذا هو رأى من غير أن يدخل فى التفاصيل.

***

وتركت فؤاد سراج الدين وعدت إلى مسكنى، ومنه سألت بالتليفون عن حسنين باشا فقيل لى إنه لم يعد بعد.

وفى منتصف الساعة الحادية عشرة مساء كلمنى هو بالتليفون . . ورويت له ما دار بين فؤاد سراج الدين وبينى وأننى اقترحت أن يطلب النحاس باشا مقابلة الملك . . إلى آخره .

وقال حسنين : عال خالص . . وشكرنى بحرارة . .

* * *

وأصبحنا يوم الأحد ٢٨ يونية ، وكلمت صبرى أبو علم باشا فى مسألة زميل لنا توفاه الله وهو المرحوم الأستاذ قاسم جودة ، وكان وسطنى فى مسألته هذه لدى المرحوم أبو علم باشا ، وعرفت من صبرى أبو علم باشا أثناء الحديث أن النحاس باشا موجود الآن مع جلالة الملك وأن رفعته كان التمس المقابلة فى صباح اليوم وأجيب عليه فى الحال . . وقد استقبله الملك فى نفس صباح اليوم .

وطلبت حسنين فى مكتبه بالسراى وسألته عن الحالة فقال : أيوه وصاحبك هنا - يقصد النحاس باشا - لكن أظن فات الوقت لأن الأخبار وحشة . . وبعدين راح أقول لك .

والأخبار الوحشة التى كان يشير إليها لابد أن تكون أخبار الموقعة الحربية الدائرة عند مرسى مطروح .

ولم يكن فى وسع حسنين أن يقول أكثر من ذلك فى التليفون . . لأن موظفى تليفونات قصر عابدين - كما قال لى هو نفسه - كانوا ينصتون للأحاديث ويروون فى الخارج كل ما يسمعونه .

* * *

وفى ساعة متأخرة من مساء نفس اليوم عاد حسنين - يرحمه الله - وكلمنى بالتليفون وكنت فى مسكنى .

وقال : إن النحاس باشا لم يطلع جلالة الملك فى مقابلة الصباح على شىء جديد . . وإنه وإن تكن الإشاعات مزعجة . . إلا أن أخبار «إخواننا» هنا مطمئنة .

ولم يزد على هذا . . وكعادته معى - وخصوصًا عندما يكون حديثنا بالتليفون -

كعادته لم ألح فى الاستفسار أو طلب المزيد من التفاصيل أو من هم الذين يسميهم (إخواننا).

- هل يقصد الإنجليز؟ أم يقصد النحاس باشا ووزراءه؟

ولم يكن فى نيتى أن أخرج هذا المساء.. ولكننى خرجت وذهبت إلى جريدة «الأهرام» لكى أسأل عن آخر الأخبار الواردة من جبهة القتال.. وقابلت فى مكتب رئيس التحرير الدكتور محمود عزمى وقرينته - وقد توفاهما الله منذ سنوات - وقالت السيدة أو على الأصح سألتنى ما إذا كنت سمعت أن فلانا قد طلق زوجته فلانة؟

***

وفلان هذا شاب من أسرة عريقة بمحافظة الشرقية وكان من نجوم السينما وقد توفاه الله فى صيف عام ١٩٤٩.

وكذلك فلانة.. فإنها كانت من أسرة عريقة وكان جدها لأمها من أبطال الثورة العرابية.. وقد توفاها الله منذ سنوات..

قلت: إننى لم أسمع شيئًا عن هذا الطلاق..

قالت السيدة حرم الدكتور محمود عزمى إن فلانة هذه هى الآن (صديقة) جنرال ريتشى، القائد العام للجيش البريطانى فى الصحراء الغربية.. وأن الجنرال لا يسافر إلى الميدان، بل يدير المعركة بالتليفون وإلى جانبه صديقته المذكورة.

وهنا قال الدكتور محمود عزمى: على كل حال الثابت أن الجنرال ريتشى يزور الإسكندرية مرة فى كل أسبوع وينزل فى فندق (بوريفاچ) حيث تقابله فلانة المذكورة.

وقلت أنا: الإشاعات كثيرة عن فلانة هذه ومعظمها غير صحيحة.

ثم سألت الدكتور محمود عزمى عن رأيه فى الحالة وفى دفاع الإنجليز فقال إنهم ينوون الدفاع عن مصر إلى آخر رمق وأن خطتهم وخطوط دفاعهم هى:

(١) مرسى مطروح.

(٢) الضبعـــة.

(٣) الخطاطبة (فى مديرية البحيرة).

(٤) من الأهرام إلى الزمالك.

(٥) قناة السويس.

سـألته: والإسكندرية والقاهرة؟

قال: لم يتخذ بشأنهما بعد أى قرار.

قلت: على أى حال إذا كانت هذه هى خطة الإنجليز فإنه تعنى خراب مصر..

وهنا قالت السيدة حرم الدكتور عزمى، وهى بولندية الأصل: نعم.. إن الإنجليز ينوون الدفاع شبرًا.. شبرًا.. كما فعل الروس فى مدينة سباستبول..

* * *

ثم انقل عن مذكراتى المكتوبة فى يوم ٢٩ يونية عام ١٩٤٢..

الحالة تزداد خطورة.. والإشاعات المزعجة تملأ البلد..

وسمعت اليوم من مصادر مختلفة أن الإنجليز استطاعوا أن يردوا قوات المحور عند مرسى مطروح وأن يرغموها على التقهقر مسافة عشرة كيلو مترات وأن يأخذوا منها خمسة عشر ألف أسير.

ولكن وكالات الأنباء فى المساء أكدت أن هذا الخبر غير صحيح.. وأن الذى حدث فعلا هو سقوط مرسى مطروح فى أيدى القوات الألمانية.

وكعادتى ذهبت إلى جريدة الأهرام ودخلت غرفة رئيس التحرير أنطون الجميل باشا، وكان بين الموجودين الأستاذ توفيق اليازجى الذى كان ذا ميول قوية نحو الألمان وقد قال لى إن الألمان يجدون صعوبة كبيرة فى اللحاق بالجنود البريطانيين بسبب سرعة عدو أو هرب هؤلاء أمام الألمان.

وضحكنا جميعًا..

ثم دار بيننا الحديث عما عسى أن يفعله الملك فاروق.. وهل هو يحاول الهرب من مصر خوفًا من أن يرغمه الإنجليز على اصطحابهم عند انسحابهم؟

وهنا قلت لهم ما سمعته وهو أن الإنجليز أقاموا حصارا حول الملك وأنهم يراقبونه مراقبة شديدة حتى لا يكاد ينتقل من قصر إلى قصر إلا وعندهم الخبر.

وكان الأستاذ اليازجى يبتسم ابتسامة هادئة ناعمة.

وقالت سيدة كانت بين الموجودين: إن الإمبراطورية البريطانية قد شاخت ودب الانحلال والفساد فى عظامها تماماً مثل روما فى آخر عهدها بالمجد والسلطان. . فقد كانت روما عندما أشرفت على نهايتها كانت تحارب بأبناء جميع شعوب الأرض إلا أبنائها وهى . . وكذلك الحال اليوم مع إنجلترا التى تحارب بجنود من أستراليا ونيوزيلانده والهند وبورما وجنوب أفريقيا وفلسطين بل لبنان (وكان فريق من إخواننا اللبنانيين قد التحق بقوات الجنرال ديجول الحرة). . ولكنك تبحث عن الجنود الإنجليز فلا تجدهم لأن إنجلترا أبقتهم فى أرضها ولكى يدافعوا ضد أى غزو ألمانى.

***

هذا وقد حدث مساء اليوم فضيحة فى مجلس النواب. .

ولا أعنى أن الاستثناءات كانت القضية. . وهى فى الواقع كانت كذلك.

ولكننى أريد أن أقول إن نظرها والمناقشة فيها فى هذا اليوم وفى هذه الظروف بالذات كانت فضيحة. . فبينما الجيوش تتطاحن على أبواب مصر. . ودوى المدافع والقنابل يسمع بوضوح فى الإسكندرية، وطائرات المحور تحلق فوق الأرض المصرية وتدك بقنابلها قناة السويس، أصر رئيس الوزراء النحاس باشا عند افتتاح جلسة مجلس النواب على نظر الاستجوابات المقدمة عن الاستثناءات وغيرها، رغم أن أصحابها طلبوا تأجيل النظر فيها مراعاة للحالة وتقديراً منهم لخطورة الموقف.

ولكن النحاس ـ باشا يرحمه الله ـ أصر على نظرها. .

وهنا قامت خناقة جامدة بينه وبين مكرم باشا عبيد، وأعلن النحاس بعدها فى المجلس أمام النواب أن مكرم عبيد لم يعد سكرتيراً للوفد.

***

الفصل السابع

باشوات.. الجزم!

ومضى حسنين باشا يقول إن زينب هانم بدأت تناصبه العداء بسبب موقفه منها في مشروع كبير . . ثم قال إن النحاس باشا ليس له أى نفوذ عند السيدة زوجته . . وأنها هى التى تسيطر عليه تماما . . وهى سيدة ذكية و(شاطرة جدًا) وواسعة الأفق وهى إذا اقتنعت برأى سارت فيه إلى النهاية . . وأنا اعترف أنها ساعدتنى فى عدة مسائل ، فكثيرًا ما كنت أذهب إلى فندق مينا هاوس لمقابلة النحاس باشا أثناء إقامته فى الفندق، فكانت تستقبلنى وتجلس معى إلى أن ينتهى زوجها من ارتداء ملابسه . . وكانت تقدم لى القهوة وتتبسط معى فى الحديث . . وكنت فى بعض الأحيان أتحدث معها فى المسألة أو فى الموضوع الشائك الذى يشغل بالنا والذى جئت لكى أتحدث فيه مع النحاس باشا . . وكنت أبسط وجهة المصلحة ووجهة نظرنا فكانت إذا اقتنعت برأيى ساعدتنى وأقنعت زوجها بأن المصلحة هى فيما أقوله وما أطلبه . .

واستطرد حسنين يقول : ولكن زينب هانم رغم ذكائها فإنها امرأة على كل حال ، ومن عيوب المرأة - كل امرأة - أنها إذا جرحت فى كبريائها اختل ميزانها وحسن تقديرها للأمور . .

- كنا نتحدث ذات يوم عن الرتب والألقاب عندما ضحكت هى وتحدثت عما أسمته «رتب الجزم» وهى الرتب التى كان جلالة الملك قد أنعم بها على الذين تبرعوا لمشروع (مقاومة الحفاة) . . ثم قالت إنها عندها مشروعًا تستطيع أن تجمع به نصف مليون جنيه . . إن هناك أشخاصًا مستعدين لأن يتبرع كل واحد فيهم بعشرة آلاف جنيه . . مقابل أن ينعم عليه برتبة الباشوية . . وسألتها أنا (زى مين؟) .

فقالت: توفيق مفرج وصبحى الشوربجى . . ولكننى أشرت عليها بتأجيل هذا المشروع وأن الأفضل عدم الخوض فيه الآن لأن الظروف غير مناسبة . . ولكنها لم تعمل بنصيحتى ومشت فى مشروعها . . وأعلنت عنه فى الصحف وأصبح «مشروع البر» الذى تتولى تنفيذه زينب هانم . . أصبح حديث الناس . . ولقد كنت أؤثر لمصلحتها هى بالذات أن تترك أمر جمع التبرعات للجنة المنظمة وأن يكون هناك بنك يشرف على العملية كلها . . ولكن زينب هانم والذين معها تركوا الأمر فوضى بلا ضابط ولا رقيب ولا حساب . . وبدأت شائعات السوء تسرى هنا وهناك . . واتهامات الاختلاس توجه إلى بعض المشتركين فى تنفيذ مشروع البر المذكور . . ففيم إذن كان هذا التصرف منها . . وفى مصلحة من؟ . . وفى هذا الجو المملوء بالشائعات والاتهامات طلبت منى زينب هانم أن يتفضل جلالة الملك بحضور الحفلة التى ستقام لمشروع البر فى دار الأوبرا . . ومن حسن الحظ - حتى لا أصطدم بها - كان الملك غائبًا عن القاهرة فى رحلة فى سيناء . . ومع ذلك فقد قدمت وساطتى إرضاء لها وحضرت الملكتان فريدة ونازلى الحفلة . . ثم عاد الملك من سيناء . . وعادت زينب هانم تطلب منى أن يحضر الملك حفلة الشاى التى ستقيمها فى فندق مينا هاوس . . وهنا قلت لها إن هذا أمر مستحيل بحكم التقاليد، ذلك أن الملك لا يمكنه أن يجلس إلى مائدة الشاى وبجانبه حرم رئيس الحكومة - أى زينب هانم - إلا إذا كانت جلالة الملكة موجودة . . وأن جلالة الملكة لا يمكنها أن تحضر حفلة يدعى إليها السفير البريطانى وسفراء الدولة والوزراء ورجال الدولة لأن حضور جلالتها يكون ثورة على كافة التقاليد . .

ولكن زينب هانم لم تقتنع بحجتى وقالت إن الملك سبق أن حضر حفلة أقامتها هدى هانم شعراوى . . فقلت لها إنه حضر الحفلة المذكورة «متنكرًا» - أى بصفة غير رسمية - كما أن الصحف منعت من نشر خبر حضوره الحفلة، ومع ذلك فهناك فرق كبير بين الحفلتين، فحفلة هدى هانم لم تكن شبه رسمية مثل حفلتك، والملكتان فريدة ونازلى حضرتاها . . وأما حفلتك أنت فإن لها طابعًا رسميًا أو شبه رسمى . . إلى آخره . . ولكن زينب هانم لم تقتنع وأسرتها ضدى فى نفسها . . وذات يوم أرادت أن تضاربنى بعبد الوهاب طلعت باشا وكان هذا ذكاء رخيصًا منها فقد قالت لى «تعرف مين جانا النهاردة» . . عبد الوهاب طلعت جه علشان يقول لى إنه

مستعد لأى خدمة ويقدر يعملى كل اللى أطلبه منه . . ولكنى قلت له أبدًا والنبى ما أطلب من حد إلا من حسنين باشا بس . .

ثم قال حسنين إنه سأل زينب هانم مرة عما تطلبه منه وقال لها إنه مستعد لأى عمل يعمله إكرامًا لها فقالت : (عاوزاك تكسر لى . . ابن كذا وكذا وكيت . .) وكانت تقصد مكرم باشا . . وسألتها «ليه عاوزة تكسريه» فقالت «لأنه بيكره الملك» . . ومرة أخرى كان ذكاؤها رخيصًا . .

***

وانصرفت من مقابلة حسنين باشا وعدت إلى مكتبى . . ومنه كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون ، واتفقت معه على أن نتقابل فى المساء فى فندق مينا هاوس ، وكان النحاس باشا يقيم يومئذ هناك . . وكذلك فؤاد سراج الدين . .

وتقابلنا فى الموعد المحدد . . وجلسنا إلى إحدى الموائد الموضوعة حول حوض السباحة وتناول فؤاد باشا طعام العشاء ، بينما كنت ألخص له دفاع حسنين باشا عن نفسه كما سمعته منه فى الصباح . . ثم قلت - ووافقنى فؤاد باشا على رأيى - قلت إن حسنين باشا برىء مما يتهمه به النحاس باشا وعلى كل حال . . (إيه مصلحة النحاس باشا فى محاربة حسنين ومجاهرته بالعداء؟ . . بل هل من المصلحة أن نحارب فى جبهتين؟ . . جبهة حسنين ومن معه من رجال القصر . . وجبهة المعارضة من حزبى السعديين والأحرار .

وبعد تناول العشاء صعدنا إلى غرفة فؤاد باشا . . وتركنى فيها وغاب نحو نصف ساعة لأن النحاس باشا كان يتناول العشاء مع زينب هانم والسيدة حماته وحميه عبد الواحد باشا الوكيل . .

وعاد فؤاد باشا وصحبنى إلى غرفة الجلوس فى الجناح الخاص الذى كان النحاس باشا وزوجته يقيمان فيه . .

وكان النحاس باشا جالسا (متربعًا) فوق كنبة . . ولاحظت أنا أنه مشغول البال ، معكر المزاج . .

وبدأت الحديث وقلت إن حسنين باشا صديقى وأنا أعرفه جيداً . . أستطيع أن أثق فيما يقوله لى كصديق . . وهو برىء .

وسردت أو حاولت أن أسرد حجج حسنين باشا ، ومنها أن النحاس باشا ومكرم باشا هما اللذان كانا يرسلان إليه الوسطاء من أصدقائه .

وهنا قاطعنى النحاس باشا بحدة وبدأ هو يتكلم . . والذين يعرفون النحاس باشا - يرحمه الله - يوافقوننى على أنه لا فائدة .

- هذا غير صحيح فأنا عمرى ما أرسلت له وسطاء - ربما مكرم هو الذى أرسلهم ، أما أنا فلم أرسلهم ولا مرة واحدة لأننى أكرههم ولا أثق فيهم . . والذى حدث أننا كنا فى رأس البر فى الصيف الماضى وجاء أحد أصدقاء حسنين يقول لمكرم إنه حاضر موفد من قبل الملك لكى يدعونا لمقابلة جلالته . . وجاءنى مكرم ينقل إلىّ هذا الكلام فقلت له : يا مكرم بلاش فلان ده لأنى لا أثق فيه . . وقال مكرم (صحيح ولكن ما الضرر فى أن نسمع كلامه؟) .

وسافرت أنا ومكرم إلى القاهرة . . وقابلنى جلالة الملك ، ولكنه لم يقابل مكرم وغضب مكرم وقال : (علشان إيه جابونى بأه؟ . . يعنى أنا طيشة؟!) . . وهذه هى المرة الوحيدة التى جاءنا فيها صديق لحسنين باشا . . (الصديق المذكور هو الصحفى مصطفى أمين) .

أما الذين تآمروا على التفريق بين النحاس ومكرم عبيد قد ذكرهم لى النحاس باشا بأسمائهم .

وبعد أن هدأ قليلا انتقل إلى الحديث عن مقابلة الملك فاروق لمكرم عبيد عقب تأليف الوزارة وهى المقابلة التى أثارت شكوك النحاس باشا فى مكرم عبيد ، وقد سبق أن أشرت إلى المقابلة المذكورة ، وقلت إنها كانت مناورة أو مؤامرة من حسنين باشا للإيقاع والتفريق بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد . .

***

بعد تأليف الوزارة ببضعة أيام جاءنى مكرم وقال إن حسنين طلب منه أن يلتمس مقابلة الملك . . وأنه - أى مكرم - قال لحسنين إنه ليس عنده سبب يبنى عليه التماس

المقابلة . . ولكن حسنين قال له (فتش عن حاجة . .) وأخيراً قال له مكرم إن عنده رسم الوش الجديد للبنكنوت من فئة عشرة قروش وخمسة قروش . . فهل يطلب مقابلة الملك ليعرض عليه الرسم الجديد؟

ووافقه حسنين ومضى النحاس باشا فى روايته :

ولما قال لى هذا رأيت أنها حاجة غريبة وأحسست أن فى الأمر شيء غير بريء فقلت لمكرم باشا (وهو كذلك . . روح . . ولكن كن على حذر . . دول يا مكرم عوزين يفرقوا بيننا . . ابقى فوت عليَّ بعد المقابلة أو كلمنى بالتليفون . .) .

وانتظرت فى المساء . . الساعة ٩ . . تسعة ونصف . . عشرة . . عشرة ونصف . . وكنت كلما طلبته فى التليفون وجدت نمرته مشغولة . . وأخيراً وكانت الساعة منتصف الليل تقريبًا دخلت ونمت . .

وفى الصباح أحضروا لى «نوتة» أو رسالة منه كان أملاها بالتليفون . .

وفى نفس الصباح قرأت فى «الأهرام» بيانا لمكرم عن مقابلته للملك . . وهو بيان لا يكتبه سوى عبد . . و . .

وكان مكرم باشا قد سافر إلى الفشن واتصل منها بالتليفون مع النحاس باشا فى فندق مينا هاوس كما سبق القول . .

وعاد مكرم من الفشن وذهب وقابل النحاس باشا . .

وفى هذا يقول النحاس باشا ما أنقله بحروفه عن مذكراتى :

قال لى مكرم إنه لا يرى رأيى وأنه لا يرى ضرراً فى كتابة الكلمة التى نشرتها جريدة الأهرام لأننا سبق أن كتبنا مثلها ومدحنا الملك بأعظم منها . . فقلت له (فليكن . . ولكن أنا الذى أكتب وأمدح . . لا أنت . . لأننى أنا أقدر الظروف . . وأنا إذا مدحت فأنا أتقاضى مقابل المدح ثمنًا . . أنا اللى باخد من الملك وأنا اللى بأعامل الملك مش أنت . . ولكن قل لى لماذا لم تأخذ رأيى وتستشرنى فى هذه الكلمة قبل نشرها؟) .

قال : فى الحقيقة حسنين باشا طلب منى بعد خروجى من مقابلة الملك أن أكتب كلمة كويسة عن الملك وأنشرها . .

فقلت لمكرم: إن هذا سبب كان أدعى لأن يحملك على أن تأخذ رأيى فى كل مسألة . . فلماذا لم تفعل هذه المرة؟ . . هذا سعى للتفريق بيننا يا مكرم . . وبكرة تشوف . .

ثم قال النحاس باشا إنه عرض بلباقة لهذه المسألة فى اجتماع الوزراء وعاتب مكرم باشا وقال له أمام زملائه الوزراء إنه يشفق أن تصبح المسألة مسابقة أو مزايدة بين الوزراء . . كل واحد فيهم يسابق زملاؤه إلى مدح الملك ويزيد فى المدح عما قال زملاءه . .

وبعدها انتقل النحاس باشا إلى الحديث عن إخراج مكرم من الوزارة، فقال إنه كان يعرف قبلها بشهر أن مكرم باشا ينوى أن يجعل من (الاستثناءات) ميدانا للمعركة . . وإنه - أى النحاس باشا - صرح برأيه هذا لبعض الوزراء فقال لهم: (مكرم مش ناوى يقعد معانا وبكرة تشوفوا . .) وأن نجيب الهلالى ذهب يومئذ إلى مكرم وسأله فى هذا فأنكر مكرم أن فى نيته عمل شىء من هذا وأكد إخلاصه للنحاس . . وتضامنه مع بقية زملائه . .

ومضى النحاس باشا يقول إنه ظل على رأيه وهو أن مكرم باشا ينوى الخروج عليه . . إلى أن كانت مسألة الاستثناءات التى كان رئيس الوزراء والوزراء قد طلبوها لعدد كبير من الموظفين الوفديين ومن الأنصار والمحسوبين والأقارب . . وهنا أخذ وزير المالية مكرم عبيد يماطل ويسوف فى الرد على طلبات النحاس والوزراء . . وكان يقول - كلما طلب النحاس منه سرعة الرد - كان يقول له . . (طول بالك شوية لأن اللجنة المالية بتعارض وأنا باعمل جهدى علشان أقنعها بالموافقة . .).

ثم قال النحاس باشا: ولكننى قلت له . . إن المهم هو إرسال الرد أيا كان . . بالموافقة أو بالرفض . . وأن المطلوب هو الرد وبس . . لأن الحركة واقفة . . وهناك حركة أخرى سوف تتلو هذه الترقيات المطلوبة ومش ممكن عملها إلا بعدها . . وأخيراً جاء رد اللجنة المالية بعدم الموافقة على الاستثناءات المطلوبة . . وقد رفض مجلس الوزراء مذكرة اللجنة المالية . . وقال لنا مكرم إنه لا يرتب أية نتيجة على

رفض المجلس للمذكرة المذكورة . . وأنه يضع استقالته تحت تصرفى . . ولكننا تصافينا فى الجلسة وعند مغادرتنا لقاعة اجتماع مجلس الوزراء دعانى مكرم لتناول الغداء معه فى داره، ولكنى اعتذرت بمرضى وبأننى أتناول أدوية معينة لم تكن معى . . وقلت له إننى سوف أتناول الغداء معه فى فرصة أخرى . .

النحاس باشا يقول إن القصد من نشر المذكرة كان التشنيع عليه وعلى أقاربه وإحراجه أمام الرأى العام.

تصافى واصطلح الرجلان الصديقان القديمان مصطفى النحاس ومكرم عبيد . . ولكن الأخير نشر مع ذلك أو رغم ذلك مذكرة اللجنة المالية . .

وقد فهم مصطفى النحاس من هذا العمل أن مكرم عبيد يريد التشنيع عليه وعلى أقاربه وأنه يستغل نفوذه لكى يمنح أقاربه علاوات لا حق لهم فيها . . كما أنه أراد إحراجه وإحراج زملائه الوزراء أمام الرأى العام . .

وهنا رأى النحاس باشا أن التعاون بينه وبين مكرم باشا لم يعد ممكنا . . ومن ثم رأى أن الحل الوحيد هو إخراج مكرم عبيد من هيئة الوزارة . . ومن منصب سكرتير عام الوفد . . لأن الثقة لابد منها بين رئيس الوزراء وأى وزير فى وزارته . . كما لابد منها بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد . .

ولكن لم يكن فى نية النحاس باشا إخراج مكرم من هيئة الوفد أو من الهيئة الوفدية . . وعضوية الوفد شىء . . ومنصب سكرتير الوفد شىء آخر . .

واستطرد النحاس باشا فى حديثه : وهنا أرسلت إليه عثمان محرم باشا لكى يذكره بوعده ويطلب منه أن يستقيل . . ولكن مكرم رفض وقال لعثمان محرم إنه لن يستقيل (وروح قل للى بعتك - أى النحاس باشا - يقيلنى من الوزارة إذا كان يقدر . .) .

- ومعنى هذا أن مكرم باشا كان واثقًا من مركزه، وكان يعرف مقدمًا ومن حسنين باشا وشلة حسن الأعور ومصطفى أمين وعلى أمين وكامل الشناوى . . كان يعرف منهم أن الملك سوف يرفض إقالته من الوزارة . .

وبعدها انتقل النحاس باشا إلى الحديث عن مقابلته للملك فاروق فى يوم

الثلاثاء ٢٦ مايو عام ١٩٤٢ . . (ولقد تمت هذه المقابلة، بينما كان مكرم باشا جالسا فى إحدى غرف موظفى التشريفات ينتظر دوره لمقابلة الملك، ولكن النحاس باشا لم يكن يعرف ساعتها أن مكرم عبيد موجود فى السراى وأنه سيقابل الملك فاروق . .).

قال النحاس باشا: ولما قابلت جلالة الملك التمست منه إقالة وزير المالية مكرم باشا عبيد وشرحت لجلالته حكم الدستور فى هذا الشأن وكذلك حكم السوابق الدستورية، ومنها إقالة عبد العزيز باشا فهمى، ولكن الملك قال لى (لا . . لا . . بلاش السابقة دى . . شوف لنا يا مصطفى باشا طريقة تانية غير الإقالة . .).

وهنا قلت لجلالته: إن حسنين باشا هو اللى تخن ودن مكرم باشا يوم ما بعت له مع حسن الأعور يطلب منه أن يستقيل! أو أحسن من كده . . خليه يبعث يجيبه فى السراى ويطلب منه باسم جلالتك أن يستقيل . .

فقال الملك فاروق: (دى فكرة عال . . ولكن نفرض يا مصطفى باشا أن مكرم باشا رفض أن يستقيل يبقى الحل أيه؟ . . أظن الأوفق يا نحاس باشا هو أن تقدم استقالة الوزارة وأنا أعدك أن خطاب التكليف بتشكيل الوزارة سيصلك فى نفس اليوم).

ومضى النحاس باشا فى روايته وقال: ولما رآنى الملك قد ترددت سألنى إذا كنت خايف منه ومش واثق فى كلامه . . وهنا أسرعت وقلت له معاذ الله يا مولانا . . وأنا أؤكد لك أننى أقبل الوزارة إلا إجابة لرغبتك ورغبة منى فى خدمتك، وأنا الآن احترق بالنار فى كل يوم ولا أنام الليل . . وثق يا مولاى أن أسعد يوم فى حياتى هو يوم يقبل جلالة الملك استقالتى ويعفينى من أعباء الحكم . . لأننى مريض وصحتى متعبة . .

ولكن الملك قال لى (لو أن الأمر تعلق بصحتك فقط لما كان هناك مانع من إعفائك من أعباء الحكم ولكن الظروف لا تسمح . .).

وبعد سكوت لحظات قال النحاس باشا: إن مكرم قال لبعض الشيوخ والنواب الذين زاروه . . إننى طلبت من الملك إقالته وأن الملك رفض . . فمن الذى أخبر

مكرم عبيد بهذا وبما دار بين الملك وبيني . . لازم يكون حسنين باشا . . وزى ما سبق قلت دى مؤامرة بينه وبين مكرم عبيد . .

***

وأصبحت وكلمت حسنين باشا بالتليفون وقلت له إن النحاس باشا هايج جداً وهو مصر على اتهامك أنت وبعض أصدقائك بكذا وكذا وكيت . .

وهنا احتد حسنين ولعلها المرة الوحيدة التى سمح لنفسه فيها أن ينفعل وأن يحتد ولعله خشى العاقبة وأشفق من أن يحاربه النحاس باشا الذى كان يومئذ فى مركز قوى جداً . . يستطيع منه أن يشن الحرب عليه ويقول : (إما أنا وإما أحمد حسنين . .) وهنا قد يتدخل الإنجليز مرة أخرى ويطلبون من الملك فاروق إقصاءه من منصب رئيس الديوان . .

ومن هنا كانت حدته وكان انفعاله . . الذى بدا واضحًا فى صوته وهو يقول :

شوف يا محمد . . أنا زى ما قلت لك . . لا يد لى فيما حدث . . وليس فى برنامجى أن أحارب النحاس باشا ، ولكن إذا كان عاوز يهاجمنى فسوف أضطر أن أثب على قدمى وأرد الضربة ضربتين . .

ثم تواعدنا على اللقاء فى ظرف أسبوع على أن أكلمه قبلها بالتليفون وقد وجدت أن الحالة خطيرة وأن الشد من الطرفين قد يؤدى إلى قطيعة أو ينتهى باصطدام . .

وكلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون وقلت له إن مقابلتى للنحاس باشا مساء أمس لم تنته إلى النتيجة التى كنا نرجوها . . وإننى اضطررت للتظاهر بالموافقة على رأى رفعته لأننى أدركت أن لا فائدة من المناقشة .

ثم قلت : وأنت تعرف النحاس باشا وتعرف عناده وأنه إذا انطلق فى حديث فليس هناك من يستطيع أن يقاطعه أو يوقفه . . وأنا فى الحقيقة لا أوافقه على رأيه فى حسنين باشا . . وبعد ، هل من حسن السياسة مبادرة حسنين بالعداء؟ . .

فأرجو يا باشا أن تعمل من ناحيتك على إقناع النحاس باشا برأيى هذا . .

ووافقنى فؤاد باشا وقال إنه يفكر فى دعوة النحاس باشا والسيدة حرمه وحسنين باشا لتناول العشاء معه فى داره. ولعل هذا الاجتماع العائلى يساعد على تهدئة الجو بين الطرفين..

ومر يومان أو ثلاثة أيام.. ولما لم أتصل بحسنين باشا بالتليفون كما كنت وعدته سأل عنى مرتين.. وهكذا زرته فى داره فى صباح يوم السبت وقلت له إن فؤاد سراج الدين باشا يريد أن يدعوك مع النحاس باشا وزينب هانم لتناول العشاء فى داره.. فقال إنه يفضل أن يبدأ هو بدعوة النحاس باشا والسيدة حرمه لتناول الغداء أو العشاء معه فى داره.. ثم عاد وقال: الأفضل أن تتناول أنت وفؤاد باشا الغداء معى أولا..

وقمت إلى التليفون وكلمت فؤاد باشا واتفقنا على أن نتناول الغداء مع حسنين باشا.. وانتقل هنا بشىء من الإيجاز إلى ما رويته يومئذ فى مذكراتى بتاريخ الاثنين ٨ يونية عام ١٩٤٢..

روى لنا فؤاد باشا - ويظهر أنه كان أعد مقدما حديثه - روى لنا بوادر الخلاف بين مصطفى باشا ومكرم باشا.. هذا ولو أننى أعتقد أن ما رواه لم يكن أول بوادر الخلاف..

قال: ذات يوم كان النحاس باشا لا يزال يقيم فى الباخرة محاسن.. قالت زينب هانم للأستاذ قاسم جودة الذى كان يزورها كلاما كثيراً معناه وخلاصته أنه وآخرين من الصحفيين يسرفون فى الكتابة عن مكرم باشا وعن حركاته وسكناته، بينما رئيس الحكومة نفسه وبقية الوزراء لا يكتب عنهم نصف ما يكتب عن مكرم باشا عبيد..

ويظهر أن الأستاذ قاسم جودة ذهب إلى مكرم باشا وأبلغه ما قالته زينب هانم لأنه - أى مكرم - ذهب وقابل مصطفى باشا وقال له إن زينب هانم تسىء إليه وتطعن فى حقه وعاتبه فى هذا.. وهنا قال له النحاس باشا إنه يستبعد صحة الخبر وسأله عن اسم الذى أبلغه هذا ولكن مكرم باشا رفض أن يبوح باسمه.

وقال النحاس باشا للسيدة زوجته إن مكرم باشا عاتب عليها.. وروى لها ما

سمعه منه . . وكانت زينب هانم يومها مريضة وتلازم فراشها . . ولكنها كلمت مكرم باشا بالتليفون وطلبت منه أن يزورها . .

وفعلا زارها . . وعندما دخل عليها قالت له إن مصطفى باشا أبلغها عتابه ولكنها تنكر أنها طعنت فيه أو أساءت إليه فى أى حديث لها . . وسألته عن اسم الذى نقل إليه هذه الرواية ، فقال (إنه شخص أثق فيه كل الثقة وهو لا يكذب . .) ورفض أن يذكر اسمه . .

وطال بينهما الحديث والعتاب . . وزل لسان مكرم باشا فقال (يظهر إنك خايفة منى على مركز جوزك !) .

وهنا انتفضت زينب هانم غاضبة وصاحت بصوت عال : (منك أنت؟ . . أخاف منك على مصطفى النحاس؟ . . إيه اللى تقدر عليه؟ . . تقدر تعمل رئيس وزارة؟ . . تقدر تكسب الزعامة أو الحب الذى تكنه الأمة لمصطفى النحاس؟ . . جوزى هو اللى خلقك ! . .) .

وهنا قال لها مكرم : (اللى خلقنى ربنا مش جوزك . . وأنا اللى كونت نفسى بجهادى وتضحياتى . .) .

وكان النحاس باشا قد آثر أن يترك مكرم باشا وزينب هانم وحدهما يتعاتبان . . ولكنه أقبل على صياحهما فوجد زوجته تبكى غيظًا وغضبًا . . ولما عرف السبب التفت إلى مكرم وقال : (أنت غلطان . . قوم بوس رأس أختك وصالحها . .) وفعلا قام مكرم باشا وقبل رأسها ويدها . . وهكذا تصالح الاثنان . .

ثم قال فؤاد باشا : إن زينب هانم اتفقت مع النحاس باشا على كتمان هذا الحادث عن جميع الناس حتى إنه عندما ذهب نجيب الهلالى باشا وأحد الوزراء إلى والدها عبد الواحد باشا الوكيل ، لكى يوسطاه فى الصلح بين ابنته ومكرم باشا وجدا أن الرجل لم يكن يعرف شيئًا مطلقًا ، ولم يكن قد سمع عن وجود أى خلاف أو سوء تفاهم بين ابنته زينب هانم ومكرم عبيد . .

وقال فؤاد باشا كذلك . . (ولكن مكرم باشا خرج يقول لأصدقائه إن زينب هانم شتمته وأهانته . .) .

وتحدث فؤاد باشا بعد ذلك عن وزارة التموين والخلاف الذى قام بسببها وأنكر على مكرم باشا دعواه وهى أنه فوجئ بها فى خطاب العرش، وقال إن الحديث عن إعادة الوزارات الثلاث دار فى إحدى جلسات مجلس الوزراء وأن مكرم باشا عارض بشدة فى سحب وزارة التموين منه ولكن النحاس باشا استطاع أن يقنعه بضرورة التخلى عن الوزارة المذكورة. . وقد تظاهر مكرم باشا ساعتها بأنه اقتنع . . ثم طلب من النحاس باشا تأجيل تعيين وزير لوزارة التموين لمدة شهر واحد ووافق النحاس باشا على طلبه . .

وعندما استدعى النحاس مكرم عبيد وسأله متى يعلن عن رغبته فى ترك وزارة التموين! . . فقال له مكرم إنه لن يترك وزارة التموين! . .

وهنا أبدى النحاس باشا دهشته واستنكاره وقال: (إزاى يا مكرم؟ وأقول للملك إيه؟ أقول له أنا كداب؟ . .).

فقال له مكرم: (لا . . قل له إننى أنا الكداب! . .).

***

* وتجدد الصراع بين حسنين المكيافيلى الذى أقسم أن ينتقم من مايلز والنحاس باشا، ولعب محمود أبو الفتح دوراً كبيراً لتحسين العلاقات بينهم، فأحس زعماء الوفد أنه يطمع فى الوزارة فاعترضوا وعلى رأسهم فؤاد سراج الدين، الذى استنكر. وتمكنت بعد ذلك السيدة زينب الوكيل وأحمد حسنين من الإطاحة بمكرم عبيد، وتوالت الأحداث السريعة وتفاقم الصراع الشعبى وثارت ثائرة بقية الأحزاب وهذا أدى إلى شيئين: الأول: إنذار ثان للملك بعدم إقالة النحاس باشا. والثانى: المظاهرات العنيفة التى أدت إلى احتراق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢.

***

مذكرات محمد نجيب .. فى الروبابيكيا!

تمهيـــــد

ذات صباح . . .

هبط الأستاذ أنسى سيد محمد مدرس اللغة الإنجليزية بمعهد القلج من بيته . . كعادته كل يوم عطلة أسبوعية إلى سوق الروبابيكيا القريب. حيث تعود على شراء بعض الكتب القديمة والتحف النادرة.

ووسط زحام السوق وقف الأستاذ أمام بائع روبابيكيا يعرض الكتب القديمة للبيع، وبينما كان الأستاذ أنسى يتصفح هذه الكتب. وقعت أنظاره على «أجندة» قديمة بدون غلاف. مكتوب بخط اليد. فالتقطها وألقى عليها نظرة عابرة. اكتشف منها أنها مذكرات «شخص ما» ولا يعرف الأستاذ أنسى ما الذى دفعه على الاهتمام بهذه «الأجندة» القديمة.

سأل بائع الروبابيكيا: بكم تبيع هذه «الأجندة»؟

ألقى البائع نظرة لا مبالية على الأجندة. ورد قائلا: بـ ٥٠ قرشا ودون تردد أعطى الأستاذ أنسى البائع الخمسين قرشا وحمل «الأجندة» وعاد إلى بيته. ولم يكد يستريح، فتح «الأجندة» ليقرأ بعض صفحاتها. وعندما فعل وجد نفسه يقفز من مكانه وهو لا يصدق نفسه!

وصرخ: مش معقول؟ وعاد من جديد يقرأ ويواصل القراءة. ونسى الأستاذ أن يتناول طعامه أو يرد على أحد من أهل البيت. فقد استغرقته قراءة الأجندة المجهولة. والتى اكتشف سريعًا أنها مذكرات الرئيس الراحل محمد نجيب!

كيف وصلت هذه المذكرات إلى بائع الروبابيكيا؟

لا أحد يعلم لكن الرئيس نجيب كان يعيش سنوات حياته الأخيرة فى معتقله فى

فيلا المرج القريبة . . ولعل الأجندة تسللت أو غفل عنها الجميع بعد رحيل محمد نجيب !

وفكر الأستاذ «أنسى» فى أنه عثر على ثروة هائلة بالفعل . . وراوده خاطر بأن يبيع هذه الأجندة لبعض الصحف أو وكالات الأنباء العالمية التى سترحب بأن تدفع الآلاف من أجل مذكرات محمد نجيب .

ولم ينم الأستاذ أنسى .

لكن فى الصباح كان يحمل مذكرات محمد نجيب إلى «آخر ساعة» ليقدمها عن طيب خاطر .

وقال الأستاذ أنسى : هذه الأجندة تحتوى على مذكرات أحد زعماء بلادى . . ويجب أن تعرف الأجيال القادمة كل شىء عن بلادها وزعمائها .

سألت الأستاذ أنسى : لكنك كنت تستطيع تحقيق ثروة من بيع هذه المذكرات .

هز الأستاذ أنسى كتفيه . . ولمعت عيناه وقال بفخر : آسف . . تاريخ بلادى ليس للبيع !

وقد نشرت هذه المذكرات فى «آخر ساعة» على حلقات . بعد أن أكد لى اللواء جمال حماد والذى كان فى بداية الثورة سكرتيراً لمحمد نجيب أن هذا هو خط يده بالفعل .

وها أنا الآن أعيد نشر هذه المذكرات والتى كتبها محمد نجيب فى معتقله بالمرج . بالنص وكما كتبها تماما .

الجمعة ١٠/٢

أصبحت الإذاعة المصرية تكرر ما سمعناه فيها منذ وفاة جمال عبد الناصر وأخذت تصف مختلف الاحتفالات بوفاة المرحوم فى شتى دول العالم وتمجد المرحوم بكل ما فى قاموس الشجاعة والوطنية .

تقديس الفرد: إننا فراعنة نعبد الحكام وهذا مختصر ما يقال وليس لنا إلا الانسياق وراء الشعور العام الذى تذكيه الإذاعة، وطبعا مبدأ اذكروا محاسن موتاكم . .

ـ كذا العرب فى هذه الاحتفالات فى لبنان وغيرها تردد إننا سنحرر الأرض العربية شبرا شبرا وحبذا لو صح العزم وتناسينا الخلافات والمناقشات.

أرجو أولا أن يستمر احترام اتفاقية الأردن والفدائيين فى مؤتمر الملوك والرؤساء . . الذى تسبب فى وفاة عبد الناصر . . واللهم اهد قومى يا الله.

لا إله إلا الله عبد الناصر حبيب الله!

فأين محمد رسول الله؟ أما كان من الواجب أن يهتفوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله وعبد الناصر حبيب الله؟!

فى جيبى جنيه واحد و٣٥ قرشا

السبت ٣ / ١

الخروج اليوم مع اليوزباشى حسام عبد العليم والسيد هيكل السائق . .

حضرت الممرضة عفاف بعد غيبة طويلة استغرقت عدة أشهر بسبب مرضها وأعطتنى حقنتين، ثم عادت للمستشفى بعربتى وأخذها لزوجتى عائشة بحلمية الزيتون وأعطت عائشة حقنة، وكان معى اليوم اليوزباشى حسام وهو رجل معتدل ومؤدب وذهبنا للحلمية ثم إلى البنك لأصرف معاشى، وكنت قد قلت لسلفه اليوزباشى أحمد الجندى إنى سأذهب من البنك لزوجتى لأدفع لها نقودها ثم نأخذ طريق صلاح سالم للروضة لزيارة أخى على ودفع مبلغ له ليوزعه على بعض أقاربى، لكن اليوم لم يسمح لأن اليوم افتتاح المدارس والطريق صعب، لكن للأسف ما أن انصرفت حتى أصيبت عائشة بأزمة قلبية واضطرت أن أعطيها بنفسى حقنة فى العضل فتحسنت حالتها وعدت للمرج . .

كنت قد أعطيت السيد هيكل شيكا بمائة جنيه أمس صرفه لى وسلمنى المبلغ ثم

أعطيته شيكا آخر بمائة جنيه صرفه اليوم وكان فى جيبى جنيه واحد و٣٥ قرشا . . وما أن وصلت المرج حتى كان الباقى معى هو ٦٠ جنيها و٥٣٥ مليما فقط ، ثم صرفت ليوسف ١٧ جنيها والباقى ٣٤,٥٣٥ جنيه ، دفعت مرتب عائشة فتحية عبد العزيز ثم دفعت ٢٠ جنيها للجزار ولأجزخانة عين شمس ١٦ جنيها و٤٠٠ مليم ، ومرتب شمس هو ٣ جنيهات و٥٠٠ مليم + ١٥٠ مليما دفعتها صباحا لعامل التليفون لعدم وجود الفكة كما دفعت لها ٦ جنيهات أخرى وللبان ١١ جنيها ، ثم اللبن عن الشهر الماضى ودفعت لحسن عبد المعطى والسيد معوض ٥٠ قرشا تسلمها السيد معوض . . إلخ .

نمرة قرعة من المخابرات:

إشاعة أنى قد مت : ما أن وصلت حلمية الزيتون حتى وجدت لبيب أفندى غالى متلهفا على حضورى إذا سمع صديق له إشاعة وفاتى وأخبرونى فى الحلمية أن ناس كثيرون جاءوا يسألون عن صحة الخبر الدنىء وآية ظهور هذه الإشاعة . . كثيرون كالسيد هيكل والضابط والجزار أسرع بالحضور إلى عربتى عدد من الناس وسلموا علىَّ وعلامات تعجب والفرح ظاهر على وجوههم . .

باريس تطلبنى:

وأنا فى منزلى بالمرج طلبنى السيد مندوب المباحث تليفونيا وقال إن هناك مكالمة من باريس ؛ فاندهشت وطلبت منه أن يسأل عاملة السنترال من المتكلم؟ فأنا ليس لى أحد فى باريس . . . فردت آنسة وكلمتنى مباشرة وقالت : المسيو دميريه . . فقلت لا أعرف أحدا بهذا الاسم . . هاتى بيانات عنه . . ردت تقول : إنه صحفى إلا إذا أمرت السلطات الحكومية بذلك . . . وانتهت المكالمة وقالت لى : إنه يريد الاطمئنان على أنك على قيد الحياة . . . قلت : أنا بحمد الله بخير . . .

ورجحت أن يكون هذا هو جس نبض من المخابرات . . . وأنا فعلا فى هذا

الوقت لا أحاول الاتصال بأى مخلوق . . فإذا كانت هذه ثمرة مخابراتنا فهى ثمرة قرعة ! !

إلا أنه عاود الاتصال وتكرر أكثر من مرة وطلبت من المخبر أن يبلغه أن ذلك ممنوع . . وطلبت منه أن يوصلنى بالضابط النوبتجى بإدارة المباحث العامة لأخبره بهذا الموضوع ليبحث عن مصدر هذه المؤامرة الدنيئة . . إذ قد يكون المتحدث إسرائيلى فوافقنى وهأنذا أنتظر . . . وأبلغنى أن الضابط ليس على مكتبه . . . وقلت له : أطلب لى العميد أحمد صالح أو أى ضابط مسئول إلا أن تكون هذه لعبة من جهة ما فيتذرعون بها إلى قطع التليفون علىّ فى هذا الوقت مثلا ! ! أم هو تدبير لمؤامرة دينية . . . حسبنا الله ونعم الوكيل . .

إنها لمصادفة غريبة أن يكون قارئ القرآن فى الراديو يقرأ نفس الآية وأحمد الله وأسأله أن يتولانا ويحمينا من شر الكافرين . . القارئ كان يقرأ الساعة ٥ ,٨ الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

ونزلت إلى غرفة النوبتجى وطلبت العميد أحمد صالح بواسطة المخبر سيد عبد العظيم . . أخبرته بالموضوع فقال لى : لا تكلمه . . وقلت : إنى أمرت المخبر أن يقول لمثل هذا إنه ممنوع من الاتصال به . . وقلت له : لولا مرض زوجتى عائشة لقطعت سلك التليفون بنفسى منعا لهذه الخزعبلات التى قلت إنها صهيونية . . فقال : إن الذى طلبنى من باريس صحفى صهيونى فعلا وتم ذلك حوالى التاسعة مساء . . ثم اتصل بأن هناك على أبو النور وقال لى الإشاعة ملأت المكاتب والبلد ، لكنى طمأنته وكلمت فاطمة هانم السبكى ثم أختها فهيمة مرتين ، وكلمنى أخى الدكتور محمد وسألته عن حادث اصطدام عربة بجاموسة فقال إنها حدثت فى ساعة متأخرة ليلا ، وأن الدكتور أحمد سمير سالم طبيب الرفق بالحيوان قد طمأنه عليها . .

* * *

أنور السادات فى التليفون يتحدث عن جمال عبد الناصر فجأة فى حديثه إن

المرحوم أحبه الله تعالى فأحبه خلقه، نطقها خلقه جميعا . . وقال إن الله سبحانه وتعالى منحه نعمة الزعامة، القيادة نعمة وأى نعمة منحها أيضًا للسادات فألف مبروك يا صاحب النعمة، ثم شكر الشيخ الفحام صلاته على الفقيد - رحمه الله - .

غاندى مثله الأعلى:

قال يوسف فى تحديث: «إن الله يدافع عن الذين آمنوا» وذلك بعد أن ذكر ما تردد عن الإشاعة «وحسبى الله ونعم الوكيل» المهم أنى من جانبى لا هم لى إلا تحقيق النصر على الأعداء وجمع كلمة المواطنين ونبذهم للخلافات السخيفة والتضحية بكل شىء فى سبيل الوطن وهو فى حرب الحياة أو الموت، بينما يعمل غيرى على إشاعة الكذب والبهتان . . فاعترانى شىء من الوجل لأن بداية كهذا لا ترضى الله ويد الله مع الجماعة . . أنا لا يهمنى شخص والموت عندى أمر استعذابه خصوصا فى سبيل الله والوطن . .

ولكنى أستبعد أن يكون هذا من صنع مصرى . . وقد يكون إشاعة الموت بالونة يهودية أمريكية ظانين أنى ممن يبحثون عن الزعامة والمجد الزائل . . فغاندى لم يكن يوما يبحث عن مجده الشخصى هو مثلى الأعلى بعد عمر بن الخطاب وأنا أتمثل بقادة الإسلام العظام . . فليس هناك من هو أعظم قدراً منهم إنما ذكرت غاندى لأن المرحوم عبد الناصر لما سألته جريدة Out Look الهندية عن سبب الخلاف بينى وبينه قال: إنى متمسك بالمثل العليا مثل غاندى وهذا لا يناسب زماننا . .

مرتب فاروق خمسة جنيهات:

الأحد ٤ أكتوبر ١٩٧٠...

خرج فاروق الساعة ٩ إلى عمله بعد أن حضر وودعنى وقال إنى خارج قلت له انتظر لتأخذ مرتبك منى وما لك عندى وتوضأت، ناولته خمسة جنيهات مرتبه + ٢ جنيه كنت قد اقترضتها منه هذا الأسبوع . . ثم نصحته أن يحسن معاملته ويلتفت

إلى سمعته التى أصبحت تلفت النظر، وقلت له إن تصرفاتك تصرفات طفل فى العاشرة وهذا أمر لا يليق، وإن كنت تعاقر الخمر فهذا يضر بصحتك ومالك ودينك وهى تؤدى فى النهاية إلى السجن أو الجنون (ولو أنى لم أشم يوما رائحتها فى فمه إنما قد يكون من معاقريها ولهذا يتصرف بحمق دائم) وقلت له إنك ستقضى علىَّ وعلى والدتك التى هى الآن فى الرمق الأخير.

■ الساعة ١٠ صباحًا بعد أن انتهيت من تمارين اليوجا أعطيت الكلبة خروبة حقنة تراى بى ثم نزلت لغرفة التليفون، وتحدثت مع كل أقاربى مستفسرا عن صحتهم وطمأنتهم أنى حى أرزق وأن الإشاعة كاذبة.

■ الساعة ٣,٤٥ كانت الإذاعة خطابا للنميرى يودع الشعب المصرى عند سفره للسودان، والخطاب مستخرج من خطب جمال عبد الناصر تقريبًا أشاد فيه بالاشتراكية العلمية لتسير فيها الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى الذى أسرف فى مدحه، واستشهد بمدح جمال له واستشهد بفضل السوفييت علينا، وذكر الروابط التى تجمعنا بشعب السودان وعلى رأسها الاشتراكية دون أن يذكروا رابطة الدين والدم واللغة، ونقد بشدة الرجعية والرجعيين الذين وصفهم بأنهم يبكون بكاء التماسيح على جمال . . .

طلبت سلاحًا روسيًا من السفير:

سمعت فى إذاعة القاهرة شخصًا يتحدث عن ثورة فلسطين ذكر فيها ما قاله عبد الناصر عنها مستشهدًا بعبارات نسبها إلى عبد الناصر، وجاء فيما قال إنه اشترك فى المظاهرات وهو فى سن ١٥ سنة ٢٣ من أجل فلسطين، وأنه كان رئيسًا لرابطة الطلبة فى رأس التين إلى أن قال إن عبد الناصر اتصل بزعيم فلسطين وأخبره أنه يريد التطوع فى قتال اليهود فى فلسطين، وأخبروه أن الأمر يتوقف على رد الحكومة ثم عاوده مرة أخرى فأخبره أن الحكومة لم توافق على التطوع، غير أن جمال تطوع تحت قيادة أحمد عبد العزيز وقاتل معه فى فلسطين سنة ١٩٤٧! ويعلق نجيب على ما سمع فيقول:

الذى لا أعرفه أنه كان فى الكتيبة السادسة المشاة بقيادة المرحوم القائمقام جاد سالم لما دخلنا فلسطين فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ فهل قتل قبل ذلك؟ علما بأن الحكومة سمحت بالتطوع وأرسلت أحمد عبد العزيز مع بطارية مدفعية هاوتزر وعدد من الضباط والجنود والمتطوعين فى أول مايو ١٩٤٨ ، وكنت وقتئذ أنا قائد الكتيبة الثامنة مدافع ماكينة بالعريش وقائدا نائبا للقوات المصرية فى فلسطين بعد قليل وقبل التحرك إلى فلسطين .

المهم أن تعرف متى دخل أحمد عبد العزيز فلسطين ونحصل على قائمة بأسماء الضباط الذين كانوا معه والجنود ، وأنا أذكر أنه كان معه متطوعون سودانيون ومتطوعون من الإخوان المسلمين كنا ندربهم بالعريش سنة ١٩٤٨ .

وأذكر أنه من قبل قيامى للاستلام قيادة ك ٢ مدافع ماكينة مشاه بالعريش فى سبتمبر ١٩٤٧ فأبلغنى المرحوم البطل عبد القادر الحسينى الذى عرفته قبلها بشهور ، وعرض علىّ أن أقابل عمه مفتى فلسطين أمين الحسينى بمنزله بحلمية الزيتون ، وهو منزل كان يقيم فيه صفوت باشا وزير الأوقاف الأسبق ، وكانت محادثتنا بمنزل عبد القادر الحسينى الموجود فى المزلقان القبلى المواجه لمحطة حلمية الزيتون ، فسألنى السيد الحسينى عن السبب فقال لتأخذ معك بعض الأسلحة للعريش ورفح على ذمة المقاتلين وفلسطين ، فقبلت وسرت معه فى اليوم المحدد ، وقابلت سماحة المفتى ليلا بمنزله ، ولما عرض على الأمر وافقت بكل ارتياح مع أنه لو ضبطت هذه الأسلحة المهربة فى عفشى . . فالنتيجة السجن على الأقل وكان محافظ سيناء فى هذا الوقت اللواء هامرسلى الإنجليزى . . لكنى قبلت واتفقت ولم أخبر أحدا لأن هذا واجب يحتمه الضمير فلم أتخذه وسيلة للدعاية . . واسترحت لشخصية المفتى الذى كان يعرف اللغات التى أعرفها الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية وقال لى إنه ألم بها أيضًا . . وحتى دراسة الحقوق فقال إنه كان فى السنة الأولى لكلية الحقوق ووضعت الأسلحة الروسية معى مع أنى أنا الذى استدعيت السفير الروسى سوبولوف بالقاهرة ، ولما طلبت منه الأسلحة قال إننا نخشى أن تحاربونا بها ، فقلت له هل الروس أم بريطانيا هى المحتلة لمصر ومنطقة قناة السويس قال بريطانيا ، فقلت له لماذا تحس إذن أننا سنحاربكم بها إن هذا منطق غريب ، وخجل الرجل وقلت له

إنه كلما تزودنا بالسلاح قوينا واستطعنا ضرب العدو فوعدنى أن يكتب لموسكو ويوفينى بالرد، وفعلا وصل الرد بعد ١٥ يومًا وكنت معتكفًا بمنزلى بشارع طومان باى فزارنى، وقال إن حكومة موسكو وافقت على مدنا بالسلاح وطلبت قائمة بالمطلوب فأحلته إلى وزير الحربية «عبد الحكيم عامر» وتم الرد ولكن لم تصل الأسلحة إلا بعد أن خرجت من الحكم واعتقلت فى المرج ١٤ / ١١ / ١٩٥٤.

لا وحدة بدون نجيب:

* وأعتقد أن سبب اعتقالى هو الأمريكان والإنجليز لإحباط وحدة وادى النيل التى نادى بها السودانيون بأن لا وحدة بلا نجيب فى فبراير ١٩٥٤، عندما ساءت علاقاتى بعبد الناصر وزملائه استقلت، فلما عدت من الاستقالة قعدت ٣ أيام ذقت الأمرين وتحملت الكثير، ولكن كل هذا بسبب هتاف السودانيين لا وحدة بلا نجيب وتحملت كل شىء إلى أن يحين وقت الانتخابات والتصويت فى السودان على تقرير المصير هل الوحدة مع مصر أو الاستقلال.

* لكن عبد الناصر وزملاءه لم يمهلونى مدة الشهر التى كانت باقية على التصويت واتهمونى بأنى من الإخوان المسلمين واعتقلونى ليخلوا لهم الجو لتحقيق الوحدة بأنفسهم، لكن للأسف كانوا هم السبب فى عدم تحقيقها فلجئوا إلى وحدة العروبة التى سبق أن ناديت بها وأعددت لها العدة، وقدمت رسالتى فى مسابقة مجلة الجيش عنها سنة ١٩٤٦ وأنا محافظ البحر الأحمر، ولكن الدافع الأول لهم كان للتغطية على ما حدث من رفض الوحدة فى السودان لتتم وحدته بمصر ضمن وحدة الدول العربية الأخرى التى لم تتحقق بعد وليس أدل على صعوبتها واحتياجها إلى تمهيد وقت طويل وسياسة، وقد شهدنا فشل الوحدة مع سوريا بعد سنتين من تحقيقها.

الضبع الأسود وعبد الناصر:

أما عن القتلى فى فلسطين بعد ١٥ مايو وعن بطولات الفالوجا وعراق المنشية

إلخ ، فاسألوا الضباط السودانيين المتطوعين ممن كان منهم فى عراق المنشية مثل أحمد خالد والصادق الشاعر ، واسألوا أيضًا القائد العام الذى خلف المرحوم اللواء المواوى واللواء أحمد فؤاد صادق ، أو اسألوا أركان حرب محمد كامل الرحمانى ومحمد سيف الدين ، اسألوهم عن أعمال البطولة تفضحها أبواق الدعاية ويتندر بها العارفون ، وهل يذكر جمال لمعركة عراق المنشية التى قتل فيها ١٧ يهوديا قتلهم السودانيون ، لكنها مصر التى تقلب الحقائق أحيانًا فى صالح من يملك الثورة على الآخرين ، فكم مجدنا وعظمنا الملك فاروق ، الذى قال له طه حسين فى حفل افتتاح مركز الأرصاد الجوية معهد الصحراء : إنك يا مولاى سيدنا ومصر من صنع أياديك وأجدادك العظام .

ونحن أقدر الناس على قلب الحقائق فقد صورنا من هزيمة الفالوجا نصرا مبينا جعل الملك فاروق يتجاهل القائد العام أحمد فؤاد صادق ، ويستقبل بدلا منه السيد طه الضبع الأسود اللقب الذي خلفه عليه اليهود فأخذت به مصر وأن الضبع جبان يكنى به العرب عن الخوف وحتى في مصر تقول الناس أنت سبع والا ضبع .

لكننا فى مصر تغنينا ببطولة الضبع الأسود وصورنا من أخطاء حصار الفالوجا نصرا مبينا وكفاءة عسكرية نادبة ، مع أنها كانت سببا من أسباب الهزيمة إذ لو تحركت قوة الفالوجا إلى بئر سبع وهي على بعد ٣٧ كيلو متر ؛ لأصبح خط المواجهة موازيا لخط جبهة العدو ، ولأصبح مركزا مرموقا أقوى بكثير مما كان عليه بعد ذلك تسبب تعرض جيشنا لهجمات العدو وتخلف قوة الفالوجا عنها بأسلحتها المختلفة .

ولكننا دائمًا أبطال والله وحده يعلم من السبب فى نتيجة الفالوجا ! ! ! ولكننا نذكر التهديد لبريطانيا بإنزال ديونها فى سوق الأوراق المالية بنيويورك حتى ينخفض الجنيه الإسترلينى إلى صفر على الشمال . . . لكن مع ذلك فالصواريخ الروسية تهدد لندن الآن . . كما أذاع القنصل الروسى فى بور سعيد عجبا ولا عجب .

ولعلى لم أنس مناورة حل الإخوان المسلمين ومحاولة إلصاق حلهم بى ، فى حين كنت لا أرى الوقت المناسب لذلك الحل وفضلت حلا سياسيا بالتدريج والبكاء والتباكي على حسن البنا ، أخيرا يتهموني بأننى من الإخوان .

* الأمثلة كثيرة على الأضاليل مثل اضطرابات أول مارس ١٩٥٤ السودان

العناوين البارزة فى صحف صلاح سالم بأن عبيد المهدى يحاولون ذبح محمد نجيب أو قتل محمد نجيب وغير ذلك من الألاعيب التى أضاعت كل ما حققت وقطعت خط الرجعة على وحدة وادى النيل وغيرها.

لا ضرورة لزعامة عبد الناصر:

* إسرائيل.. أذاعت أن كل خلافات العالم العربى الذى كان وراءها عبد الناصر والعالم سيرى أنه لا ضرورة لمثل زعامته: لأن ذلك كان يناقض بعض المصالح لهذه الدول، كانت لعبد الناصر شخصية ذات تأثير كبير اصطلح على تسميته الشخصية الناصرية، ولكن بعد أن مات جمال عبد الناصر فإن البحث عن زعيم يحل محله يكون صعبا أن هناك العديد من العبر والأحداث، وهذه الفترة ستساعد الزعامة المصرية الجديدة التى تستنير بها فى استعادة مكانة مصر فى العالم العربى.

* صوت أمريكا.. وإسرائيل.. تقولان إن ٦٤ شخصًا ماتوا و٨٠ نقلوا للمستشفيات المصرية بجروح خطيرة أصيبوا بها أثناء جنازة عبد الناصر، كما قالت إن الحكومة الأردنية قدرت عدد القتلى فى الثورة الأهلية بـ ٧٠٠ قتيل و١٣٠٠ جريح غير أن الفدائيين قدروا هذه الخسائر بأكثر.

زكريا محيى الدين وشعراوى جمعة:

* قالت إسرائيل إن المرشحين لرئاسة الجمهورية هما زكريا محيى الدين وشعراوى ولكن «البرافدا» تقول إن الأخير هو الرجل القوى والمرجح أن ينجح بأصوات الاتحاد الاشتراكى.

* وقد عدد متحدث فى إذاعة ليبيا مناقب عبد الناصر وهى تقريبًا أحسن الصفات التى تميز بها عظماء الرجال لا تنقص شيئًا من صفات غاندى وعدم اللجوء إلى العنف (إطلاق الرصاص على المرحوم حسين سرى عامر استثناء!!) وعدم ميله إلى الغدر، ولكنها إذاعة الحماس وربما لا يعرف بعض أشياء حدثت، وقال

المتحدث إنه لما سئل عن مثله الأعلى فى الرجال قال إنه النبى - ﷺ - وأنه فعل مثله وحذا حذوه خصوصًا فى الرحمة بالأعداء (كإعدام) السبعة من الإخوان المسلمين والزج فى السجون بمن يحاول جمع إعانات لأسرهم أو أسر المسجونين.

يا ناس قولوا الحق فذلك أبلغ من كيل المديح دون تمحيص ومن تناسى الحقائق الأليمة التى مرت بالكثيرين. واللهم صبرا على ما نرى من مآس وخزعبلات.

* إن عبد الناصر يتميز بقوة الإرادة والصبر وضبط النفس هذا حقيقى حسبى لاحظته عليه أثناء عشرتى له: أما المكر فهذا لا يمكن أن ينفى عنه وإتقان العمل فى الخفاء. وقد قالها بنفسه عندما أراد أو هدد بالاستقالة والعودة إلى البدلة الكاكى وقال إنه سيلجأ للعمل الخفى مرة أخرى، وذلك أثناء أزمة إصرارى على عودة دستور الشعب والعودة للحياة النيابية: ولعله أشد مكرا من استثمار محادثتى التليفونية مع عامل تليفون النحاس باشا حينما سأله عن صحته، لأعرف إن كان ما نشره صلاح سالم أو عبد الناصر فى الجرائد من إطلاق سراحه وسجلوا المكالمة. أذاعوها بين رجال القوات المسلحة أن محمد نجيب اتفق مع النحاس على أن يكتفى بأن يبقى رئيسا للجمهورية وتعود الأحزاب واستشهدوا بالتسجيل، وهل من عار أشد من التجسس على بعضنا البعض ومن طمث الحقائق ومن نشر الأنباء الكاذبة.

يقول المذيع الليبى أو الذى كان يتكلم من ليبيا إن عبد الناصر كان لا يتحرك قبل أن يعرف موقع قدمه!! فهل كان إرسال قوات إلى مرسى حلايب التى طردها إبراهيم عبود أو الحشد الذى أرسل لاحتلال حلفا عملا محسوبا حسابا دقيقا وماذا كانت الغاية منه.

* وهل إطلاق العنان لأمثال أحمد سعيد يسلق الناس بألسنة حداد مثل ابن زيد قد حسب حسابه، أو كان عملا مشرفا، وهل الشتائم أو الضرب بالجزمة عمل يليق بالرجل وهل اللى ما يعجبوش يشرب من البحر الأبيض يشرب من البحر الأحمر هل كان هذا تهديداً لاتقاء مثل هذا كثير.

اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله ماذا أقول.. ماذا أقول؟

نجيب وعبد الحليم:

إذاعة إسرائيل عليها تشويش قوى يستحيل معها أن يسمعها أحد. قيل إنها أذاعت الساعة ٢ مساء تقول يزعمون فى مصر أن محمد نجيب وعبد الحليم حافظ وغيرهما ماتوا حزنا على عبد الناصر!! لماذا لا تكذب الحكومة التقدمية الراقية ذلك أو تعلن الوفاة فى الإذاعة إن كانت صحيحة... لكن يقال إن الحزب الاشتراكى أرسل إشارات تليفونية إلى أقسام البوليس لتعلن وفاتى المزعومة للناس، فيا للعار من هؤلاء الذين يحكمون البلاد وا أسفاه!! هؤلاء المتنفعون لا يجدون وازعا من ضمير أو دروعا من سلطات!! وأكثر من هذا ينصبون صيوانهم المزيف عند جامع عمر مكرم ويدعون المارة للعزاء فى محمد نجيب، وقد بلغنى ذلك من بعض الفلاحين فى المرج وقالوا إن هذا حصل وأنهم قد دعوا إلى ذلك بالفعل وكان الدعاة ورجال مصر العظماء أمناء وأعضاء الاتحاد الاشتراكى!

* الاثنين ٥ / ١٠ / ١٩٧٠

آويت إلى فراشى حوالى نصف الليل... وحلمت حلما مشوشا قليلا ومزعجا كثيراً، الساعة ١,١٥ استيقظت إثر حلم رأيت نفسى فيه كأنى أستعد لسفر أحمل معى عفشى إلى محطة مثل محطة سراى القبة، وكان لى منزل فى طومان باى وكان معى فى المنام أحد ضباط البوليس أو الجيش من كتيبة الحراسة، ومعنا أخى على بك نجيب يساعدنى ومعى العساكر الثلاثة الهادى وسيد وحسين وكأننا نتسلم من محطة حمامات القبة عفشا آخر مودعا بمخازنها، وكنا نجهزه لنقله للقطار القادم الساعة ٨,٣٠ مساء من الشرق إلى الغرب وكنا مشغولين بتهيئة العفش إلى سراى القبة، بينما أخذت العساكر الغلابة وأخى إلى المحطة الثانية التى هى سراى القبة إلى المحطة التى سنسافر منها وهى سراى القبة.

ربما كانت المحطة أشبه بكوبرى القبة وحمامات القبة مع أن موقعها شرقى وكنا مستعجلين لأن وقت القطار أزف حتى أننى فكرت أن أبقى بعض العفش فى نفس الليلة، ولما قررت ذلك كان السيد معوض حمل بعض العفش فأخذت أنادى عليه لينتظر لكنه لم يسمع تقريبا.. وكنت أبحث عن الضابط لأخبره بقرارى هو وأخى على بك الذى كان يجهز العفش بنفسه.

وفى أثناء ذلك رأيت كأن جماعة عسكرية قادمة نحوى يقودها ضابط عرفنى وأخذ يلوح لى محييا، وكان الضابط مصابا بجرح بأرجله ولم أتنبه فحييته وعبرت شريط سكة الحديد من الغرب إلى الشرق، ثم تم نقل العفش وكان السيد معوض حمل بعض العفش فأخذت أنادى عليه لينتظر لكنه لم يسمع . . . ورأيت كأن شخصا أو اثنين يجرون عربة بها ميت وهو رجل كبير الرأس ضخم الجثة يظهر أنه كان جبارا قويا وكانوا كأنهم حملوه بعد أن مات بقوة وربما مات غريقا واستيقظت . .

هذا الحلم أزعجنى وهو يشبه الكابوس وكانت بطنى ممتلئة قبل النوم بعد أن تناولت العشاء بنحو نصف ساعة وشربت كوب ماء قبل النوم.

هل هذا الحلم المشوش كابوس؟ أم أن هناك شيئًا خطيراً سيحدث؟

دونت الحلم بعد أن تلوت آية الكرسى، ومن بعدها قلت أعوذ برب موسى وعيسى وإبراهيم ومحمد المصطفى من شر الرؤيا التى رأيتها، وبدأت كتابة الحلم المدون أعلاه.

الفصل الأول

عبد الناصر انقلب ضدى!

نعيش مع مذكرات اللواء محمد نجيب فى أخطر فترة من فترات الوطن العربى . . فترة سبتمبر ١٩٧٠ حيث أيلول الأسود والقمة الأخيرة التى شهدها عبد الناصر ثم وفاة الزعيم . . ترى ماذا كان إحساس ومشاعر محمد نجيب بوفاة جمال عبد الناصر؟ وماذا كتب فى مذكراته عن هذا اليوم وهو يعيش وسط قطط وفئران وكلاب فيلا زينب الوكيل بالمرج؟ ويبقى أمامنا لغز لم نعرف حله . . هو كيف وصلت هذه الصفحات من تاريخ أول رئيس جمهورية لمصر ومن فيلا المرج لبائع الروبابيكيا فى القلج؟

كتب محمد نجيب بين الثالثة والسادسة من صباح الثلاثاء ٢٥/ ٨/ ١٩٧٠ يقول:

أعجبتنى هذه العبارات «الموت البطىء» بعد قراءتها فى مجلة الحوادث لأنى أحسست بها كثيرا عندما تأملت حالى أنى ميت حى . . لأنى محظور على زيارة أى مريض فى منزله أو بالمستشفى، ومحظور علىَّ دخول أى حانوت لشراء لوازمى حتى لو كانت تحتاج إلى ذلك لتفصيل بدله أو انتقاء رباط عنق، ومحظور علىَّ التردد على أى وزارة ولو لعمل توكيل شرعى لمحام ألمانى اختاره الإخوة المصريون فى ألمانيا الغربية لقضية مقتل ابنى العزيز - على - بل لقد حرموا علىَّ استقبال جثمانه فى المطار، فاضطررت لاستقباله فى المقبرة، بينما شيعت الجنازة رسميا فى ألمانيا الغربية . . وربما تكون هذه الإجراءات احتياطيا لما قد يقوم به الطلبة المصريون من مظاهرات أو احتجاج.

* الآن لى ٩ شهور و١٦ سنة معتقل بالمرج محروم من أبسط حقوق الإنسان كالعلاج . . أليس هذا هو الموت المدنى؟!

ويل للظالمين:

وويل للإنسان من أخيه الإنسان ولا أقول الحيوان لأن الحيوان ثبت الآن أنه أرقى من بعض بنى آدم، فالكلاب عندى تتعاطف وتتعاون، فالكلب هدد (رحمه الله) كان يعض بعض زملائه ثم لا يلبث أن يضمد جراحهم بأن يلعق منها ما يقدر على الجرح أن يلعقه بنفسه كما كان يفعل Peter والكلبة نحلة نظرتها مرارا ترضع أبناء الكلبة فلة المريضة، كما تلعق وتنظف أذنى أختها توتة. وينقل نجيب حديثه بسرعة وفجأة إلى عبد الناصر ويقول:

لقد حاولت طمأنة عبد الناصر وأنا فى الواقع أتسامح مع كل إنسان لأنى بشر ولا أحقد على من أساء إلىَّ، وإنى أشجع أعدى أعدائى إذا أحسست أنه يعمل عملا وطنيا ولقد هنأته على قرار سياسى يستحق التهنئة وعزيته أو واسيته فى كل مناسبة تستلزم ذلك، لكن ماذا كانت النتيجة؟ لقد انقلب ضدى من غير مناسبة، ولو أنى أعذره؛ فقط أحاط نفسه بسياج من المنتفعين قد يظنون فى تعاوننا إضرار بمصالحهم ومطامعهم.

العسكرى الأسود:

الساعة ٤,٤٥ صباح يوم ٢٥ / ٧ / ١٩٧٠ كتب يقول.. استيقظت الساعة ٣ صباحًا، إثر صياح الصول محمد العسقلانى (العسكرى الأسود فى حكومة صدقى باشا) وهو يتحدث مع زملائه فى الاستراحة التى تبعد عن غرف نومى بـ ٤٠ خطوة، ففتحت الشباك المقابل وناديت عليه أن هذا لا يصح وعيب ليست المرة الأولى، فكان رده أننا نتصايح لأن هذا شغلنا نمر حول القصر ونتكلم بدلا من أن يعتذر، نزلت وطلبت المباحث العامة (النقيب أحمد منير) وشكوت له الصول عسقلانى لأن هذه ليست المرة الأولى وأخبرته بتركهم البوابة وهروبهم إلى منازلهم بالمرج، وقلت لو أن فيه ضابط يمر فجأة سيجد الحراسة خالية، اللهم إلا من مخبر المباحث. فطلب الصول ونبه عليه أنى اضطررت إلى ذلك، رغم أنى لا أريد أن أشكو وأعتبر الشكوى لغير الله مذلة، لكن ضاق صدرى من تكرار هذه الأعمال وبعد ردود الصول علىَّ الخالية من أى أنواع الأدب والذوق.

* الساعة ١٦ , ٦ صباحًا: فكرت فى الوضع الذى أنا فيه والذى أعانى منه أشد العناء لأن:

* زوجتى عائشة المريضة من أكثر من عشر سنوات بالقلب فى منزل أسرتها بحلمية الزيتون منذ إخراجها من دار الشفاء من سنة تقريبًا. وذلك لأنها تتتابها الأزمات القلبية وفى منزلها يمكن إسعافها بسرعة، لكن هذا يكلفنى الكثير ويخل بنظام حياتى هنا.

* ولداى فاروق ويوسف بالمرج: الأول تزوج بفلاحة وأبوها خفير فى مؤسسة الدواجن ولا أراه إلا كل شهر مرة. أما فاروق فإنه يمثل الطفل الكبير فيعتبر أن كل من بالمنزل عبيد له ولأبيه، فهو كثير الاعتداءات على الخدم والجنود ولا يقول لأحد أحسنت أو شكرًا أو كتر خيرك، ولا يتورع حتى بالضرب على وجه الخادمة المسكينة شمس التى تقضى طول اليوم فى تنظيف المنزل وخاصة أن فيه عددًا من الكلاب والقطط، كما يعتدى بالسب على الجنود وهذا يسىء إلى اعتبارى.. وفاروق ويوسف يتهمان شمس بأنها «خباصة» توقع بينى وبينهما ويطلبان أن أطردها لكننى أعتذر لها عن أعمال أولادى.

لقد أصبحت حياتى جحيما بسبب أولادى الذين لا يشاركوننى فى مصاريف المنزل ولو بعلبة كبريت، مع أنى أوفر لهم كل شىء حتى أمواس الحلاقة..

القطة مسعدة اللطيفة:

الساعة ٣٥ , ٦ صباحًا أريد أن أوى للفراش بعد هذه الليلة السيئة ولا أريد أن أنام لكن القطة مسعدة اللطيفة شاركتنى ما أنا فيه وما أعانيه، قعدت بجانبى من الثالثة صباحًا حتى الآن رغم أنى قدمت لها طعامها فإنها لم تأكل جيدًا، وأخيرًا غادرتنى إلى مكان آخر حيث بقيت جالسة تنتظر عودتى إلى فراشى... أريد أن أنام ولو نصف ساعة تعوضنى عما أعانيه من الآلام.. الحمد لله رب العالمين.

* سأتوضأ وأصلى الصبح وأسأل الله أن يساعدنى على ما أنا فيه.

* الساعة ٤٥ , ٦ صباحًا كان هناك ضابط نوبتجى يحضر للمرج للخدمة نهارا،

ويقوم صول بدله ليلا، لكنهم بطلوا ذلك فى شهر رمضان، وأوقفوا إرسال الضابط ليبقى الصول نهارا وليلا . . ويا للمهانة.

جهة التحرير الشعبية ونسف أضخم طائرة فى العالم:

١ ـ الاثنين ٧ / ٩ / ١٩٧٠ اقتنص فدائيو فلسطين جبهة التحرير الشعبية أمس ٣ طائرات وفشلوا فى اقتناص الرابعة، ويقال إنهم حاولوا اختطاف خامسة فى قبرص وجاء فى الأهرام اليوم التفاصيل تحت عنوان «نسف أضخم طائرة فى العالم ـ الفدائيون العرب خطفوا أمس ٤ طائرات ركاب خلال ساعة واحدة ـ طائرات إسرائيلية هبطت فى لندن وطائرتان أمريكيتان وسويسرية فى الأردن وأمريكية فى بيروت ثم القاهرة.

٢ ـ وقد وصلت أكبر طائرة فى العالم ٧٤٧ جامبو مطار القاهرة فى الساعة ٤ , ٣٢ صباحًا بعد أن نزل منها الركاب ودوت فيها ٩ انفجارات ولم يبق منها سوى الذيل وأحد الجناحين، أما بقيتها فأصبحت كوما محترقا.

٣ ـ وصلت طائرتان إحداهما سويسرية والأخرى أمريكية إلى مطار للفدائيين فى الأردن وكان بالسويسرية ١٥٥ من طراز دى سى 8 عدا أفراد الطاقم وكانت متجهة لنيويورك، والأمريكية بوينج ٧٠٧ تحمل ١٤٥ راكبًا اختطفت من فرانكفورت إلى نيويورك . . الساعة الواحدة ظهرا أخلو سبيل سيدة وطفل.

٤ ـ الطائرة التى فشل الفدائيان فى اختطافها إسرائيلية تابعة لشركة العال عليها ١٤٨ راكبًا فى طريقها من تل أبيب لنيويورك تمت عملية الاختطاف بعد مغادرة أمستردام، واضطر المختطفان إلى هبوط اضطرارى فى لندن.

٥ ـ أفرجت سويسرا عن المعتقلين فى حادث اختطاف طائرة إسرائيلية وكذلك ستفعل ألمانيا.

٦ ـ ٥٢ قتيلا ٢١٠ جرحى ضحايا الأحداث الأخيرة فى الأردن منذ يوم الثلاثاء الماضى فوا أسفاه يا عرب.

٧ ـ قدمت إسرائيل اليوم الشكوى الحادية عشرة ضد خرق مصر لشريط الهدنة

مدعية أننا أنشأنا قواعد صاروخية تغطى كامل طول القناة وعددها ستون منها ١٠ محملة ببطاريات الصواريخ وبعضها شمال الإسماعيلية على بعد ١٠ كيلو من القنال .

٨ ـ انعقد مجلس الوزراء برئاسة جمال عبد الناصر مساء اليوم للنظر فى الحالة العسكرية والسياسية .

٩ ـ قام رئيس جمهورية نيجيريا الجنرال يعقوب جودن ، وكذلك رئيس جمهورية موريتانيا ولد دادة بالسفر إلى لوساكا عاصمة زمبيا لحضور مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز ، وذلك بعد زيارتهما لمصر .

ابتزاز وإهمال عسكرى بالطلبات:

الجمعة ١١ / ٩ / ٧٠ . . أصبحت عصبيا (للإمساك) وتذكرت أن السبب سوء الهضم من اللحم العجوز المدهن الذى أحضره العسكرى السيد معوض المغرم بشراء أردأ الأصناف . . الليمون هو الآن فى «أوانه» وهو من أرخص ما يكون ، أحضره من صنف صغير ضامر ردىء ، وهذا يتكرر منه دائمًا ومن زميله حسن مرتين أو ثلاثا من حيث عدم ذكر أنى نسيت إدراج شوربة الخضار بالقائمة اليومية فيأتى بعدد ٣ قروش x ٤ أيام أو خمسة دفعة واحدة أو خمسة دفعة واحدة والله أعلم إن كانت شوربة الخضار قد أحضرها فى الغالب أم لا . . وحتى أمس مر رجل ببلح جيد أعطانا منه عينة نتذوقها لكنهما مع تكليفى لهما بشراء بلح من هذا الرجل تركاه يمر دون شراء ليشتروا من غيره مع أنه كان يمر بباب القصر .

أحضرت له ريش اللحم الضان التى أحضرها أمس وأريته إياها (سيد معوض) وزعقت له من تألمى من هذا الإهمال وقلت له سأرميها للكلاب وقد تعافها ويظهر أنه أخذها معه ليريها للجزار . . لأنى لمحت فى يده هو والسائق حسن نفس الورقة التى بها اللحم .

* أخذت أقص ما يعجبنى فى جريدة الأهرام وليس فيها ما يعجبنى إلا الموضوع الذى عنوانه (علوم) بأعلى الصفحة الثالثة قبل النهاية .

* وجدت بآخر صحيفة الأهرام يوم ٦ الجارى صورة للوزير عزيز صدقى وزير الصناعة مع عبد الله مرزبان وزير التموين وغيره، والوزير يقص الشريط إيذانا بافتتاح معرض ستيا بفندق سميراميس، فتذكرت ذلك النوع والوزراء هذا الزمان من أمثال هذا الوزير ووزير الاقتصاد حسن عباس ووزير الإصلاح والزراعة سيد مرعى وغيرهم الذين لا يمر يوم دون ظهورهم وصورهم فى قص شريط افتتاح أو إلقاء كلمة أو عقد اتفاقية.

الشهرة وحب الظهور ولا حول ولا قوة إلا بالله والكل يعلم ما عليه الحال الآن من تهاون واضطراب فلا المصارف طهرت ولا غوث للمرضى والفلاحين كما فى عزبة المرج.. ولا ... ولا... إلخ.

يوم أسود فى تاريخ العرب:

الخميس ١٧ / ٩ / ١٩٧٠ نشبت منذ الصباح ثورة فى الأردن إثر تشكيل الوزارة العسكرية والقتال ضار والخسائر بالمئات من الأنفس بين قتيل وجريح من أبناء الشعب العربى، وقد استعملت فى القتال المدافع الثقيلة والرشاشات ٥٠٠ والدبابات والعربات نصف جنزير وغيرها فيا للعار.

ولا نتيجة لذلك إلا التمهيد لتدخل القوى الأجنبية، فالذى أعتقده منذ وقت طويل أن من أهم أغراض السياسة الأمريكية والاستعمار هو إيقاع الفرقة، تمزيق أوصال العرب، وأنهم لابد عاملين على نشوب ثورة الأردن ضد الملك حسين وحكومته فإذا انتصر هو على الفدائيين فإما أن يطلب الملك حسين تدخل دول أجنبية (غالبًا أمريكا وبريطانيا) فيصبح حق تدخلها مشروعا، وإما أن ينتصر الفدائيون وليس بينهم وبين إسرائيل اتفاق على إيقاف النيران كما أنهم سيعقدون حكومة غير معترف بها لبعض الوقت، وهنا يتدخل الأمريكان والإنجليز لحماية وجود رعاياهم ٥٤ من الرهائن من رعايا أمريكا على إنجلترا وسويسرا بين جبهة التحرير الشعبية فى مكان مجهول، كما أن إسرائيل قد تحارب الفدائيين وتستولى على الأردن وتتخلص من الجبهة الشرقية وتتفرغ بعد ذلك لجبهة القتال ضد الجبهة المصرية المتحدة.

* إذاعة صوت الجماهير (للفدائيين) بالعراق سمعتها الساعة ١٠ مساء إلى الساعة ١٠,٢٠ تذيع أوامر للقتال بالشفرة أو بالمصطلحات الرمزية ثم أخذت تصف ضراوة القتال فى الزرقا وفى عمان وغيرهما وشاركتها محطة العراق واستمرت الإذاعة كذلك إلى الساعة ١,٣٠ وبعد ذلك الحين حيث نمت وأنا أحمل آلاما مبرحة من هول ما سمعت . .

المدهش والمخجل إذاعة صوت الجماهير كانت تعزف طوال الوقت مارش Cmmreedesold أو star x stupoan الأمريكى، أى أنها تتغنى بموسيقى الأعداء فواخجلتاه وعلى ما أذكره هذا قد حدث فى ثورات عربية كالعراق وغيرها فماذا يقول العالم عن هذا الغباء؟ ألا يوجد مارش أو قطعة موسيقى حماسية عربية؟! ولكنها ثورة!!

القتال الفلسطينى الأردنى:

الجمعة ١٨ / ٩ / ١٩٧٠ رغم إيفاد الجامعة العربية السيد / اليافى نائب رئيسها إلى الملك حسين وياسر عرفات يناشدهما إيقاف القتال فوراً حقنا لدماء العرب رغم كل شيء استمر القتال على ضراوته.

وقالت إذاعة صوت العرب الجماهير إن الجيش أطلق القنابل الفسفورية فأحرق وهدم ٥٠٠ فدان فى عمان كما أطلق النابالم أمس والقنابل الحارقة اليوم على مخيم للفدايين وأن الأطفال وغيرهم يحترقون . . وطلب الهلال الأحمر الفلسطينى وهو تحت يد الفدائيين جمعية الصليب الأحمر بجنيف إرسال الإسعاف لأن القتلى بالمئات والجرحى بالآلاف ونظام منع التجول يحول دون الاقتراب منهم حتى ولو كانت عربات الإسعاف أو غيرها فاستجابت جنيف وأرسلت طائرة اليوم بها أطباء وإسعافات.

* أصدر حابس المجالى اليوم الجمعة أوامر للجيش بإيقاف القتال حتى تتاح الفرصة للفدائيين ليستسلموا أو ينفذوا الأوامر الصادرة إليهم لكن الفدائيين رفضوا واستمروا فى القتال.

وقد وصلتهم نجدات من سوريا، وصلت إلى الحدود الشمالية، وكان الفدائيون أمس قد أذاعوا أنهم استقلوا بالمحافظة الشمالية أربد وعينوا ثلاثة رؤساء للمدن الكبيرة كحكام لهذه المدن كالزرقا وغيرها . .

* واليوم قالت إذاعة صوت أمريكا إن محافظ أربد قد سقط أسيرًا فى أيدى الفدائيين .

الأسطول السادس يتحرك:

تحرك الأسطول السادس شرقًا وتحركت حاملة الطائرات Juam وسفينة أخرى من إيطاليا أرسلت طائرات فانتوم إلى إحدى قواعد تركيا وطائرات مجهزة بالأطباء والإسعافات لتخليص الرهائن الـ ٥٤ . . . أمريكا قالت إنها لا تنوى التدخل أمس واليوم تصرخ بأنها إذا استدعى الحال إلى التدخل فستتدخل وردت السوفييت بإذاعة تحذير للتدخل من أمريكا فى الأردن لأن له عواقب وخيمة قد تجرنا لمضاعفات أخرى . .

أما جولد مائير - فقد استقبلت بحماس شديد من مئات الموظفين فى وزارة الخارجية الأمريكية وأبا إيبان وزير خارجية إسرائيل يعلن أن لديه مقترحات لتسوية المشكلة الحالية فى الشرق الأوسط .

* أمس صرح إدوارد هيث رئيس وزارة إنجلترا بما يفهم منه شدة اهتمامهم بالآلاف من رعاياهم الموجودين بالأردن، وكذلك بالأربع وخمسين رهينة الذين هم تحت يد الفدائيين ولمحوا إلى أنهم قد يتدخلون بالقوة لتخليصهم .

* فى مرسى مطروح اجتمع عبد الناصر والقذافى وأبرقا للنميرى فى السودان لتنسيق وقف القتال فى فلسطين . . وقد أوفدا رئيس الأركان المصرى الفريق محمد أحمد صادق بالطائرة ليوصل رسالة إلى الملك حسين وإلى ياسر عرفات طالبين إيقاف القتال لكن طائرة صادق لم تستطع الهبوط فى مطار المفرق ويظهر أنه بلغ الرسالة أو تعذر عليه ذلك - أى منتظر الإذاعات . .

* قررت ليبيا قطع إعاناتها المادية للأردن بصفة نهائية بعد أن كانت مؤقتة ويظهر أن ليبيا تلوم الملك حسين لتشكيل حكومة عسكرية .

* تأكدت اليوم أنباء تحركات الأسطول السادس وتعزيزاته بالسفن والطائرات . . . إلخ . وصرحت أمريكا بأنها قد تتدخل لتخليص الرهائن وإجلاء رعاياها ، رفض الاتحاد السوفيتى محذرا إياها من التدخل .

* قالت إذاعة الثوار إن حكومة الحسن أذاعت أن بعض القواد انضموا إلى الحسين لكن هذا كذب . أمس قالت إذاعة الثوار إن الملك يحاول الهرب إذا التقت إشارة بذلك التقطها رجال الثورة - وأصدرت أمرها إلى الفدائيين بسد جميع منافذ عمان ومخارجها ومداخلها بالألغام والعربات وكل الموانع الممكنة . . وأن أحد الثوار قد أصيب من طلقات خرجت من السفارة الأمريكية وقد شوهت جثته وقتل بها . .

يوجا للعلاج:

* صحتى . . ربما من حزنى لما حدث فى الأردن وما أصابنى من غم شديد ، أو لسبب آخر كالانكباب على القراءة أو الكتابة ، أو لأنى أكلت بيضا قد يؤثر على الكلاوى والكبد وغير ذلك أصبحت اليوم أشعر بألم فى الجهة اليمنى من رقبتى ، وألم من أسفل الظهر حول الكليتين فأخذت أمارس رياضة اليوجا . . الرقاد فى وضع الجثة الهامدة العميق ، التدليك بالتحريك يمينًا ويسارًا وأنا مستلق على الظهر ممسكًا بركبتى وصدرى ووجهى للأعلى ، فتحسنت وكنت على وشك الوصول للياقة العالمية ، وقد عملت تمارين الشعبطة على العارضة الأمامية بأعلى الباب وحمل الجسم على اليد وإبعاده معلقًا فى الهواء نحو دقيقة حتى تستقر الفقرات فى أماكنها بالعمود الفقرى . . وفى المساء تحسنت ولكننى أحس بالألم يبدو أنه من الانكباب على القراءة والكتابة لأنها تستدعى حنى الرأس وهذا ضار بالفقرات خصوصًا التى بها التهاب مثل ما عندى سابقًا . .

الفصل الثانى

خبر أسود.. ومات جمال عبد الناصر!

رغم إبعاد محمد نجيب عن السلطة وعزله عن السياسة إلا أنه ظل طوال حياته يعيش بعين سياسية وفكر سياسى فهو يضع نفسه فى أى موقف يتعرض له الرؤساء ويفكر مع نفسه وفى عزله ماذا يجب أن يكون. . وماذا عليه أن يفعل. . فى مواجهة أى قضية تواجهها الأمة العربية. . وهذا ما فعله محمد نجيب - يرحمه الله - مع حرب أيلول الأسود وهى الحرب التى نشبت بين الفدائيين الفلسطينيين والملك حسين واستشهد فيها خمسة عشر ألفا «عربى فلسطينى/ أردنى» أى أكثر مما استشهد فى حرب ٦٧ و٥٦ و٧٣.

تمنى محمد نجيب أن يسلم الفدائيون الرهائن الـ ٣١٠ إلى ذويهم من البداية ليقولوا للعالم ها نحن أمة متحضرة.

واللواء محمد نجيب يعتقد أنه قادر على مصالحة الجميع بدليل أنه آخى بين القطط والكلاب فى فيلته رغم العداء الطبيعى بينهما إلا أنها التربية السياسية والمعاملة. . ويؤكد أن الكلاب والقطط قد فهموا معنى الوحدة. . فإذا هاجمهم قط شرس غريب تجمعوا يداً واحدة لمواجهة العدو. . ونتابع الفصل الثانى من مذكراته - يرحمه الله -.

* الثلاثاء ٢٢ / ٩ / ١٩٧٠

أذاع تليفزيون جمهورية مصر العربية ٩,٣٠ مساء انعقاد مؤتمر القمة وشارك فيه عشرة رؤساء أو مندوبوهم وقرر إرسال وفد إلى الأردن لبحث الموضوع هناك والوفد مؤلف من:

١ ـ اللواء جعفر النميرى رئيس جمهورية السودان .

٢ ـ الأمير . . الصباح .

٣ ـ باهى الأدغم عن تونس . .

٤ ـ الفريق محمد أحمد صادق عن مصر

وستكون مهمته حول الثلاث نقاط الآتية :

١ ـ كيفية إيقاف القتال . . .

٢ ـ حصر الأزمة بحيث يقطع الطريق على أى تدخل . .

٣ ـ . . . .

وقد بلغ عدد القتلى حتى الآن ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف قتيل ، وكانت بعض الأنباء تقدرها بثمانية آلاف من الفدائيين . . .

٢ ـ صوت أمريكا . . . تقول إن الملك حسين طلب إلى أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا أن تبذل كل جهد لمنع تدخل سوريا ويتهمون سوريا بإرسال اللواء مدرع الـ ٢٨ وأنه احتل بعض الدور الشمالية . .

٣ ـ حسنين هيكل عقد مؤتمرا قال إنه المؤتمر لا يمكن تسميته مؤتمر قمة إنما مجموعة من الرؤساء أو من ينوب عنهم للتفكير فيما يجب عمله . . .

١ ـ إيقاف المجازر . .

٢ ـ سحب القوات . .

٣ ـ إيجاد أسس للتعاون بين الجيش الأردنى والفدائيين . . معسكر الوحدات دمرت به ٨٠٪ من المساكين وسبعة آلاف قتيل ، هذا من رسالة لياسر عرفات خطية وقال إن عناصر خارجية عملت على إبطال أوامر إيقاف النيران . .

ويعلق على ذلك بخط أحمر . . ويقول : لقد حذرنا من التدخل الأمريكى ورغم الحجج التى يختلقها فإننا نعتبر عمله عملا عدوانيا ضدنا . . .

اليوم السادس للقتال:

رويتر قالت: نصف العاصمة قد دمرت، القتال يدور فى الشوارع ومن بيت إلى بيت وكانت الدبابات قد أخذت مواقعها فى الشوارع للضرب، كما يوجد حطام بعضها فى الشوارع . . .

*** معارك عمان لم تنته بعد:**

وقال الفدائيون إنهم دمروا كتيبة مدفعية، وفى السلط دمروا عدة دبابات والفدائيون يسيطرون على جبال عمان والحسن المنزلق أغارت طائرة هليوكوبتر على بعض المدن، وقالت وكالة ألمانية إن استمرار القتال فى الأردن يضعف الجيش ويقوى الفدائيين وانسحبت القوات العربية من بلدة الرمسة بناء على الأوامر، أما عمان فتحتاج لمساعدة عاجلة جدًا، والحاجة ماسة إلى الطعام والماء والنار والكهرباء . .

أمريكا استعدت ووضعت قواتها على أتم استعداد وهى تدرس الطلب الذى زعمت أن الملك حسين وجهه إليها .

أوامر بمنع التدخل حماية للرهائن:

فى لندن اجتمع مجلس الوزراء وصرحت المصادر البريطانية بأن إدوارد هيث يهتم اهتماما كبيرا باحتمال دخول إسرائيل وأمريكا إلى الأردن وقد دعاهما إلى أن يكون أى إجراء صادرًا من مجلس الأمن . .

وقالت وكالة فرنسية إن بريطانيا تطالب الدول الكبرى بإصدار أمر بمنع التدخل . . . كانت قاعدة أكرونبرى قد استعد رجالها لإنقاذ الرهائن . . .

قدمت إسرائيل الشكوى ١٧ عن صواريخ سام ٢ وسام ٣ . . صوت أمريكا يقول إن الجيش الأردنى بدباباته وطائراته يحاول الاستيلاء على أربد ونفت سوريا تدخلها فى القتال وقالت العراق إن طائرة أردنية أسقطها الفدائيون . . آلاف المرضى والجرحى عاجزون عن الحصول على الرعاية الطبية بسبب تدنى المستشفيات والقتال الدائر فى الشوارع . . . وطائرات الصليب الأحمر تنقل الدواء . . الجزائر والعراق والمغرب لن تشترك فى المؤتمر . . ويرون الاتصال بالدول الكبرى بالطرق

الدبلوماسية، وقد اجتمع الزعماء الجمهوريون بالرئيس نيكسون لبحث الموقف في الشرق الأوسط، ويعارض ما نسفلين التدخل في الأردن عسكريا وحذر من التدخل ووصف الموقف بأنه خطير ويجب ألا نعرض الرهائن للانتقام . . في الباكستان احتج الطلبة الفلسطينيون على قبول مصر إيقاف القتال واحتلوا السفارة الأردنية ورفعوا عليها العلم الفلسطيني وكانوا قد أقسموا على عدم الإجلاء عن السفارة ما دامت الحكومة العسكرية في حكم الأردن . .

ناطق فدائي في عمان يقول إن الحل الوحيد هو تنفيذ مطالبهم، كما قالوا إن الفدائيين موجودون في أماكن متفرقة في عمان وفي أمان . .

بعث الصليب الأحمر الدولي طائرة ثالثة إلى الأردن عليها أطنان من المواد العلاجية . .

أكدت إذاعة صوت أمريكا الساعة ١١ أن الملك حسين طلب إلى الدول الأربع الكبرى مساعدة دبلوماسية (ليست عسكرية) وقالت إن أمريكا أبلغت رد السوفييت على مناشدتها بانسحاب سوريا من الأردن، ولكن لا يزال القتال العنيف دائرا ومستمرا، وقالوا إن الجيش الأردني يحاول استعادة سيطرته على شمال العراق وقال الأردن إنه مشتبك مع ٣٠٠ دبابة سورية دمر منها ٥٠ خلال يومين، وقال زعيم الفدائيين إن خسائره بلغت عشرة آلاف قتيل وجريح . .

والموقف خطير جداً في عمان بحيث إن طائرات الصليب الأحمر أصبحت تنقل الأغذية بدلا من الأدوية والأطفال والنساء والشيوخ لا يجدون طعاما ولا ماء، وقد وصلت لقبرص ٩ طائرات إسعاف بها مستشفى معدات كامل و١٠٠ طبيب وممرضون سينقلهم الصليب الأحمر للأردن . .

ووجهت إيطاليا نداء إلى جميع الأمم مناشدة إياها بضرورة حل مشكلة الحرب في الأردن عن طريق الأمم المتحدة، ويظهر أن زيارة محمود رياض وزير خارجية مصر إلى إيطاليا حضر باحثا عن حل لتخفيف حدة التوتر في الشرق الأوسط . . أعلنت إيطاليا أنها تلتزم الحياد وعلى الحكومات اللجوء للأمم المتحدة ـ كذلك وجه بابا الفاتيكان نداء بعدم القيام بأي شيء يعطل مبادرة روجرز . . .

كدت أموت من الضحك:

الخميس ٢٤ / ٩ / ١٩٧٠

الساعة ٨,٣٠ فتحت الراديو لأستمع للنشرة من إذاعة القاهرة فجاء فيها أن القتال مازال مستمرا فى شمال الأردن، كما تسمع طلقات الرصاص فى عمان التى سادتها الفوضى على حد قول وكالات الأنباء الأجنبية.. فقد نقض قرار وقف إطلاق النار قبل أن يبدأ وينفذ وجاء بالأنباء أن المصابين بحروق النابالم فى معسكر الوحدات تعدو الألفين على حد تصريح الصليب الأحمر، ووصل إلى عمان نفس الليلة للمرة الثانية هذا الأسبوع الرئيس النميرى ووفد مرسل من القمة العربية فى القاهرة وقد تشاور مع القادة فى جو بالغ التوتر..

أمريكا تتعرض لضغط شديدة على حد قول بريطانيا من كل من فرنسا وروسيا وبريطانيا، وإسرائيل تصر على أن سوريا لم تسحب دباباتها ولكنها تستعد للهجوم مرة أخرى وقد استدعت إسرائيل ٩٠ ألفا من قوات الاحتياط للالتحاق بوحداتهم من بين ٣٥٠ ألف احتياطى، وتلح إسرائيل على أمريكا للتدخل بحجة وجود الدبابات السورية فى الأراضى الأردنية..

جاء فى النشرة أن الحكومة الليبية أنذرت أمريكا بأن تسحب أسطولها من شرق المتوسط فكدت أموت من الضحك! رغم ما أنا فيه من حزن عميق بسبب المأساة الحاضرة... واعتقادى أو شعورى أصبح يميل إلى عدم الاكتراث لأن العرب يستحقون ما حل بهم؛ لأنهم لم يقدروا ما يقدره الحيوان الأبكم من أن التضامن والوقوف صفا واحداً هو واجب الرجال أمام عدو خطر يتربص بنا الدوائر، ولقد ضربت عندى مع الكلاب ضد قط شرس يعتدى على القطط الأخرى والكلاب الصغيرة..

ولا أعرف لماذا يتخلص الأردن والعرب من الـ ٣٥٠ أو ٤٠٠ أمريكى الموجودين بالأردن لقطع حجة أمريكا فى التعلل بإنقاذهم وتتدخل عسكريا من أجلهم..

وفى اعتقادى أن الخطوة القادمة لأمريكا هى أن تدفع إسرائيل للقيام بهجوم شامل على الأردن تساعدها فيه حتى بجنودها الأمريكان من ذوى الجنسيتين

الإسرائيلية والأمريكية وتمدها بالطائرات من الأسطول وبالإلكترونيات وغيرها من الوسائل، وبذلك يمكن أن تكتسح الأردن كله فى أسبوع . . وبعد ذلك ومع تفكك الجبهة العربية تبقى أمام إسرائيل الجبهة المصرية تقف وحدها، ألا يكفى أن المغرب والجزائر والعراق لم تحضر المؤتمر وتظهر خلافتها مع باقى الدول العربية . . .

• العلة هى التكالب على التزعم والزعامة:

بورقيبة الذى شويناه وسلقناه بألسنة حداد كان أول من أدرك أن الواجب أن يجتمع رؤساء الدول العربية ونفذت فكرته الصائبة . . هذا هو الرجل الذى ظلمناه كان هو الذى اتخذ المبادأة بحل صائب ولكن . . ماذا ننتظر من عباقرتنا المتكالبين على الزعامة وممن انساقوا وراء مطامعهم إلى حد مكن العدو منا وأصبحنا بعضنا تحت الحماية الروسية والبعض تحت نفوذ أمريكا، ومن يدرى ماذا تأتى به الأيام من محن لقوم لا يتحدون حتى فى أحلك الأيام ويلطخون سمعة العرب جميعا بهذه المجزرة الرهيبة فى الأردن التى جعلت كلمة العربى مرادفا للوحشية والفوضى والغباء أمام العالم أجمع!

دولتان تأتمران بمبادئ ميشيل عفلق والبعض يتعلق بأهداب السوفييت والبعض بأمريكا والبعض بالصين، وكأن عقيدة الإسلام أصبحت فى نظرهم لا تصلح أمورهم ولا مبادئ المسيحية تعنى أى شىء فى نظرهم . . اللهم رحماك، لطفك بعبادك الضالين وا أسفاه . . .

أمريكا تدفع بالملايين:

صوت أمريكا . . الساعة ٩ مساء قالت رويتر إن المؤتمرين بالقاهرة أرسلوا إلى ياسر عرفات طلب حضور لحل ما بينه وبين الملك حسين ووضعوا تحت تصرفه طائرة للحضور ولكن الرد لم يصل إليه . .

الرأى السائد فى القاهرة الآن هو أن الفلسطينيين يجب أن يعطوا حق تقرير مصيرهم خصوصا بعد أن أصبحت قضيتهم معلومة للعالم كله . .

أصدر الملك حسين أمره إلى قواته بوقف إطلاق النار لكن راديو دمشق مازال يحض الفدائيين على القتال، وقد رفض ياسر عرفات أيضًا وسمعته فى صوت الجماهير يرفض إيقاف النيران، فبالله ماذا نقول فى هذا الخاسر خرافات أبو العاسر عرفات؟! إننى بدأت أشك أن هذا الرجل وليس ببعيد فإن ما فى الأردن من مؤامرة واسعة، وقد يكون للمؤامرة أبعاد من المخابرات الأمريكية، وقد تكون دفعت أموالا طائلة فى سوريا والعراق والأردن إن أمريكا تدفع بالملايين لهؤلاء الذين أشك فى إخلاصهم ووطنيتهم..

يؤلمنى أنى قد ضعفت يقينى فى الفدائيين وزعمائهم وفى غيرهم، ولكن من غير المعقول أن يتقاتل أبناء الوطن الواحد، بينما يقف أمامهم دولة إسرائيل يؤيدها الاستعمار! اللهم إلا تحت مخدر قوى كملايين الدولارات..

ماذا لو كان الفدائيون من جبهة التحرير بعد أن خطفوا الأربع طائرات فى يوم واحد قد أعادوها بركابها إلى مواطنيها، قائلين ها نحن أبناء فلسطين نثبت للعالم أجمع أننا وقت اللزوم نستطيع فعل أى شىء لكننا رحماء لا نريد أن نسىء إلى أحد، وإنما اختطفنا الطائرات لتحدث ضجة عالمية تنبه العالم إلى قضيتنا العادلة..

إنهم لو فعلوا ذلك لكسبوا عطف العالم أجمع وكفى بهذا مكسبًا عظيمًا.. أما تصرفهم بحجز الرهائن من المدنيين الأبرياء فقد أثار عليهم العالم أجمع وأظهرهم بمظهر الوحوش الكاسرة وأنزل عليهم سخط الجميع حتى بعض العرب..

- قالت منظمة التحرير فتح اليوم إن القوات الأردنية فى أربد قد عرضت لقصف شديد من الجو مع أن الفدائيين ومن معهم من القوات السورية كانوا بلا غطاء، وقالوا إن نصف القوة السورية قد عادت أدراجها، أنكرت سوريا إرسالها أى طائرات أو قوات للأردن..

- هل أصبح العرب يستحقون بجدارة صفة الهمج أو الجرب؟!

- لماذا لم يوقف القتال رغم أوامر الملك حسين، لعل بعض القادة قد ارتشوا من أمريكا وهذا يكون أيضًا مع الفدائيين؟ وإلا فلماذا هذه المجزرة هل الجيش الأردنى ضاغط على الملك؟ هذا بعض ما يدور فى خلدى؟

ـ دوجلاس هيوم:

قال أمام المجلس اليوم إن المجزرة الرهيبة فى فلسطين هى نتيجة لفشل جامعة الدول فى وضع حل لمشكلة فلسطين.

* الساعة ١٠,٤٥ مساء استمعت إلى إذاعة صوت الجماهير من العراق وتذكر نار الثورة الأردنية تقول إن المؤتمر فى مصر يساعد الملك حسين ولكنها ثورة إلى أن نموت.. وقالت إنهم أسقطوا طائرة أردنية وبعد سقوطها عانقهم الطيار، وقال إنه كان فارا بطائرته يريد الانضمام إليهم، وقال إن ما يقال إن الجيش الأردنى مخلص للملك محض كذب وهراء وكفر، فرجال المدرعات والطيران يريدون الانضمام للثورة..

الوزارة الأردنية تستقيل:

الجمعة ٢٥ / ٩ / ١٩٧٠ ـ استقال رئيس الوزراء الأردنى محمد داود، وقال التليفزيون إن رئيس الوزارة العسكرية محمد داود قد قدم استقالته ليفسح المجال لتشكيل وزارة مدنية وغالبا حابس المجالى أيضًا، وقد قبل الملك الاستقالة لكنه كلف الوزارة بالاستمرار إلى أن تشكل وزارة جديدة، وقالت الأنباء إن القتال مازال مستمرا فى السلك وأربد وأن إسعاف الجرحى جارى وسط النيران بكل الأسلحة الثقيلة والخفيفة...

خاسر خرافات:

لقد أرسل نميرى مرة ثالثة إلى الأردن ورغم صدور أوامر وقف إطلاق النار يوم ٢٢ منه إلا أن القتال مستمر، وسافر النميرى ومعه حسين الشافعى ومستشار الملك سعود ووزير الدولة الكويتى وغيرهم.. وقد أرسل النميرى رسالة إلى ياسر عرفات وخاسر خرافات مباشرة أن يقف مكانه وأن يجتمع فى أى مكان وزمان معه ولكن.. ولكن ما النتيجة مع هذا.. الذى تنم ملامحه على أنه.. ومن كبار؟

نشرة الخامسة مساء الجمعة ٢٥ / ٩ أصدر الملك حسين وعرفات أمرا لقواتهما بإيقاف النيران الساعة ٤٠ , ١ مساء نتيجة لجهود مؤتمر القاهرة قد تم الاتفاق الشامل لوقف النار وقد سلم عرفات أمرا كتابيا لنميرى بذلك . . حقنا للدماء البريئة . . ولدفن القتلى وللحصول على الماء والطعام وبقية اللوازم فإننى أوافق على إيقاف النار .

وأصدر الملك حسين بعد أن أظهر الإخوة الفلسطينيون استعدادهم لوقف القتال فإنى أصدر أمرى بإيقاف القتال وأطلب من الجميع التعاون بإخلاص لإعادة الرفاهية إلى شعبنا الغالى . أكدت السفارة البريطانية فى عمان أنه قد تم إطلاق ١٥ من الرهائن فى الأردن و ٢٠ ألمانيا وبريطانيين وخمسة من سويسرا ، أما ليلى خالد فلن يطلق سراحها إلا بعد إطلاق سراح جميع الرهائن .

الأسوشيتدبرس ذكرت أن حالة التأهب مازالت قائمة فى الأسطول السادس على بعد ١٥٠ ميلا من الساحل الشمالى ، وهناك ٥٠ سفينة ومثلها من السفن السوفيتية تراقبها وتتابعها دون تحرش بها .

ليلى خالد:

صوت أمريكا ٩ مساء:

اجتمع عبد الناصر باثنى عشر من أعضاء اللجنة المركزية للفدائيين وأعلن الأردن أنه أنقذ ١٥ من الرهائن الـ ٥٤ ، ولا تفكر بريطانيا فى إخلاء سبيل الآنسة ليلى خالد .

أعلن البيت الأبيض أن إيقاف النيران فى الأردن يدعو للارتياح وإلى أن يتحسن الوضع فى الأردن فإن الحكومة ستظل تراقب الأمر هناك .

إسرائيل تستمر فى شكواها ضد صواريخ مصر فى الأرض الممنوعة .

* نجحت وساطة الوفد العربى فى إيقاف النيران تمهيدا لعقد معاهدة سلام لم تصل تفاصيلها ، ووافق الملك حسين على الاتفاقية ، وقابل نميرى ياسر عرفات وعقد معه اتفاقية ، وقال عرفات كلفه بأن يتلو بيانا للشعب وأنه ينصاع لنصائح الملوك والرؤساء وحررت القوات الأمريكية والإسرائيليين .

ومؤتمر قمة القاهرة أجل اجتماعه لحين عودة النميرى، والتأكد من احترام وقف القتال.

* البيت الأبيض وصف التسوية بأنها مشجعة وأن الملك حسين سيجرى عملية تطهير فى جميع دوائر الحكومة، كما قال إن المخابرات ضللته لأنها أخبرته أنه يستطيع تصفية الفدائيين فى ساعات.

ملاحظة: المقصود من النبأ الأخير إيقاع الفرقة بين الملك والفدائيين وباقى الدول العربية فيظهر الملك بأنه معاد للفدائيين من مبدأ الأمر.

وعبد الناصر ظل عديم الحركة فى أزمة الأردن مع أن الملك حسين لا يعمل إلا متضامنا مع عبد الناصر والسبب أنه عاجز عن عمل أى شىء.

أخى ياسر عرفات:

حسبنا الله ونعم الوكيل:

السبت / ٢٦ / ٩/ ١٩٧٠ - بعد منتصف الليل.. من أعجب ما يكون، ومن العار أن إذاعة صوت الجماهير مازالت سادرة فى غيها لتحريض الفدائيين على مداومة القتال وذلك بالرغم مما تم من اتفاق على وقف إطلاق النار ومازالت الإذاعة مستمرة فى الأناشيد ومعها ثورة حتى النصر أعادت القتال ضار فى كل مكان وفى عمان تتساقط القنابل وطلقات البنادق، وتزعم حكومة الأردن مضللة كاذبة وتتهمها بالفساد وغيره وكأن لم يحدث أى اتفاق، وكأن ما أعلنه النميرى وإذاعات العالم والصليب الأحمر لم يحدث!!!

فماذا تريد الدولة التى تسمح بمثل هذه الإذاعات التى تحرض على استمرار القتل وسفك الدماء، ولكن ماذا نقول فهذه نتيجة طبيعية لحب الذات وحب الشهرة والتمسك بزخرف الحياة، كما أن الفدائيين يتبعون عدة حكومات، منهم يتبع بعث سوريا، وآخرون يتبعون بعث العراق والشيوعيين وغير ذلك: نداء إلى ياسر عرفات نقول. ونردد نريد الشمس بالقوة نريد النصر بالقوة.

أخى ياسر عرفات حسبنا الله ونعم الوكيل فى الفتنة . . وأصحابها وا أسفاه لانحطاط ما بعده انحطاط .

* الساعة ١٥ , ٢ صباحا : صوت الثورة الفلسطينية وصوت اللجنة المركزية . . فلسطينى من فلسطين . . فلسطين . . بلدى دمى . . . دمى . . . دمى أنا عربى فلسطين أنا طريد الحرية . . نريد نحارب بالحجر بصاروخ . . بلدى أنا عربى فلسطينى .

حلمت بعبد الناصر:

وتفسيرى للحلم هو:

حلم . . الساعة ٦,٣٠ صباحا حلمت حلما رأيت نفسى فى مجلس مع عبد الناصر وبعض أولاده ، أى كأنما بداره بمنشية البكرى وعلى يسار عبد الناصر أنور السادات وكأنى قد اشتريت لعبد الناصر كتابين صغيرين بقرشى صاغ ، فحاسبنى على ثمنها ولكنه دفع بدل القرش ٥ قطع بقرشين ، القطعة فى حجم صغير مثل زر القميص ، ولونها غامق ، وكان ذلك أمام ولديه والحاضرين وكان يقول لا يا عم لازم تاخد القرشين عشرة فداعبته قائلا : إذن كلما اشتريت لك حاسبنى بنفس الطريقة . . وإلا . .

وكأنى قد حملت إليه بعض الهدايا من الفاكهة وكأنى قد قابلته مع الدكتور هنرى أمين عوض الذى رأيته فى المنام قبل هذا الحلم مباشرة . . وكنت مرحا كما كان هو . . وكان عبد الناصر يريد أن يعطينى شيئًا لكن السادات كان يغمز حينما نظر إليه عبد الناصر مستطلعا رأيه ، كان يغمز بالمنع .

التفسير أو سبب الحلم . . ربما سأله عنى أحد المجتمعين فى مؤتمر القمة كالنميرى أو الملك وهذا تذكرنى بعد الإهمال الطويل وربما استفسر أحدهم عنى ولقد فكرت أن أرسل لهم برقيات ! !

مجرد خاطر الساعة ٧ صباحًا استمعت لصوت السودان وانتظرت أخبار سارة إلا أن المفاجأة كانت استمرار إطلاق النار والمجزرة مستمرة ! ! وا أسفاه .

وخبر يقول إن عبد الناصر بعث برسالة للملك حسين بناء على رأى من أعضاء مؤتمر القمة، ثم إن النميرى وصل ومعه ياسر عرفات الذى حضر مع الوفد دون علم الحكومة الأردنية وأن النميرى سيعقد مؤتمرا صحفيا يشرح فيه الحالة بالأردن.

* وعقد المؤتمر وأعلن النميرى ما يلى:

إبادة الشعب الفلسطينى:

إن حكومة الأردن وضعت خطة لن تحيد عنها لإبادة الشعب الفلسطينى بأطفاله ونسائه دون تميز بين أطفال أو شيوخ، وأنها حاصرت جميع الشوارع فلا يستطيع مخلوق أن ينفذ من الحصار، وأن الناس يموتون جوعا وعطشا كما يئن الجرحى تحت الأنقاض ولا يستطيع الصليب الأحمر الوصول إليهم، وقال إنها مؤامرة مدبرة بإحكام لإبادة شعب فلسطين، وقال الملك أخر السيارات المطلوبة لنقلى إلى الجبل الذى حدده عرفات للقاء معه الواحدة صباحا وقال النيران أطلقت على عربات الوفد وكذلك السفارة المصرية.

ورد الملك حسين ببرقية على عبد الناصر أن الفدائيين لا يحترمون وقف إطلاق النار.

قطعت ليبيا كل علاقتها بالأردن ووجهت إنذارا لأمريكا.

بريطانيا أرسلت مظلات لقبرص بحجة الاشتراك فى مناورات.

مؤتمر القمة مازال منعقدا فى القاهرة. . ونيكسون سيبدأ رحلته غدا لدول أوروبا.

الملك حسين قد يطير إلى القاهرة للاجتماع بالمؤتمر - وبدأت المساعدات تصل الأردن.

* كان النبأ الذى أذاعه تيتو ٧٨ أنه سيؤلف مجلسا رئاسيا يحكم يوغوسلافيا يتكون من ٤ لغات وديانات مختلفة، وقد حكم ٢٥ سنة وليس له بديل وسيظل تيتو على رأس الحزب الشيوعى ويتدرج نفى إعطاء السلطة المستقلة للمجلس لأنها الدولة الشيوعية الأولى المستقلة خارج نفوذ السوفييت.

الأحد ٢٧ / ٩

اجتماع مؤتمر القمة الساعة ١١ مساء انتهى الاجتماع، وقد أرسل الملك برقية لعبد الناصر ومن المحتمل أن يصل للقاهرة والمؤتمر الصحفي للنميرى حضره ١٥٠ صحفيا.

- بعد أربع ساعات معارك فى الزرقا ارتد الجيش الأردنى وأعلن نيكسون أنه سيرسل أسلحة للأردن، ووصفت صحيفة تاس السوفيتية ذلك بأنه مظاهرة ووزارة طوقان الأردنية تضم ٦ عسكريين ويقال إن ذلك لن يغير من الموقف شيئا.

- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تستعد للإفراج عن باقى الرهائن من ركاب الطائرة والأيرباص. . رئيس اليمن أعلن مشروعا للدستور لليمن.

١ - إذاعة القاهرة الساعة ٥ مساء وصل الملك حسين الساعة ١٥ , ١١ صباحا اجتمع الرؤساء اجتماعا مغلقا حضره ياسر عرفات والملك حسين.

٢ - ساد العاصمة الأردنية هدوء نسبى الليلة الماضية ولكن سمعت بعض طلقات فردية ومازال خط التمويل قائما.

٣ - إن هناك ٦ من ركاب الرهائن لا يعلم بعد ما إذا كان سيطلق سراحهم، لكن قيل إنهم أفرج عنهم وتسلمتهم السفارة المصرية فى عمان، وكانت اللجنة المركزية قد قررت الإفراج عن الجميع حتى لا يتعرضوا لخطر القتال.

وقد ساروا على الأقدام إلى رأس العين وتولاهم الصليب الأحمر ونقلهم تحت إشراف القوات المصرية المسلحة.

٤ - سحبت اللجنة المركزية مندوبيها الفلسطينيين الذين كانوا فى العراق أغلقوا إذاعة صوت الجماهير لأن العراق صوت أمريكا، وقع الزعماء اتفاقية صلح بين الملك حسين وعرفات وسحب الجيش من عمان والفدائيين كذلك إلى مواقع يتفق عليها وأن تعود الحالة إلى ما كانت عليه وطلب عرفات الإفراج عن جميع الفلسطينيين المعتقلين، وهم فى عمان عشرون ألفا، وتم الاتفاق فى جو من الإخاء.

ـ دعا البابا مرة أخرى إلى تقديم العون لمنطقة الشرق الأوسط وإحلال السلام لأن المشكلة يجب حلها وأن فى عدم حلها خطرا على السلام العالمى .

ـ أطلق سراح كل الرهائن وآخرهم الستة الذين كانوا فى سفارة مصر . . أشادوا بحسن المعاملة .

ليلة الإسراء:

اليوم ليلة الإسراء وقد صليت المغرب ، وتلوت سورة يس ٣ مرات ، ودعوت الله بحرارة أن يكشف هذه الغمة وأن ينصر العروبة والإسلام وأن يرد كيد الأعداء كما دعوت لأفراد أسرتى وترحمت على أمواتنا وأموات المسلمين ، وطبعا زادت اللحوم وغيره فى هذه الليلة المباركة .

ـ أرسلت فاروق لحضور مناسبة عقد قران الدكتور موريس أمين عوض هذا الرجل العظيم المثالى فى الكفاءة الفنية ومكارم الأخلاق هو وإخوته الكرام كلهم ورضى الله عن والديهم اللذين أنشأهم هذه النشأة الطيبة .

وكان العقد فى كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة .

ـ فى جبهة القتال احتفل بليلة الإسراء وخطب وكيل الأزهر ثم وزير الشئون الاجتماعية الأستاذ حافظ بدوى فأحسن وأجاد ، وبعد أن كانت وجوه الجنود فى التليفزيون عليها آثار التعب أشرقت أسرتهم إثر هذا الخطاب وصفقوا له واستمرت قراءة القرآن فى الجبهة إلى ما بعد منتصف الليل .

موجز أنباء التليفزيون جاء فيه ذكر ما تم الاتفاق عليه اليوم فى مؤتمر الملوك والرؤساء وهى أكثر من عشرة بنود أو ١٤ بندا ، وقد عين السيد الباهى الأدغم رئيسا للجنة العليا لتنفيذ الاتفاق وأرسلوا إلى السيد الحبيب بورقيبة يخبرونه بذلك ، كما بدأ المجتمعون العودة إلى بلادهم فسافر القذافى وودعه عبد الناصر .

* إسرائيل تنذر الملك حسين بأنه إذا تجدد اعتداء الفدائيين على إسرائيل من أراض أردنية فإنها تحمله المسئولية ، وكان ذلك بعد اجتماع مجلس وزراء إسرائيل والإنذار موجه من جولدمائير وآخرين من وزرائها غالبا آلون .

خبـــر أســـود:

فى أحرج وقت تحتاج فيه البلاد إلى عبد الناصر أعلن أنور السادات الساعة ١١ مساء أسود نبأ هو وفاة المرحوم السيد / جمال عبد الناصر بالسكتة القلبية فى الساعة ٦,١٥ مساء بعد أزمة بدأت الساعة ٣,١٥ مساء أو نحوها بعد الانتهاء من وداع الملوك والرؤساء - إنه لسعيد لأنه مات وهو يؤدى واجبه، رحمه الله رحمة واسعة وعوضنا وعوض البلاد والعرب خيرا، إنى لجد حزين، وقد قرأت الفاتحة أنا وابنى فاروق لروح هذا الرجل الذى ضحى بصحته وأخيرا بحياته فى خدمة الوطن، رحمه الله رحمة واسعة. . . .

* عقد مجلس الوزراء ومجلس الأمة اجتماعا إثر وفاة المرحوم السيد جمال عبد الناصر إنى أشعر بحزن عميق، فجمال كنت أعتبره ابنا بارا كما كان زميلا فى السلاح وفى الثورة وغيرها. ويزداد حزنى أنه مات فى الوقت الذى تحتاج إليه البلاد أشد الحاجة، اللهم عوضنا خيراً عنه وارحمه واجعل الجنة مثواه.

إنها لكارثة مروعة، فالله يتولانا ويتولى بلادنا والأمة العربية.

نوبة قلبية حادة بدأت أعراضها ٣,١٥ مساء وقد عاد لبيته بعد آخر اجتماع للملوك والرؤساء العرب. . إن اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الوزراء، لقد فارقنا جمال فى وقت من أخطر الأوقات، إن العزاء الوحيد هو أن تقف الأمة كلها يدا واحدة حتى يدرأ عنها نتائج مؤامرات الصهيونية والاستعمار. . .

بالاتحاد والنظام والعمل:

الفاتحة مرة أخرى على روحك يا جمال. . .

الفصل الثالث

أنـا ...والبعبـــع!

الثلاثاء ٢٩ / ٩

الحداد عام بجميع أنحاء مصر ٤٠ يوما . .

أنذرت حراسة قصر المرج بالحالة جيدا، ومن يدرى فقد يتخذون معى إجراء ولكنى معتمد على الله يحمينا من كل شيء وهو المستعان . . سأتلو سورة يس فهى لما قرئت له والله ولى الصابرين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . .

إذاعة لندن . . عقدت أكاديمية الشئون الخارجية ندوة جلسة مهمة دارت فيها مناقشة ما سيحدث فى مصر بعد وفاة عبد الناصر . .

فى الصباح حوالى الساعة السابعة استمعت لتعليقات فاينانشنال تايمز والتايمز والتعليقات كلها كانت فى صالح عبد الناصر . .

أما الـ B. B. C فقالت انتقل عبد الناصر عن عمر ٥٢ سنة والأسطول السادس لعب دورا كبيرا فى حماية الأردن ورجعت للتقارير الطبية عن عبد الناصر . . وجدت أن الأعوام الأخيرة حدث له خلل فى الدورة الدموية وسيخلفه فى الدستور أنور السادات . . الجماهير بالألوف حول قصر القبة . . وروحه معنا حتى النصر . . وألغت معظم المحطات العربية برامجها أذاعت القرآن وفى بيروت أطلقت آلاف الطلقات وقال الملك حسين إنه رجل عظيم لا فى مصر فحسب وإنما فى العالم كله . . وقال القذافى . . حث الأمم العربية أن تتحد من بعد عبد الناصر . نعى الإذاعة البريطانية أن العالم العربى فقد أعظم رئيس . . .

وفى الأمم المتحدة رفعت الجلسة للتأبين والأسف العظيم لضياع الفرصة فى السلام مهمة يارنج هى التى يسعى السعى الكامل لوفاة عبد الناصر . .

ما من أحد يعرف كيف يتعرض موقف الزعامة المصرية الجديدة ما بين المستر يارنج وقد ألغيت مناورة الأسطول السادس رمزا للمشاركة . .

وهنا يلاحظ أن كلمات الرئيس الأسبق محمد نجيب مرتبكة غير منسقة غير مفهومة أو واضحة وهذا يؤكد مدى خوفه وعدم تجميعه لما يريد أن يقوله . . فهو يكتب ما يعن له مرتبكا مقدرا مما يحدث بعد وفاة عبد الناصر . . أو متحسبا للأيام القادمة . . وقد استمر كذلك عدة صفحات من المذكرات ويعود للاتزان ويكتب .

* فقد كان أقل خبرة . . .

وعلاقته بليبيا والسودان . . كان الرجل الذى أيدت روسيا مؤازرته حتى بعد عام ٦٧ ولم يتوافر من يحل محله عندما تطوع للتخلى بعد الهزيمة وكان أول زعيم مصرى يتخلى وحكم مصر مدة طويلة رغم النكسة أو النكبات التى تكفى أية واحدة منها للقضاء عليه . .

توحيد سوريا واليمن مع مصر . .

دخوله حرب اليمن . .

هزيمة حرب الأيام الستة . .

ومنذ أول أيامه أطاح بمحمد نجيب بعد أن اشتركا معه فى إزاحة الملك أثبت أنه مغامر جرىء خطر . .

تأميمه قناة السويس . . أدى إلى أزمة ٥٦ . . . . أول زعيم ثورى . . يتبنى فكرة عدم الانحياز وجعل بلاده على جانب كبير فى الاقتصاد المتين والصناعة المتقدمة ونشر التعليم . .

* ولكن من الذى يحل محله إذن؟

* يوجد كثير من المصريين يعتقدون أنه تجاوز أوج مجده وقد أثبت مؤتمر القمة قدرته على الاحتفاظ بالزعامة فى الظروف الطارئة . .

* كما كان مخلصا فى تحقيق مستوى عال لحياة المصرى والاقتصاد القومى، ولكن الأزمات الدولية حطمت قدرته على الحركة وعدم إدراك الحقائق السياسية والاقتصادية أثرت على تحقيق أهدافه وأصبحت مصر محمله بأعباء اقتصادية مرعبة . .

أمن مصر وحالة طوارئ:

الساعة ٨,٤٠ حالة الطوارئ أعلنت على طول قناة السويس لمواجهة أى طوارئ . . . وإذاعة الـ B. B. C لزمت الصمت وسارت فى برامجها العادية . .

* إذاعة القاهرة . . وصل للقاهرة رئيس الجزائر بومدين على رأس وفد، أجهش بالبكاء وانطلق فى نحيب وبكاء شديدين وكان سلم الطائرة متشحا بالسواد والرئيس يلبس ملابس الحزن، وصل بعده وفد تونس والكويت ومكاريوس رئيس قبرص وبابا روما ووزير خارجية اليونان والشيخ عيسى سلمان خليفة حاكم البحرين وسليمان ديميريل رئيس وزراء تركيا ورؤساء اليابان وفرنسا ووفود كل دول العالم حضروا لتشييع جنازة عبد الناصر . . أما أنا فقد أرسلت تعازى برقية للسادات وعلى صبرى والدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة وحسين الشافعى، لقد قلت أنا مات عبد الناصر فقد مات محمد - ﷺ - من قبل وأتم خلفاؤه الراشدون مهمة لمجد العروبة والإسلام . .

وهذه برقية لابن جمال عبدالناصر قلت فيها:

* السيد خالد جمال عبد الناصر . .

* تأثرت أشد التأثر وحزنت أعمق الحزن لوفاة صديقى والدكم العظيم ولكن عزاؤنا أنه مات ميتة الأبطال . . مات وهو يؤدى واجبه نحو وطنه نحو العروبة والإسلام، فإلى رحمة الله يا جمال وستخلد ذكراك على مدى الأجيال والجنة مثواك فقد مت شهيداً فى سبيل الوطن، وإنا لله وإنا إليه راجعون، عزائى للأسرة الكريمة.

اللواء أركان حرب محمد نجيب . .

وترسل صورة إلى كل من العناوين الآتية :

إلى السيد أنور السادات رئيس الجمهورية . .

على صبرى رئيس اللجنة التنفيذية . .

الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة . .

السيد حسين الشافعى نائب الرئيس . .

حزنى أليم لفقدى زميلا وصديقا ولفقد الأمة العربية بطلا يندر أن تجود بمثله الأيام ولئن مات جمال عبد الناصر فإن محمدا مات أتم خلفاؤه أمجاد العروبة والإسلام . ولترضى روح جمال الطاهرة بأن نسير وجميع الأمة صفا واحدًا وراء من يخلفه إيمانا برسالته وتحقيقا للنصر المبين ، وعزاؤنا أنه مات شهيدا لواجب يؤدى إلى آخر نسمة من حياته البطولية فمثواه الجنة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . .

إطلاق سراح الرهائن:

آخر ستة من الرهائن قد أطلق سراحهم وهم أمريكيون وسلموا للصليب الأحمر فى عمان ، وقالت سويسرا إنها اتفقت مع ألمانيا الغربية وبريطانيا على إطلاق الرهائن الفلسطينية السبعة بمجرد مغادرة آخر الرهائن للأردن كما أشادوا إذاعات فى معظم الإذاعات بعبد الناصر بأن آخر عمل مجيد له هو إيقاف إطلاق النار فى الأردن بين الفدائيين والملك حسين وأنه بذلك ليس له أعداء إنما أمريكا مثلا . .

هل تسمحون بالاشتراك فى جنازة عبد الناصر:

الساعة ١١ مساء ظهرت البرقية الآتية لإرسالها صباح باكر إلى السيد أنور السادات ليسمح لى بتشييع الجثمان أو على الأقل بإلقاء نظرة أخيرة عليه ولو ليلا . . هل تسمحون لى بالاشتراك فى تشييع جثمان أخى جمال عبد الناصر العظيم أو على الأقل بإلقاء نظرة أخيرة عليه ولو أثناء الليل . . وأشكركم مقدما . .

اللواء أ . ح . محمد نجيب

* أما أبا إيبان فقد صرح أن بروز صورة واضحة عن مصر بعد عبد الناصر ستستغرق وقتا طويلا لأنه كان زعيما بارزا . .

مقتطفات من أقوال الصحف الأمريكية:

توقعت الصحف الأمريكية إن نزاعا على السلطة سيبدأ . . . وليس من المعروف إن كانوا فى مصر سيهتمون بالزعامة القومية أو النظر إلى مسائل مصر الداخلية فقط . . وهل ستواصل مصر دورها كدولة رائدة وزعيمة فى الشرق الأوسط . . وربما تختار سياسات أكثر تطرفا لكى يكون لها نفوذ فى المنطقة ، وهذا لا يعنى النزاع مع إسرائيل عدم مفاوضات جديدة للسلام بعد روجرز لا يستطيع أحد أن يبدأها . . وأن وفات عبد الناصر تركت فراغا فى الشرق الأوسط يجب ملؤه قبل البحث عن السلام . .

* أذاعت القاهرة أنه سيوارى جثمان الزعيم بمسجد عبد الناصر بكوبرى القبة والجنازة ستتحرك الساعة العاشرة صباحًا من قيادة الثورة بالجزيرة إلى كوبرى قصرى النيل إلى الكورنيش شمالا حتى الاتحاد الاشتراكى ، وهنا ينصرف الرسميون وبعد ذلك ينتقل إلى العباسية فشارع الخليفة المأمون إلى المسجد بكوبرى القبة . .

* صوت أمريكا ١٥ , ١١ . . لم تنم القاهرة ليلة أمس ، وقد كانت وفاة عبد الناصر صدمة للشعب المصرى والشعوب العربية وشعوب العالم الثالث ، والآمال كلها كانت مركزة على مؤتمر الملوك والرؤساء وقد لعب دورا كبيرا فى إدارة النقاش ، وفى مساء الأحد الماضى وقع الرؤساء ومعهم الملك حسين وياسر عرفات أمرا بوقف القتال فورا . . . وفى الساعة الثالثة مساء أمس وقف عبد الناصر فى مطار القاهرة الدولى يودع أمير الكويت فشعر بألم مفاجئ وطلب العودة لمنزله ، وفى الساعة السادسة والربع فارق الحياة ، وفى الصباح كانت كل الصحف العربية مجللة بالسواد وببرقيات العزاء وتوافد الوفود للتعزية . . ونيكسون وصف وفاته بأنها خسارة مفجعة ، زعيم عربى وفى سن ٥٢ سنة . . .

وقد شكلت لجنة من حمدى عاشور وآخرين لترتيبات الجنازة إلى صباح الخميس . أعلنت إيران الحداد رسميا لوفاة جمال عبد الناصر وأرسلت وفدا رسميا وكذلك أستراليا وماليزيا والنرويج وكل دول العالم بعثت مندوبين ووفودا رسمية للمشاركة . . .

* دعا نيكسون الزعماء الجدد فى العربية المتحدة إلى المساعدة فى وقف إطلاق النار الذى بدأه عبد الناصر ، وذلك فى مؤتمر صحفى فى نابولى ، وحث الجمهور المصرى والعربى بعقد صلح مع إسرائيل ، وأشاد بعبد الناصر لسعيه المخلص إزاء العالم العربى وسيرسل وفدا برئاسة المستر . . . صديقه ومن المقربين إليه وسيجتمع نيكسون بقادة ١١ دولة متوسطية ثم يذهب إلى يوغسلافيا لمدة يومين ، وقد أشاد بعبد الناصر زعيما ومخلصا ووصفه وكيل الخارجية الأمريكى بأنه شخصية بارزة وكان الشخصية الملهمة الوحيدة التى يعتبرها كل إنسان قوة مسيطرة ، وكان بعض الناس تكرهه لكن معظم العرب يكنون له كل الاحترام ويؤمن العالم العربى بالزعامة الفردية بشخص واحد . .

أما يوغوسلافيا فقد أذاعت أنها فقدت واحدا من أعظم أصدقائها . .

حرمونى من شرف وداع جمال:

فى المذكرات برقية مهمة جداً . . يخاطب الأبناء الروحيين لجمال . . وهم : شعراوى جمعة - وزير الداخلية - الفريق أول محمد فوزى - وزير الحربية - السيد الوزير أمين هويدى بالقصر الجمهورى - السيد الوزير سامى شرف بالقصر الجمهورى - السيد سعد زايد بالقصر الجمهورى - السيد حسن التهامى - بالقصر الجمهورى - اللواء حسن طلعت بوزارة الداخلية - السيد عبد المجيد فريدأمين الاتحاد الاشتراكى - كتب يقول : فارقنا جمال وحرمت من شرف الاشتراك فى توديع جثمانه الطاهر وحتى من إلقاء النظرة الأخيرة عليه . . فحرمت بذلك من شرف أداء واجب حظى به زملائى أعضاء مجلس قيادة الثورة جميعا ممن اشتركوا فى ليلة ٢٣ يوليو بهذا الشرف إلا محمد نجيب . . . أشاطركم الحزن الأليم فى والدكم الروحى أخى الذى خدم بلاده وجمع كلمة العرب وكسب احترام العدو قبل الصديق

فضرب لنا حسن العمل آخر بسمة فى حياته، والذى أحزننى ظروف قاهرة حرمتنى من إلقاء النظرة الأخيرة على روح هذا البطل مثال التضحية والبطولة والفداء. رغم زمالتى فى فلسطين: لم تعوضه الأمة العربية بسهولة وآسف أنى حرمت من تشييع جنازته أو إلقاء النظرة الأخيرة عليه: حزنى أليم وأشاطركم والأمة العربية الحزن الأليم لفراق القائد العظيم والدكم الروحى الذى خدم بلاده وامتد إلى آخر نسمة من حياته: حزنى أليم وأعزيكم فى والدكم الروحى أخى البطل جمال العظيم.

سارت الملايين فى شوارع القاهرة وآلاف المصريين يتوافدون على العاصمة وآلاف العرب يتوافدون على مصر. هذا ويسجى جثمانه الطاهر فى مسجد كوبرى القبة وكانت الأهرام قد أشارت إلى أن الإجهاد الشديد الناتج عن الأزمة الأردنية كان من عوامل وفاة عبد الناصر وقد رفض الراحة واستمر فى العمل والمقابلات والاجتماعات، وهكذا مات عبد الناصر ونحن فى أمس الحاجة لشجاعته وبطولته: ووصفها النميرى بأنها كانت كارثة. والجزائر أعلنت الحداد أربعين يوما وقال وهو يغادر القاهرة فقدنا واحدا من أروع أبناء الأمة العربية سيخلده التاريخ أجيالا من الزمن، وتوقفت المفاوضات الفرنسية الجزائرية عن البترول لسفر بوتفليقة لحضور الجنازة، وقال الحسن ملك المغرب إنها كبيرة فى أحرج الأوقات وأعلن الحداد..

أما فى الأردن فقد وصلتها إمدادات الدواء وطائرات الإسعاف وتوقف القتال وأفرج عن الرهائن المحتجزين، وكذلك عن القادة الفلسطينيين المسجونين..

درء الشبهات:

يفسر اللواء محمد نجيب مسألة البرقيات التى أرسلها لأنور السادات ليحضر الجنازة، أو ليلقى عليه النظرة الأخيرة فيقول بالخط الأحمر فى مذكراته.. معلقًا تحت صورة برقية الاشتراك فى تشييع الجنازة:

وقد أرسلت فعلاً صباح اليوم مع عربة الطلبات بها السائق حسن عبد المعطى والجندى الهادى حمزة، وقد أبلغنى الأخير قبل الظهر بقليل أن البرقية أرسلت بالفعل وأنها تكلفت ٣٩٠ مليما، وقد أرسلت البرقية لأقوم بواجبى نحو زميل أساء

إلىَّ عن غير قصد أو عمد أيضًا لأدرأ عنى الشبهات، وتقول القوالين فقد يشيعون عنى أنى حقود فعلا ولم أشترك فى تشييع الجنازة (وهو ما يستحيل أن يسمحوا به خوفا من أن ترانى الجماهير والأجانب المشيعون للجنازة، ولاعتبارات كثيرة أخرى) كما يقال إنى لم أهتم حتى بإلقاء النظرة الأخيرة ولو أثناء الليل، وقد قلت فى رسالتى عن النظرة الأخيرة حتى لا يتذرع أحد بحجة أو سبب لمنعى وهأنا منتظر الرد بالموافقة أو عدم الموافقة. . .

لكنـــه بوليـــس

تابع ١٩٧٠/٩/٣٠

دون إخطار سابق لم يحضر المرافق الذى يرافقنى اليوم فى الخروج هو أحمد الجندى، وفى الساعة العاشرة والنصف بعد أن أوشكت عربتى الشيفرولية على التحرك عائدة بالممرضة الجديدة نوال لوح لى أحد ضباط الصف بأن الصاغ عزت توفيق من حرس الوزراء تكلموا بأنه لا يوجد عندهم العدد الكافى بمناسبة الشيفرولية بالاستعداد، ولم أرتد ملابس الخروج على وشك أنا طلبت عزت توفيق وأخبره بأنى عزمت على عدم الخروج ليلغى إرسال المندوب، وكان عليه أن يسألنى عن اسمى أو يتصل صباح اليوم قبل أن أرتبط بأى مواعيد مع أحد إذا خرجت. . لكنه البوليس!!! وأيه . . بوليس حرس الوزراء!!!!

وزير لا يعرف أصول اللغة:

ألقى وزير خارجية الهند حديثًا فى التليفزيون باللغة الإنجليزية راثيا المرحوم عبد الناصر. . . ثم تكلم صائب سلام فكان يلجلج كل كلمتين أو ثلاث مرة أو مرتين وظهر لى أنه لا يعرف أصول اللغة العربية ولا أعرف كيف يعين لبنان وزيرا ـ وا أسفاه ـ لا يجيد اللغة العربية فأين تعلم هذا؟ وأعجب لمثل هذا الوزير كيف لا يعد كلمة مكتوبة ومشكلة قبل أن يذيعها؟

* وفكرت أنه قد يظهر من يجمع كل ما قيل عن وفاة عبد الناصر فى كتاب، لكنى خطر ببالى أن ذلك كان سهلا أثناء حياته. . أما الآن. . وتذكرت

كـتـاب Egypt`s Dastintg الذى حـجـزوا على آخـر مـلازمـه أرسلتـهـا يوم ١٤/ ١١/ ١٩٥٤ يوم تنحيتى عن الحكم فلم تظهر به وكان بها رأيى أن تكون دولة إسرائيل وكيف أرى أن تكون دولة رمزية لليهود وكالفاتيكان بالنسبة للمسيحيين، الكاثوليك أى أن تكون مساحتها محدودة جدا بما يضمن عدم توسعها وإنما دولة رمزية لليهود . .

* خفت هذه الصدمة لوفاة عبد الناصر بعض الشىء؛ لأن ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾، وبدأ البعض يعددون بعض الحقائق ثم ظهر المذيع بعد انتهاء الاحتفال ورثاه بكلمة جاء فيها «ارفعوا رءوسكم فقد انقضى عهد الاستبداد» . . .

وأعجبنى فى حمدى قنديل أنه كان يلقى الرثاء بصوت حزين لكنه متماسك لنفسه فلم يذرف الدموع كما النساء . . .

مهـزلة جـديدة:

تكررت إذاعة خبر أن على جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين رافقوا جمال عبد الناصر ليلة ٢٣ يوليو ليلة الثورة التقدم للاشتراك فى الجنازة . . .

اتصلت الساعة ١١ مساء بالمخبر عبد المجيد منير جاد النوبتجى بإدارة المباحث العامة ليرسلوا ضابطا يرافقنى فى تشييع الجنازة، كما أخبرته أن يبلغهم فى المباحث إذا أرسلت برقية صباح اليوم تطلب مشاركتى فى الجنازة وأرجو السماح لى بذلك أو على الأقل إلقاء نظرة أخيرة . . .

وجاء الرد الطرق مغلقة من الساعة ٤ صباحا ولا يمكن الاتصال بسبب الزحام الشديد، هذا كان رد الرائد نبيل بدوى من المباحث العامة الساعة ١١,٥٢ مساء ويطلب الاتصال بالضابط النوبتجى المذكور الرائد نبيل بدوى فاتصل بى سيادته الساعة ١١,٥٢ مساء، وقال العبارة التى أبلغها رؤساؤه أن يبلغونى بها . . . «إن الطرق مغلقة فى جميع مداخل القاهرة» فقلت له إن عربتى يمكن استثناؤها . . قال لى إن الشـوارع مكدسة بالناس ولا يمكن أن تمر أى سيارة . . قلت إذن اتصل

برؤسائك ليتصلوا بأنور السادات فإذا كان قد صرح لى بحضور الجنازة فلن يعجز أن يرسل لى طائرة هليوكبتر تنقلنى، ثم أردفت أن كانت الطرق مغلقة من الساعة ٤ صباحا فأنا مستعد أن أتحرك الآن أو الساعة ٣ صباحًا وأمامنا خمس ساعات ورجوته أن يتصل مرة أخرى برؤسائه، ويحصل على رد قطعى هل ووفق على طلبى أو على أو لا موافقة.

* وفى الساعة ١١,٥٧ دق جرس التليفون وكلمنى المخبر عبد المجيد جاد وقال إن الرائد نبيل بدوى اتصل به وأخبره بأنه اتصل برؤسائه وأخبروه بأنه غير مصرح لى بحضور تشييع الجنازة، فطلبت من المخبر أن يوصلنى بالرائد فقال إنه انصرف.. وانتهى الموضوع...

ويعلق اللواء محمد نجيب على ذلك قائلا: يا لهم من شجعان ويا لهم من أبطال واسعى الحيلة.. يخافون من مجرد أدائى لواجب زمالة وطنى، ولكن هذه هى العدالة الاجتماعية فى مفهوم البعض، وهى أن يحرمونى من أبسط حقوق الإنسان بل من جميع الحريات وهذه فى عرفهم هى الإنسانية والعدالة الاجتماعية والحرية.. مرحى مرحى يا أبناء مصر!!! مرحى بحكامكم الأبطال الشجعان ذوى الإنسانية والتواضع ومكارم الأخلاق!!!

ملاحظة: انتهى الساعة ١١,٣٠ من ملحق يوم ٣٠ سبتمبر لأنه فى منتصف ٣٠ أخرت ساعتى ٦٠ دقيقة بمناسبة أول أكتوبر ١٩٧٠...

أنا البعبع والحدق يفهم:

الساعة ١١,٣٥ مساء بالتوقيت الجديد.. الحمد لله فإنى مازلت محتفظا بمكانتى ومنزلتى، والحدق يفهم فأنا البعبع الذى يخشاه الحكام.

* إلى الآن بعد اعتقال دام ست عشرة سنة و١٣ يوما فلم يضعف مركزى ولم ينس الشعب المصرى بعد رغم حرمانى من الغباء أن يظن أحد أنى أحب نفسى وأقدم مصلحتى عن مصالح الوطن خصوصا فى هذا الوقت العصيب ونحن فى حرب مع إسرائيل والصهيونية وأمريكا وبقية دول الاستعمار... من الغباء

وضعف الإيمان أن يظن أحد أنى لا أقدر خطورة ظهورى أمام الشعب ولا أتخذ العدة لمنع قيام أى شغب فأنا طلبت إلقاء نظرة على الجثمان أثناء الليل، وذلك لأنى واثق أنهم لن يصرحوا باشتراكى فى تشييع الجنازة خشية الجمهور وإبداء شعوره نحوى مثلا، لكن حتى هذا فإنى محتاط له مستعد حتى إلى أن أذهب متنكرا أو أحرص على أن لا أتعرض للجمهور من هنا إلى موضع تشييع الجنازة، وقد طلبت إلقاء النظرة على الجثمان أثناء الليل احتياطا لذلك حتى لا يرانى أحد إن تحركت بالنهار، أما السير فى الجنازة فقد يلحظ الجمهور وجودى بين آلاف المشيعين.. ومع كل فأنا أعطيهم الحق فى المنع من تشييع الجنازة وإن كان الشعب لم ينس بعد وكنت أعتقد أنه قد نسينى بعض الشىء على الأقل...

حتى من أبسط الحريات فالحمد لله وهو المستعان وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.. والله المستعان وحسبى الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله..

لكن لماذا لم يصرحوا بإلقاء النظرة الأخيرة ليلا ومتنكرا؟

ربما يخشون أن يسمع أحد بذلك؟

لكن ماذا فى هذا؟

على العموم الأمر لله والحمد لله على كل حال فعلى الأقل أنا مطمئن الآن على أنهم لن يستغلوا ما جنت أيديهم ليلصقوا بى تهمة جديدة من تهم المخابرات المعتادة فلن يستطيعوا الآن أن يقولوا مثلاً.. إن محمد نجيب حاقد ولم يحضر الجنازة مثل باقى رجال الثورة، وهو حتى لم يعن بإلقاء نظرة عليه، وربما قالوا إنه لم يرسل برقية عزاء كما حدث فى وفاة ابنى على، رحمة الله عليه، فلم تصلنى برقية عزاء من عبد الناصر ولم يرسل مندوبا للعزاء فى ابن رئيس الجمهورية السابق وقائد ثورتها!! ولله فى خلقه شئون، ولقد أرسلت أربع برقيات إلى كل من أنور السادات وشقير وعلى صبرى وحسين الشافعى وبذلك لا يستطيع أحد أن يدعى أنى قصرت فى واجب..

والله إنى لمخلص فى كل تصرفاتى لأنى أعمل بوحى من ضميرى وحبى لوطنى

وصالحه الذى أقدمه على كل اعتبار ـ والله إنى لمغرم بإنكار الذات فى سبيل الوطن وما يتطلبه صالح حق الوطن. . فنحن فى حرب مع أعداء أقوياء وإن من يعمل لنفسه الآن أعتبره مجرمًا فى حق وطنه. .

والله لو ولى رئاسة الجمهورية فلاح أو عامل أو جندى بوليس الآن لسرت خلفه مخلصا متعاونا إلى أن تنتهى الحرب بالنصر المبين. .

ومن جهة أخرى أنا لا أطمع فى المناصب أو الجاه والمال بل أطمع أن أؤدى واجبى لصالح بلادى وعروبتى وإسلامى، ولقد عرضت رسميا على عبد الناصر أن أخدم جنديا فى الصف ولو برتبة وكيل أمباشى ليطمئن أنى لم أتخلف عن القتال لكنه ـ رحمه الله ـ لم يستجب لطلبى. . .

وفى هذا الوقت العصيب إن من يتولى منصب رياسة الجمهورية أو غيرها من المناصب الكبيرة سينصب على رأسه جميع نتائج الحرب من أخطاء، ويعتبر مسئولا عن نتائج أعمال غيره. . إلا أن مصلحة الوطن إذا كانت تقتضى ذلك فالتضحية بنفسى وبمركزى وبكل شىء فى سبيل وطنى هى أعز أمنيتى ولكن لن أرحم أحدا ولا أفكر فى هذه المناصب إذا قيض لها الرجل المناسب وأنا خارج الحكم ومستعد لتأييد كل من يخلص فى عمله. .

ومازلت متمسكا بمبادئ الاتحاد والنظام والعمل. . . فالاتحاد أعظم قوة والنظام رجلاه اللتان تحملانه وهى القوة، والعمل يداه القويتان، فإذا وضعت هذه المبادئ فى إطار من الصبر وإنكار الذات تحققت الآمال للبلاد ثم النصر للعرب والإسلام. .

حلم ليلة الخميس ٢٠ /٩:

رأيت فى المنام أن جمال كان واقفا وأمامه على الشمال أنور السادات ثم المرحوم سليمان حافظ فى الوسط وعلى يسارهما أمير الكويت كأنه مسافر وأودعه وكنت أتكلم مع السادات أو أعطيه شيئًا أو يعطينى شيئًا، وأذكر أنى سألت سليمان بك حافظ قائلا إنى أعالج عينى من مدة ثلاثة أشهر والعلاج لم يصلنى. . ولا أعرف لماذا غاب العلاج ٣ شهور، فقال لى انظر بزاوية عينك بمعنى أن أحول إنسان العين

إلى أقصى طرف العين وعلى ناحية اليمين فقال إلى عينيك سليمة ثم استيقظت. . . وتفسيرى للحلم رأيته بعد أيام فى جريدة الأهرام أن أنور السادات كاد يغمى عليه وأصيب بأزمة قلبية أثناء وجوده بمبنى قيادة الثورة أثناء تجهيز تشييع الجنازة وعرض على مجموعة من أطباء مستشفى المعادى منهم الفريق أول رفاعى كامل ومصطفى صادق ونقله للإسعاف عدد من الأطباء ونقل جالسا على كرسى يتصبب من جبينه العرق، وحدث له هبوط وكذلك حدث لعلى صبرى. . .

من كان يعبد محمدا:

من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت (كلمة أبى بكر). . . بدأت الجنازة ٩ صباحًا من سراى القبة بالهليوكوبتر ووصلت ٩,٤٥ إلى أرض مجلس الثورة ثم شيعت من ١٠ إلى أن صلى عليه حوالى الحادية عشرة والنصف ووري التراب وأطلقت المدفعية التحية العسكرية، وعندما أمرت الموجودين عندى بالوقوف انتباه وهم ابنى يوسف والجندى حسن عبد العاطى سائق عربة الطلبات والجندى السيد معوض المخصص لشراء الطلبات والأوسطى عم سعيد ميكانيكى المياه والنور، وكانت الساعة ١,٥٥ مساء ثم أطلقت المدفعية ٢١ طلقة انتهت الساعة ٢,١٠ مساء وكان قد سبقها التغيير بنوبة رجوع ونوبة فجر رمزا للرجوع إلى الله وإلى البعث.

ثم رثاه حمدى قنديل بكلمة وأعجبنى ثباته وقوة إيمانه. . . .

كيف؟

إن جمال عبد الناصر سعيد الحظ فقد وافته منيته وهو يقوم بواجبه بعد جهد مضن استمر بضعة أيام، وقد كلل الله سعيه بالنجاح فى إيقاف إطلاق النيران بين الإخوة فى الأردن لكنه ترك لنا عبئا تنوء بحمله الظهور، فالله نسأل أن يوفق المصريين والعرب والمسلمين فهذا هو السلاح بل أقوى الأسلحة التى نحارب بها عدونا وعدو الله - والله المستعان - ونسألك رحمة لجمال ولنا ولجميع المسلمين. . .

الفصل الرابع

أصابنى الإمساك بسبب اللحم العجوز الذى يشتريه حراسى!

كتب محمد نجيب فى هذا الجزء يقول:

إنها المأساة ولكنها النتيجة الحتمية لقوم طرحوا تعاليم دينهم وراء ظهورهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ وقد غفل المسئولون عن أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وتخلوا عن أقوى سلاح فى أيديهم وهو الاتحاد والنظام والعمل، أضاعوا الوقت انسياقا وراء حب أبسط المبادئ التى يقول عنها العامة «أنا وأخى على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب». .

* والله عندى الكلاب والقطط تعيش فى وئام متحابة، ولكن إذا رأوا كلبا أو قطا غريبا اندفعوا وراءه كتفا بكتف متضامنين متكاتفين، ويكفى أن عندى القط مفتاح الصغير ربته وأرضعته الكلبة Beuty حيث كانت ترضعه إلى أن كبر، ومازالت علاقتهما ببعض علاقة الأم بولدها والولد بأمه إلى الآن، وعندى ٣ صور فوتوغرافية للقط وهو يرضع ثدى هذه الكلبة لم أنشرها حتى لا يقال إنها دعاية، وقد يقولون إنها حيلة فوتوغرافية ولكن رأيت فى الأهرام كلب بوكسر يحتضن وزة ويحنو عليها، أما نحن العرب الكرام وخير أمة أخرجت للناس فقد أصبحنا كالأسماك تأكل بعضها بعضا وتتقاتل بلا شفقة ولا رحمة فى سبيل الشيطان، كل يحاول أن يصبح زعيما، بينما الكل قد فرضت عليه وصاية فريق من الدول كأمريكا والسوفييت وغيرها فيا أسفاه. .

لقد تنبأت بمعظم ما يجرى الآن منذ البداية فنحن نقوم بدور مخالب القط

والمستفيد هو الأجنبى دائما، وقد قلت إن إجراء وقف القتال كان يجب ألا يصدر إلا بعد تشاور الدول العربية وإصدار قرار بأغلبية الآراء ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ومازال شبح الهدنة الفلسطينية ماثلا أمامنا وهو الذى أضاع علينا أحسن الفرص فى حرب ٤٨ مع إسرائيل.

لو كان العرب رجالا:

هل يتصور عاقل أن الكتلة الشرقية أو الغربية تجند قيام كتلة ثالثة «عربية» فى الشرق الأوسط قلب العالم وأحسن مركز استراتيجى فيه ـ هذه الكتلة العربية إن قامت قد تصبح أغنى وأقوى من أمريكا أو السوفييت لتوفر مواردها الغنية بالثروات المعدنية والبترولية والزراعية وغيرها..

ولو كان العرب رجالا يقدرون الصالح العام لأوطانهم، ولو كان الأجانب يعتقدون بقوة تضامن العرب.. لكن الكل يخطب ودهم ولا يستهين بهم لكنهم عجنونا وخبزونا وعرفوا أن المثل صحيح الذى قال به أحد كتابنا «اتفق العرب على ألا يتفقوا»، وعرفوا أمتنا بالشتم والصياح والتهويل دون العمل فاستهانوا بنا وتألبوا علينا طامعين فى استعمار بلادنا، وإن مد أحد منهم يد المساعدة فبقدر معلوم بحيث يبقينا مثل لعبة «اليويو» معلقين بين يديه حسب الظروف، إلى أن يتمكن ويوطد قوامه ويرسخ نفوذه حتى لا نستطيع الإفلات من قبضة يده وإلى أن تسنح له الفرصة لينشب أظافره..

وهم يريدون إشغالنا بالحرب حتى يوقفوا نمو بلادنا وتطورها صناعيا أو زراعيا، وهذه هى سياسة أمريكا فى أمريكا الجنوبية من حيث إشعال الثورات والعناد وخلق الطرق والسبل لحكم الدكتاتورية البغيض فيها؛ حتى لا تستطيع هذه الدول استغلال مواردها ومواصلة تقدمها فى سبيل الرقى والفلاح.

مهــــازل:

قال الدكتور الزيات مندوب مصر فى جامعة الأمم المتحدة بنيويورك فى إذاعة

تليفزيون متسائلا، هل تضمن أمريكا عدم قيام إسرائيل بهجوم مفاجيء إذا ما حاول المصريون تصحيح الوضع على خط القتال «يعنى اعتراف!» فإذا كان لا يضمن فماذا يكون موقفها عند وقوع الهجوم المفاجيء على مصر؟ إنها مهازل!

ولقد كرر محمد نجيب هذا الاحتمال لأكثر من مرة فى أسبوع واحد بما يعنى أنه كان يعيش المسئولية ويقدر الموقف، بحكم كونه عين المسئولية وتوقع الخطر مازال يمثل أمامه ويعيش معه هاجس الخوف على مصر، خاصة بعد أن نقلت بعض الصواريخ لجبهة القناة..

وينتقل محمد نجيب فى مذكراته يوم ٢٠/ ٩/ ١٩٧٠ إلى جولدا مائير فيقول.. جولد مائير حصلت أثناء زيارتها غير الرسمية لأمريكا على أكثر مما كانت تؤمل من أمريكا، فقد حصلت على مساعدات مالية نحو ٥٠٠ مليون دولار و٣٢ طائرة فانتوم ومدافع ورادارات وكثير من الصواريخ وطائرات سكاى هوك وغير ذلك، وبالجملة لقد صرحت أمريكا أنها ستساعدها بكل جهد ممكن كما قالت جولدمائير إنه لا يمكن بحال ما إرسال مندوب لمحادثات يارنج مادامت الصواريخ المصرية فى أماكنها الحالية على الجبهة فى القنال..

إن جولدمائير تحرض أمريكا للتدخل، ويقول السوفييت إنها لن تسمح بحال من الأحوال بتدخل من أحد فى الأردن، وتقول برافدا إن الأسطول السادس وتحركاته المزعجة قد استعمل أكثر من مرة ضد حريات الدول ومحاولة إخضاعها للاستعمار وأن تحركاته الحالية مثيرة ومزعجة.

* طالبت بعض الدول الإسلامية كباكستان، طالبت جامعة الأمم للتدخل فى النزاع الداخلى فى الأردن وتأمر بإيقاف القتال فيها..

* الجزائر لم تتخذ أى قرار بشأن اقتراح بورقيبة بعقد مؤتمر قمة فى مصر ووافقت مصر والسودان وليبيا والمغرب واليمن الجنوبية وغيرها.

* أعلنت ليبيا أنها لن تقف مكتوفة الأيدى فى قتال الأردن وأنها مستعدة للاشتراك مع الفدائيين وترحب بتشكيل قوة عربية مشتركة ترسل على الفور لوقف القتال فى الأردن.

السبت ١٧/ ١٠

بدءوا يهاجمونني ولكنى كالطود تنكسر عليه قرون الناطحين . . اليوم ظهر فى الصفحة الخامسة من أخبار اليوم مقال صفحة كاملة عنوانه أنور السادات فى ٥١ سنة . جاء فيه أن السادات كان الأقرب إلى فكر وقلب عبدالناصر وهو الذى أصر على رئاسة الهيئة التأسيسية لجمال عبدالناصر وعارض تعيينى قائدا للثورة . وعندما قامت الثورة تم ترشيح ثلاثة ضباط كبار لرئاسة الثورة وصدر قرار باختيار أحدهم وهو اللواء نجيب ، وفى هذه الأثناء ذهب أنور السادات إلى قائد الثورة الحقيقى جمال عبدالناصر وناقشه فى القرار وأبدى تخوفه الشديد من تسلم رجل غريب لقيادة الثورة ، وكان محور خوفه أن الرجل بحكم سنه وجيله ونشأته أن يفهم الروح الثورية ولا يرجى منه بعد هذه السن أن يفكر بعقلية غير عقلية جيله مما يشكل خطرا جسيما على الثورة خصوصا فى بدايتها .

نحن بشر . . واقتنع عبدالناصر إلا أنه رد على السادات قائلا نحن جميعا فى الهيئة التأسيسية زملاء فى سن واحدة والذى جمعنا للعمل هو صداقتنا والأخوة والمجد اللذان ولدا ، وأخشى ما أخشاه أننا لو جعلنا القيادة لواحد منا أن يسبب ذلك حرجا فى النفوس ونحن بشر والنفس البشرية مليئة بالانفعالات ، وأنا لا أريد مستقبل الوطن معلقا على الانفعالات لأن المسئولية مسئولية مستقبل شعب بالثقة والمحبة نستطيع أن نحقق المستحيل ، وسرعان ما تحققت مخاوف أنور السادات بمحاولات محمد نجيب بعد الثورة أن يتعاون مع الرجعيين «هذا جزء من حديث السادات» للقضاء على الشعب ولكن عناية الله ومدارك زعيم الأمة العربية عبدالناصر هى التى قضت على هذه المحاولات وجنبت الثورة كل أنواع المؤامرات .

• تعليق محمد نجيب:

* لا أعتقد أن السادات يجرؤ على الإدلاء بما ورد فى هذا المقال الآن لأنه أولا يذكر الناس بمحمد نجيب . . ثانيا : إن كل من يقرأ هذا الكلام سوف يقارن على الفور بين محمد نجيب والسادات وليس هذا فى مصلحته إن كان رجلا رشيدا إنما أتظن أن هذا المقال موعز به . . لماذا؟

ـ لأن كل الناس تعرف أنى أعمل سافرا بينما كان غيرى يفاخر بالعمل السرى وفى سنة ١٩٤٩ وأنا فى صدام مستمر مع الملك وأعوانه، وبدأت بإرسال تقرير من ٩ ورقات إلى الملك والنحاس باشا وإلى فؤاد سراج الدين «الذى تولى التوزيع» ونصحنى بأن أشطب إمضائى فى ذيل التقرير؛ فكان ردى عليه أن من يزمر لا يغطى ذقنه، وقد كتبت هذا التقرير حتى لا يقال إنه لم يتقدم إلىّ ضابط كبير كان أم صغيرا يمثل هذاالتقرير الذى اعتبرته رسالة موجهة منى عن أسباب الهزيمة فى حرب عام ١٩٤٨، وقلت فى تقريرى للملك إنى مستعد للسجن أو الطرد من الخدمة وأرضى ضميرى؛ لأنى أكون قد ذهبت ضحية تأدية الواجب وسيخلد اسمى فى سجل الأبطال، ويمكن الرجوع للسيد سراج الدين فهو مازال حى يرزق.

* سمعتى فى حرب عام ١٩٤٨ فيها الكفاية. فقد عرفنى وأحبنى كل الضباط والجنود بشجاعتى فى تأدية واجباتى نحو الوطن وجنوده بأمانه وإخلاص حتى جرحت ٣ مرات والحقيقة ٥ مرات، ولم أشأ ذكر الخمس لأن إصابتى كانت فى الاثنين الأخيرتين بسيطة.

* لهذا كان الجميع يقدروننى ويحترموننى ولولا هذا لما طلب لى الترقية الاستثنائية مرتين، مرة من اللواء المواوى ومرة من اللواء أحمد فؤاد صادق القائدين العامين لهيئة الحرب، ولما كوفئت بنجمة فؤاد العسكرية مرتين.

* مواقفى مع الملك وأنا مدير سلاح حدود.. سحبت أربعين عسكريا من المعمورة وأربعين آخرين من رأس الحكمة، وسحبت العربات المستعارة من الحدود لحاجة الملك كذلك، ما كان بينى وبين رجال الملك كالأميرة لأى محمد حلمى وغيره ممن وضعوا أيديهم على أراضى مرسى مطروح ومع سمير ذو الفقار باشا ورفض توصية على أعرابى مهرب كبير فى السويس، ومثل ما حدث بينى وبين محمد حسن السليمانى شماشرجى الملك والناطق بلسانه لما طلبنى مرتين أو ثلاثة يدبر محادثة حسين سرى عامر، فقلت له إن هذه المناورة المكشوفة لا تنطلى على أنك تهددنى بحسين سرى عاد بفضل صداقتك له ولا يهمنى أمرك أنك خادم الملك وإن لم تكتف عن هذه المناورة سأبلغ الملك.

* ومنها الست بغال التى تعيش على حساب سلاح الحدود التى يركبها الألبانيون فى حلوان.

* ومنها إيقاف الصرف على الاستراحات الملكية فى مناطق الحدود التى كانت تستنزف كل المصروفات المخصصة لجميع الاستراحات وإصلاحات الطرق.

* ومنها حكاية طلب مدير الحدود إستاكوزا للملك ورفضت ذلك بحجة أنه ليس عندى صيادين ولا عربات، وأخيرا قلت لهم إن البحر هائج.

والمدير كان أحمد سالم وقد أرفق إشارتى التلغرافية مع خصوصى، وكلمنى بعد ذلك فقلت له إن عربات السلاح هى للدوريات وليست لصيد الإستاكوزا من الغردقة.

* ومن ذلك الخلاف بينى وبين إسماعيل شيرين زوج أخت الملك وشكواه منى لوزير الحربية مصطفى نصرت الذى اقتنع بموقفى بعد أن طلبت عرض مذكرتى لمستشار قضائى هو بطرس رزق الذى أقرها ورفض مذكرة إسماعيل شيرين، وكان ذلك خاصا بالانتخابات وكان شيرين والملك يريدان أن ينجح أعوانهم أعوان الإنجليز ولا داعى لذكر أسمائهم وأنا كنت مصرا على اتباع القانون.

* ومنها أنى قلت لشيرين إن كلامك غير صحيح أمام لجنة من اللواءات وكبار الضباط وقال لى أنا صادق فيما أقول، قلت أنت كاذب فغضب وانسحب من اللجنة وهاج رئيس الأركان عثمان المهدى على قائلا ودتنا فى داهية ووديت نفسك فى داهية، فقلت له مرة ثانية إنه كاذب وأنا صادق ولن أتراجع.

* ومنها حكاية يوسف رشاد لما أخبر أحمد فؤاد صادق باشا بأننى سأقوم بانقلاب أنا والسيد طه.

* ومنها مصادماتى مع المرحوم حسين سرى عامر وهى سلسلة طويلة ومصادماتى مع حيدر باشا وعدم تهنئتى له بعد عودته وقال لى عارف إنك مش معترف بى كقائد عام.

* ومنها استدعاء محمد باشا هاشم لى بمنزله ليسألنى عن حركة الجيش وقد عرضت نفسى ليلتها للخطر الشديد، وقد رفضت الترشيح أيضا وكيلا للوزارة

الحربية خلفا للمرحوم عبدالحميد حافظ وعارضت أمر حيدر باشا ونحن فى القصر الملكى فى حفل غداء الضباط بعد حوادث ٢٦ يناير، وقلت له إنى أخالف الأوامر الملكية كل هذا كيف أعمله سافرا وعاما وعلى رءوس الأشهاد بينما غيرى كان يفضل العمل السرى under ground كما يقولون. .

عيبى أنى مثالى مثل غاندى:

* أخيرا إذ كانوا قد اختارونى فلماذا قبلت العمل مع أناس أنا غريب عنهم لرئاستهم وقيادة ثورتهم إذ كانوا لا يعلمون بكل أعمالى وتاريخى وشجاعتى وبطولتى ونزاهتى والتى ترجمها المرحوم عبدالناصر لمراسل مجلة «out look» حيث قال له عنى إنى بطل حرب فلسطين وأنزه ضابط مصرى كبير، وعاب علي فقط أنى مثالى أقلد غاندى ومبادئ غاندى التى لا تتفق مع السياسة الآن.

لست رجعيا ولن أكون:

أما عن مسألة اتهامى بالرجعية فالسادات وغيره يعرف فى قرارة نفسه أنى لست كذلك ولكنى رجل شريف أحافظ على كلمتى، وكنا قد وعدنا الأمة بعودة النيابيةوعودة الدستور وعودة الضباط للثكنات وشكلت لجنة من سليمان حافظ والعمرى ودرست نواحى عودة الحياة النيابية لمصر. . والتمثيل النيابي وتقدمت باقتراحات وافق عليها ٧ من ١٢ عضوا فى مجلس الثورة لأن بها تحفظات تمنع أى عودة إلى الماضى، مثل أن لا يعمل في البرلمان أى شخص يثبت تلوثه بالرشوة والمحسوبية والفساد أو حتى يشتم من سلوكه شيء من ذلك وحددنا ٨٢ شخصا تنطبق عليهم هذه الأوصاف.

كما وضعت شروطا أخرى تمنع تكتلهم داخل البرلمان كمجلس رئاسة الجمهورية المكون من أعضاء مجلس الثورة + المحكمة الدستورية التنفيذية والسلطة التشريعية واستقلال القضاء وغير ذلك.

لكنها الأهواء وحب الرياسة وتحريض الأمريكان ودعايتهم عندما لاحظوا أن وحدة وادى النيل أصبحت قاب قوسين أو أدنى، وحدت ٩ أحزاب بالسودان فى ليلة واحدة قوتى وسلطانى وسمعتى فى السودان عندما هتفوا بأن لا وحدة مع مصر بلا نجيب.

لماذا اختارونى إذن؟

على أى شىء يدل اختيار الضباط لى رئيسا وقائدا للثورة؟ هل كان هناك فى الجيش من ينقاد ويتبع هؤلاء الشبان لولا أنى على رأسهم؟ وهل كنت أطمئن إلى القيام بانقلاب مع طغمة من الشبان لا أعرف عنهم شيئا؟ وهل كانوا هم من البلاهة بحيث يأتمنون شخصا لا يعرفونه؟

يا ناس عيب وعيب كبير هذه الترهات، سامحكم الله. . من الذى كان على رأس القوات فى الإسكندرية يوم طرد الملك. . نجيب أو جمال. . من الذين وضع خطة التقدم للإسكندرية بقولين أحدهما بالسكة الحديد والآخر بالطريق الصحراوى. . هل هو محمد نجيب أم . . . . سلام عليكم سامحكم الله.

أتذكرون يوم ١٩ يوليو:

يوم حضر جمال عبدالناصر وعبدالحكيم وغيرهم إلى منزلى طالبين أن تقوم الثورة ٤ أغسطس. . ولماذا؟ حتى يكون الضباط مطمئنون على معاش عائلاتهم فماذا كان ردى عليكم «إن من يتصدى لعمل ثورى لا يهتم بمرتب الشهر»!!!

أخبرتهم أن ١٣ فى زنزانة الموت فى السجن الحربى لاستقبالنا هذا الأسبوع، فإن لم نقم بالثورة فى بحر ٣ أيام قضى على الثورة والعوض على الله.

يشهد بذلك اليوزباشى ندا الذى كان مصابا إصابة خطيرة ومازال يعانى منها حتى اليوم، وهو الذى اكثرت أخبار اليوم وبعض الجرائد بذكر اسمه مقرونا ببطولة ولقبه ببطل فلسطين وقد كان تحت قيادة السيد طه فى الكتيبة الأولى مشاه.

* هل نسيتم ما ذكرتموه بأنفسكم من أن عبدالحكيم عامر وقد كان أركان حرب

فى اللواء الرابع قال لجمال عبدالناصر إنى عثرت لك على كنز ، وهو اللواء محمد نجيب ، وذلك فى معرض تدليلهم على أنهم هم الذين دبروا الثورة لا أنا . .

يا ناس عيب ألف عيب هذه الصغائر إنها تضركم ولا تنفعكم ، فانسوا أنفسكم وكرسوا كل شىء لصالح الوطن .

أكبر غلطة اختيارى لعبدالحكيم عامر قائدا عاما :

أما كان بدل هذا القدح فى وأنا معتقل لا أستطيع الدفاع عن نفسى ، ورغم موقفى فقد وجدت أن من واجبى أن أنبه إلى ضرورة الأخذ بمبادئ الاتحاد والنظام والعمل ، فأرسلت إليهم البرقيات أعزيهم وأذكرهم أن روح عبدالناصر لا يريحها سوى اتحاد الأمة حتى تقهر العدو ، إننى لا أبغى لنفسى منفعة أو مركزا أو خلافه لأنى قانع بما أنا فيه وسعيد أنه لن يذكرنى أحد بسوء بعد وفاتى اللهم إلا . . . .

لكن يهمنى النصر للوطن على الأعداء ولن يكون ذلك إلا بالاتحاد والسير صفا واحدا ، فيد الله مع الجماعة . .

* ينتقدنى البعض أنى فى مارس عام١٩٥٤ لم أتخلص ممن كادوا حريصين على ألا ينتهر جيش الاحتلال وقوامه ٨٠ ألفا فى القتال على مسيرة ١٢٤ كيلومترا من القاهرة ، كان متربصا لحدوث أى اضطراب فى الجيش لينقض على القاهرة والإسكندرية ويحتلها ثم يتركها وخصوصا أنى رفضت شرط العودة إلى القتال فى حالة حدوث اضطرابات .

* إن أكبر غلطة ارتكبتها هى قبولى بعد معارضتى الشديدة لترقية عبدالحكيم عامر من صاغ إلى لواء لقائد قوات ، لقد كانت مؤامرة منهم مقصودا بها إثارة الجيش ضدى ، أقنعونى بعد أن عزمت على الاستقالة بأن لا يجوز أن يعين قائد عام من خارج مجلس الثورة وإلا نقلب الجيش علينا لكننى أعترف أنى قد أخطأت . .

الرجل الصامت.. يتكلم!

تمهيـــد

كنت حينما أدخل مكتبى كل صباح أتلقى ثلاث مكالمات تليفونية تتكرر كل يوم قبل أن أبدأ يومى. وإحدى هذه المكالمات - وأكثرها قربا إلى نفسى - تكون دائما مع السيد جلال ندا.

وجلال بطل مصرى شهير. كان أحد أبطال حرب فلسطين. وشهد معركة وحصار الفالوجا «الشهير» وكان صديقا لمعظم الضباط الأحرار.

وكانت لجلال ندا اهتمامات صحفية فى حياته المدنية بعد أن خرج من الجيش. بل إنه عمل فى الصحافة فترة. وقد فاجأنى ذات يوم بأنه بعد ٢٥ سنة من قيام ثورة ٢٣ يوليو فكر فى تسجيل شهادات رجال الثورة. والتقى بالفعل بثمانية منهم. وحاورهم - عبر جهاز تسجيل - عن تاريخ الثورة وعن الأخطاء التى وقعت فيها الثورة فى بدايتها.

وكان من بين الذين حاورهم جلال ندا الرئيس الأسبق محمد نجيب والسيد حسين الشافعى وحسن إبراهيم وغيرهم. ولأن جلال ندا كان بعد خروجه من الجيش وفى فترة من الفترات قد عمل صحفيا فى دار «أخبار اليوم» فقد اختص «آخر ساعة» بشريط التسجيل الذى سجل عليه حواره مع السيد زكريا محيى الدين.

واستمعنا إلى شريط تسجيل زكريا محيى الدين أكثر من مرة.. ووجدنا أن نشر هذا الحديث سيكون مفيدا لأسباب كثيرة أولها - كما ذكرنا أن كل رجال الثورة تكلموا.. إلا هو! وأن بعضهم تاجر بما قال وما كتب، أو أعطى لنفسه دوراً أكبر مما كان، أو اختلف وتهكم على زملاء له.. إلا هو! وأن بعضهم لم يتقبل فكرة خروجه من السلطة بسهولة.. إلا هو!

وأن السيد زكريا محيى الدين، منذ خروجه من السلطة وطوال ٣٤ سنة . . لزم الصمت! حتى أطلق البعض عليه لقب: «الرجل الصامت»!

وبرغم أن بعض الصحفيين والكتاب فى فترة سابقة تعرضوا له بقسوة لا مبرر لها، واستفزاز لا يستحقه. وبالرغم من أن الكثير من وسائل الإعلام والمحطات الفضائية حاولت إقناعه، أو إغراءه بالمال لكى يتكلم . . إلا أن زكريا محيى الدين لم يتكلم!

وعندما استمعنا إلى شريط التسجيل الذى قدمه لنا جلال ندا . . اعتقدنا أننا وقعنا على «كنز صحفى»! لأن زكريا محيى الدين الذى كان ذات يوم - وعلى حد قوله - الرجل رقم (٢) فى البلاد . . والذى عرف منذ توليه مسئولية إدارة المخابرات المصرية بعد قيام الثورة بسنة واحدة . . عرف عنه إنه لا يتكلم إلا نادرا . . وإن الصمت وإخفاء المشاعر هى إحدى صفاته الشخصية اللصيقة . . هذا «الرجل الصامت» كان يتحدث على شريط التسجيل مع رفيق السلاح جلال ندا بمنتهى الحرية وبكل الصراحة .

تحدث زكريا محيى الدين فى أشياء كثيرة وخطيرة: تحدث عن الرسالة السرية التى طلب منه جمال عبد الناصر أن يحملها إلى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون يوم ٧ يونية عام ١٩٦٧، لكن هذه الرسالة لم تصل . . لسبب بسيط وهو أن الحرب وقعت يوم ٥ يونية! وتحدث عن «القوائم السوداء» ومراقبة التليفونات . . وقال إنها كانت موجودة قبل الثورة . . وبعدها! وتحدث عن فكر الضباط الأحرار فى بداية الثورة . . وقال إنهم كانوا جميعا «صغار السن» . . لا يزيد عمر أكبرهم على ٣٤ سنة .

وتحدث عن حرب ١٩٥٦ . . وعن حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . وعن الانسحاب الذى حدث في حرب يونية ١٩٦٧ .

وكان رأينا أن حديث السيد زكريا محيى الدين . يخرج عن كونه «سبقا صحفيا» . إلى أنه شهادة خطيرة لواحد من أهم رجال الثورة . وأن التاريخ ليس حقا لفرد بعينه . وإنما هو حق للشعب المصرى كله .

وكان من المفروض أن نستأذن السيد زكريا محيي الدين قبل نشر الحديث. وهذا هو أسلوب العمل فى دار «أخبار اليوم» وكل إصداراتها المختلفة. لكن ذلك لم يكن ممكنا؛ لأن زكريا محيي الدين أحاط نفسه منذ سنوات طويلة بسياج قوى، يحول بين رجال الصحافة والإعلام وبينه. وأيضًا لأننا لم نجد فى نشر هذا الحديث شيئًا يضير زكريا محيي الدين، أو يسيء إليه بأية صورة من الصور.

وهكذا نشرنا الحديث تحت عنوان «الرجل الصامت.. يتكلم»!.

وأحدث الحديث المنشور ضجة بين القراء. واتصل كثيرون ليقولوا إنهم ينتظرون بكل شغف بقية حلقات الحديث. ولكن فى اليوم التالى لصدور «آخر ساعة» حدثت مفاجأة. فقد فوجئت فى الصباح برسالة - عبر الفاكس - من السيد زكريا محيي الدين يقول لى فيها: «فوجئت بالمنشور على لسانى بمجلة (آخر ساعة) وأفيدكم بأن هذا الحديث لم يحدث جملة وتفصيلا. ولذلك أرجو إيقاف النشر»!

وفى نفس الرسالة قال زكريا محيي الدين إنه أرسل فى نفس الوقت نسخة أخرى من هذه الرسالة إلى الكاتب الصحفى الكبير إبراهيم سعدة رئيس مجلس إدارة مؤسسة «أخبار اليوم»! وكانت الرسالة بخط زكريا محيي الدين.. وتحمل توقيعه!

وبقدر انزعاجى من رسالة زكريا محيي الدين.. كانت حيرتى أكبر! إننى احتفظ بشريط التسجيل الذى يحمل صوته.. كما أننى - قبل نشر الحديث - كنت قد عرضت شريط التسجيل على اللواء جمال حماد المؤرخ العسكرى. وأحد الضباط الأحرار والذى كان مع زكريا محيي الدين يوم الثورة. وقد أكد لى أن الصوت.. هو صوت السيد زكريا محيي الدين!

وبنفس القدر انزعج جلال ندا - صاحب الحوار وشريط التسجيل - من رسالة زكريا محيي الدين!

وجلس جلال ندا ليكتب رسالة إلى زكريا محيي الدين يذكره فيها بظروف هذا الحديث. والذى تم على جلستين فى بيت زكريا محيي الدين نفسه! وكتب جلال ندا إلى زكريا محيي الدين يذكره ببداية معرفتهما، وكيف عرض زكريا محيي الدين حياته للموت، عندما تطوع - مع صلاح سالم - فى مهمة انتحارية لحمل الأدوية

والآلات الجراحية من أجل إنقاذ جلال ندا - وبقية الضباط - الذين كانوا محاصرين في «الفالوجا» في حرب فلسطين!

وطلب منى الكاتب الكبير إبراهيم سعده محاولة الاتصال بزكريا محيى الدين بأية وسيلة، وعرض شريط التسجيل عليه للتأكد من صحته.

وكان هذا ما حدث فعلا. فقد أرسلت للسيد زكريا محيى الدين من خلال رقم الفاكس الذى جاء فى رسالته لى - رسالة موجزة - قلت له فيها: سنوقف نشر بقية حلقات الحديث، لأن هذا هو حقك. أما مسألة أن الحديث لم يحدث جملة وتفصيلا كما ذكرت، فإننى احتفظ بشريط التسجيل المسجل عليه صوتك. وإننى على أتم الاستعداد لمقابلتك وعرض الشريط عليك.

ولم تمض سوى ساعة واحدة.. حتى دق جرس تليفونى.. وقال المتحدث: أنا محمد زكريا محيى الدين.. وأحب أن أبلغك أن السيد الوالد سيكون فى انتظارك فى البيت فى الثانية عشرة ظهر غد. ولكن يرجو أن ترسل له شريط التسجيل ليسمعه اليوم.

وأرسلت على الفور نسخة من شريط التسجيل إلى بيت زكريا محيى الدين.

فى تمام الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم التالى، كنت أقف أمام بيته. وهو فيلا فى بداية شارع الثورة بحى المهندسين، فى المنطقة التى كانت تسمى فيما مضى «مدينة الضباط» ويقع بيت زكريا محيى الدين بالقرب من بيت السيد حسين الشافعى.

وقادنا - الزميل مكرم جاد الكريم مصور «آخر ساعة» وأنا - أحد الحراس إلى غرفة صالون تطل على حديقة البيت الخلفية، حيث كان فى انتظارنا نجله محمد الذى يعمل فى صناعة النسيج. وهو خريج الجامعة الأمريكية تخصص كيمياء وحاصل على درجة الماجستير من الولايات المتحدة الأمريكية، ويقيم مع والده فى نفس البيت.

جلسنا فى غرفة الصالون الأنيقة - رغم بساطتها - فى انتظار السيد زكريا محيى الدين، الذى هبط من الطابق العلوى بعد دقائق قليلة.

دخل زكريا محيى الدين الصالون وهو يتوكأ على عصا من خشب الصنوبر . . كان يرتدى ملابس بسيطة لكنها أنيقة ، بنطلون من الصوف وقميص زيتى اللون وبلوفر داكن . . ورغم خطواته البطيئة ، لكن كان الرجل الذى تعدى الثمانينيات من عمره يبدو فى صحة جيدة ، ولا تزال نظرات عينيه تشع بالحيوية والذكاء والحضور . .

رحب بنا فى مودة . . ثم جلس إلى الأريكة التى تتصدر الصالون ، والذى كانت جدرانه تزينها بعض اللوحات الزيتية ، ومنها لوحة كبيرة لسيدة ترعى بعض الدواجن - كانت مزرعة السيد زكريا محيى الدين فى بلدته تضم مزرعة للدواجن ، ولم يكن فى الصالون سوى صورة فوتوغرافية لزكريا محيى الدين عمرها لا يقل عن ٤٠ سنة !

وبدأ الحديث . . فى البداية تحدث السيد زكريا محيى الدين ، قائلا : أهلا وسهلا . . اسمح لى يا ابنى بكلمتين أو بالأصح سؤالين :

السؤال الأول هو : من أنت؟

واعترف بأن هذا السؤال من زكريا محيى الدين لم يصبنى بأى دهشة ؛ ذلك أن علاقة الصحافة والصحفيين بزكريا محيى الدين لا يمكن أبدا القول بأنها كانت . . طيبة ! بل لعل الموقف الذى اتخذه زكريا محيى الدين من الصحافة هو الذى جعله يلجأ كل هذه السنوات للصمت !

لقد كان اعتقادى دائمًا . . أن الصحافة هى التى جعلت زكريا محيى الدين يلوذ بالصمت ! لم أعتقد يوما . . أنه صمت لأنه كان يخشى شيئا . ولا أعتقد أنه صمت لأنه يخاف من فتح الملفات ، وإثارة الجراح القديمة ، وما يمكن أن تحدثه من ردود أفعال .

كان اعتقادى أن صمت زكريا محيى الدين يرجع إلى الحملات الصحفية الضارية التى تعرض لها بعد خروجه من السلطة عقب هزيمة ٦٧ وما تركته هذه الحملات من جراح فى صدره ، جعلته أكثر حساسية لأى كلام يقال عنه !

ولعله ازداد إيمانا بفضيلة الصمت إثر التجربة المؤلمة التى تعرض لها منذ حوالى

عام ونصف، عندما صرح بكلمتين د ون ترتيب مسبق لجريدة الأهرام (عدد ٣٠ مايو ١٩٩٩). ففوجئ بحملة ضارية من بعض الصحفيين لدرجة أن أحدهم كتب عنه يقول «إنه سكت دهرا ونطق كفرا»! بل اتهموه بأنه أكبر المسئولين فى العهد الناصرى، وصاحب النصيب الأكبر من جرائم التعذيب، والشريك الأول فى هزائم مصر من بدايتها إلى نهايتها!

ولعل زكريا محيى الدين أدرك وقتها أن هناك من يتربص به! وتأكد من أن: الصمت من ذهب!

ولهذا فإن من الطبيعى: أن يكون حذرا مع أى صحفى!

* ولهذا سألنى: من أنت؟

قدمت نفسى إليه بإيجاز. وقلت له: لعلك لا تذكر من رؤساء تحرير «آخر ساعة» سوى كبار الصحفيين مثل الأساتذة محمد التابعى ومحمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين ويوسف السباعى وأنيس منصور وغيرهم من الكتاب والصحفيين الكبار؟

* ورد زكريا محيى الدين ضاحكا: وماله.. لكن هذه سنة الحياة.. ولابد للشباب من أن يحصل على نصيبه من المسئولية.

- قلت له: أرجو أن أكون قد أجبت على سؤالك الأول.. فماذا عن السؤال الثانى؟

* قال زكريا محيى الدين: لماذا لم يتم استئذانى قبل نشر الحديث؟

- قلت له: ليس من عادتنا فى دار «أخبار اليوم» وإصداراتها المختلفة أن ننشر كلاما بدون استئذان صاحبه، بل إننا حتى لا ننشر صورة قبل استئذان صاحبها.. لكن الجميع يعرفون أنك فرضت منذ سنوات طويلة حصارا من الصمت حول نفسك. وأنك ترفض الإدلاء بأية أحاديث أو تصريحات صحفية - وهذا من حقك - لكنك أيضا بعيد عن الحياة الاجتماعية، والوصول إلى أرقام تليفونك شىء صعب. هذا هو السبب الأول فى عدم تمكننا من استئذانك قبل النشر. أما السبب

الثانى فهو اعتقادنا أن التاريخ ـ بما فيه تاريخ ثورة يوليو ـ ليس ملكا لشخص بعينه، إنما هو ملك لمصر وكل المصريين. ثم إننا وجدنا حوارك مع جلال ندا ـ الجزء الذى نشر والذى لم ينشر بعد ـ والذى يتعلق بفترة الثورة وما بعدها، ليس فيه ما يسىء إلى شخصك.

* قال زكريا محيى الدين: معك حق.. لكنى كما ذكرتم فى «آخر ساعة» اخترت البعد عن الحياة العامة.. وأيضا عن الصحافة!

***

ـ قلت لزكريا محيى الدين: هل تسمح لى بسؤال؟

* قال: تفضل.

ـ قلت له: لقد أرسلت لك شريط التسجيل الذى يتضمن حديثك مع جلال ندا.. كما أرسلت لك تفريغا كتابيا لهذا الحديث.. فما هو رأيك.. هل تنكر أن هذا الصوت هو صوتك.. أو أن هذا الحديث قد جرى بالفعل؟

يبتسم السيد زكريا محيى الدين!

* ويقول: أقول لك الحق.. لقد استمعت إلى شريط التسجيل ـ والمفروض كما ذكرتم أنه تم تسجيله منذ ٢٣ سنة، أكثر من مرة، وصوتى عليه غير واضح تماما.. أولادى مثلا أكدوا أنه ليس صوتى.. لكنى أقول لك وبمنتهى الصراحة إن كل ما جاء فى هذا الشريط هى كلماتى وآرائى.. وزكريا محيى الدين ليس هو الرجل الذى ينكر أو يتراجع عن كلمات أو آراء قالها!

ـ قلت له: لقد قمت قبل نشر الجزء الأول من الحديث بحذف بعض العبارات. وتصورت أن نشرها قد يضايقك.

* ورد زكريا محيى الدين على الفور: أبدا.. وتحذف ليه؟ أنا كما قلت لك لا أتراجع عن رأى أعلنته.. لكنى فى الحقيقة فوجئت بالنشر.. وتعجبت من أن يحتفظ رفيق السلاح جلال ندا بشريط تسجيل كل هذه السنوات.. ثم يفكر الآن فى إعطائه لـ «آخر ساعة» لتنشره.

يهز السيد زكريا محيي الدين رأسه متعجبا!

* ويقول: سأروى لك شيئا غريبا إننى منذ حوالى أسبوع أخذ طيف جلال ندا يظهر فى مخيلتى دون مقدمات أو مبررات، وسألت نفسى إن كان لا يزال على قيد الحياة؟ وتمنيت لو أنى عندى رقم تليفونه لأسمع صوته.

- قلت له: جلال ندا موجود، وهو بصحة طيبة، وذاكرته قوية.. وقد أخبرنى بالأمس فقط أنه سيظل حتى نهاية عمره يدين لك بالفضل؛ لأنك أنقذت حياته ذات يوم، فى حصار الفالوجا بحرب فلسطين عندما أصيب فى معركة الفالوجا، وقمت أنت وصلاح سالم بعملية انتحارية لتوصيل الأدوية والأدوات الجراحية له ولزملائه المصابين، وتعرضتما لكمين من القوات الإسرائيلية، لكنك نجحت فى النهاية فى الوصول إلى قوات الفالوجا المحاصرة.

غامت نظرات زكريا محيي الدين..

وتطلع عبر نافذة الشرفة إلى السماء، وكأنه يعود بذاكرته إلى أكثر من ٥٠ عاما مضت، إلى حرب فلسطين، وإلى الضباط المصريين الشباب، الذين نبتت بذور الثورة الأولى فى صدورهم هناك، فى حرب فلسطين.

* وقال بصوت أقرب للهمس: الفالوجا.. الفالوجا.. هى قصة مثيرة فعلا!

فى هذه اللحظة..

تذكرت إحدى عبارات زكريا محيي الدين الشهيرة.. وهى عبارة رغم بساطتها تعنى الكثير والكثير من قصة الثورة والثوار.

* كان ذات يوم قد قال: «نحن لا نختار أقدارنا.. ولكن الأقدار هى التى تختار.. ولو رجع بى العمر مرة أخرى إلى الوراء.. لما اخترت شيئا غير ما حدث!

* * *

عاد زكريا محيي الدين إلى.. «صلب مقابلته لى»!

* وقال: أنا لا اعتراض عندى على أى شىء مما نشرته «آخر ساعة» منذ أسبوع. لكن رجائى ألا تواصلوا النشر ليس لشىء إلا لسبب واحد، وهو أن هذا الحديث تم

منذ ٢٣ سنة، وهى فترة طويلة، ولابد لى من مراجعة بقية الحديث بدقة . . وأعدكم بالموافقة على نشره فى الوقت المناسب!

ـ قلت له: هذا حقك . . لكننى أرجو أن لا يطول الوقت؛ حتى يأتى ذلك «الوقت المناسب».

* ورد زكريا محيى الدين ضاحكا: عدنا إلى إلحاح الصحفيين!

وكان لابد من تغيير الموضوع . .

ـ سألت زكريا محيى الدين: كيف تقضى يومك؟

* قال: أستيقظ مبكرا ـ شأن كل العواجيز ـ قبل السادسة صباحا . . أقرأ الجرائد، وأتابع الأخبار فى محطة «سى . إن . إن» ثم أذهب إلى نادى الصيد للسباحة ـ كما نصحنى بذلك الطبيب ـ والحمد لله أن المياه فى حمام السباحة هناك دافئة، ثم يمر بقية اليوم عاديا.

ـ أسأله: متى تذهب إلى بلدتك كفر شكر؟

* يقول: قبل سنوات كنت أذهب ثلاثة أيام فى الأسبوع، الآن وبسبب الصحة أذهب مرة واحدة لأننى حريص على أن ألتقى بإخوتى على الأقل مرة فى الأسبوع.

ـ أسأله: والأولاد؟

* يقول ضاحكا: لقد كنت حريصا على ألا يزيد عدد أولادى على اثنين. وقد اتخذ أولادى نفس السياسة، لكن إرادة الله شاءت بعد أن منحنى بنتا وولدا أن يعطينى آخر العنقود . . هذه التى تبتسم الآن!

وأشار زكريا محيى الدين إلى ابنته سامية . . والتى كانت تحضر اللقاء.

والمعروف أن ابنته الكبيرة مديحة تخرجت فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ثم تزوجت من ابن عمها إسماعيل محيى الدين وأنجبت منه ابنتين هما نيللي وعمرها الآن ٢٧ سنة، وهى خريجة الجامعة الأمريكية تخصص علوم سياسية وهى أكثر أحفاد زكريا محيى الدين ارتباطا بجدها، لأنه كان يشاركها فى دراستها للسياسة ساعات طويلة. ولها أخت صغرى عمرها ٢٤ سنة درست الإعلام أيضا

فى الجامعة الأمريكية، وهى تهوى المسرح واشتركت فى بعض عروض الجامعة الأمريكية المسرحية ومنها مسرحية «فوت علينا بكرة». وهى تحب سماع آراء جدها زكريا محيى الدين وترى فيه نموذجا للحكمة.

أما الابن الوحيد فهو محمد خريج الجامعة الأمريكية تخصص كيمياء، لديه ولد أطلق عليه اسم جده «زكريا» وبنت اسمها «فاطمة». وسامية آخر العنقود من زكريا محيى الدين ابنته الثانية حاصلة على بكالوريوس التجارة من جامعة القاهرة ومتزوجة من رجل أعمال ولديها ولد وبنت.

* قال لى زكريا محيى الدين: أولادى هم كلهم حياتى.

ـ سألته: وأحفادك؟

انفجر ضاحكا وكأنه تذكر أحفاده الستة..

* وقال: إذا كان أولادى هم حياتى.. فإن أحفادى هم «روحى»!

* * *

لا أعـرف..

لماذا عندما نهضت فى نهاية اللقاء لأودع زكريا محيى الدين.. كان هناك شىء غامض فى داخلى يقول إن هنا سببا لطلبه تأجيل نشر بقية الحديث.

ـ سألته: هل تقوم بإعداد مذكراتك يا أفندم؟

نظر لى نظرة غامضة..

* ثم قال وهو يمد يده ليودعنى: رجعنا لإلحاح الصحفيين!

* * *

لكن زكريا محيى الدين.. كان يحمل لى مفاجأة عكس ما اعتقدت!

ففى اليوم التالى لصدور «آخر ساعة» اتصلت ببيت زكريا محيى الدين لأخبره بأننا التزمنا برغبته فى إيقاف النشر.

* جاءنى الرد الذى لم أكن أتوقعه: إن السيد زكريا محيى الدين.. ينتظرك غدا!

سألت: خير؟

* قالوا لى: خير إن شاء الله!

* * *

مرة أخرى.. أذهب إلى بيت زكريا محيى الدين.

وفى هذه المرة لم يكن فى ذهنى سبب واضح للمقابلة، لكنى كنت سعيدا لأننى سوف أجلس معه للمرة الثانية. ذلك أننى احتفظت فى صدرى بانطباعات خاصة عن لقائى الأول به، لم أصدق أبدا أن هذا الرجل العجوز صاحب الوجه الطفولى والضحكة الجميلة، هو نفسه الذى اتهموه بأنه المسئول عن التعذيب فى سنوات الثورة الأولى عندما كان مسئولا عن جهاز المخابرات. وهى تهم لم تكن يوما رسمية، ولم يوجد عليها يوما على قدر علمى أى دليل.

وكان انطباعى أيضًا بعد اللقاء الأول: أن هذا الرجل الذى مايزال يحتفظ بذاكرة حاضرة، وكل التفاصيل الصغيرة عن حياة مصر منذ الخمسينيات قد آثر أن يطوى كل ذلك فى صدره، وأنه راض وسعيد للغاية بحياته مع أولاده وأحفاده.. لولا أن «آخر ساعة» فاجأته بحديثه القديم مع رفيق السلاح جلال ندا، والذى وضعنا له عنوانا مثيرا هو.. الرجل الصامت يتكلم!

وكنت أظن - بعد أن طلب منى إيقاف نشر الحديث - أنه لن يتكلم مرة أخرى!

لكنى وبمجرد أن دخلت حجرة صالون بيته، ووجدته يمسك فى يده الأوراق التى تحمل تفريغا كتابيا لبقية الحديث.

- قلت لنفسى على الفور: سيتكلم!

* * *

* **أول كلمة قالها لى زكريا محيى الدين: اتكلموا!**

- **سألته: تعنى أنك موافق على نشر بقية الحديث؟**

* **قال: لا مانع .. مع تحفظ واحد!**

ـ قلت له: وهل لى أن أسأل.. عن سبب موافقتك على نشر الحديث؟

ضحك زكريا محيى الدين..

* وقال لى: أنا فى الأصل اخترت عدم الكلام، وقلت لنفسى من البداية إننى عشت حياتى وأديت واجبى كما أراه، وخلاص «طلعت على المعاش» وقررت عدم الحديث للصحافة أو غيرها، لكنكم فاجأتمونى بقصة حديثى مع جلال ندا، ودعنى أخبرك أننى لا أتذكر أنه قام بتسجيل حديث معى، وإن كان قد فعل فلابد أننى لم أكن أعرف أن الحديث مسجل، لكنى فى نفس الوقت موافق على كل ما جاء به، وهذا تاريخ وهذه هى آرائى، وقد بدأتم بنشر بعضها، فلماذا أوقفها وكأننى أتنصل منها؟

ـ سألت زكريا محيى الدين: وتحفظاتك التى تراها فى حديثك مع جلال ندا؟

* قال على الفور: لا شىء محددا.. إنما أحب أن تؤكدوا أن هذا الحديث قد تم منذ ٢٣ سنة، أيام الرئيس أنور السادات، وأيضا أرجو أن تقرأ الحديث قبل نشره، وأننى أعهد إليك بأمانة واحدة، أن تحذف أى شىء قد يكون فيه إساءة لأى إنسان.. فهل تفعل؟

ـ قلت: لقد قرأت الحديث أكثر من مرة ولم أجد فيه أية إساءة لأحد.

* قال زكريا محيى الدين: الحمد لله لأننى طوال العمر لم أفكر أبدا فى الإساءة لأحد.

* * *

كنا نجلس فى الركن الشرقى من البيت.

وهو البيت الذى عاش فيه منذ الستينيات، وقبلها كان يسكن فى عمارة بالقرب من بيت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى منشية البكرى، وعلى بعد خطوات من هذه العمارة، كان أول مقر للمخابرات العامة المصرية التى كان يرأسها زكريا محيى الدين فى ذلك الوقت.

ـ سألته: كنت تحمل رتبة «الصاغ» أيام قمت بالمهمة الانتحارية ـ مع صلاح سالم ـ

للتسلل إلى قوات الفالوجا المحاصرة، لتوصيل الأدوية والمعدات الجراحية للمصابين . . هل كنت متزوجا وقتها؟

عاد ليضحك من قلبه مرة أخرى . .

* وقال: لا . . كنت أعزب و«جاهز» لمثل هذه المهمات، والحقيقة أن القوات التي كانت في الفالوجا كانت وحدتي العسكرية، وحدث أنني نزلت القاهرة ثلاثة أيام في أجازة العيد، وتطورت الأحداث بسرعة، وتم حصار قوات الفالوجا، وعندما طلب فؤاد صادق من صلاح سالم التسلل لنقل الأدوية للمصابين، كان من الطبيعي أن أتقدم لكي أكون في هذه المهمة التي تخص رفاقي في السلاح والوحدة العسكرية، وأتذكر أننا قطعنا مسافة ٦٠ كيلو مترا، ثم فاجأنا كمين من القوات اليهودية، لكننا تمكنا من الوصول إلى قوات الفالوجا المحاصرة، كما أتذكر أنه في فترة عصيبة من فترات هذا الحصار، حضر إلينا مستشار عسكري بريطاني كان تابعا لقوات جلوب باشا التي كانت في الأردن، ونصحنا بأن يكون الانسحاب على جماعات صغيرة بعد أن تدمر قواتنا سلاحها، لكني رفضت هذه النصيحة تماما، كما رفضت مع زملائي فكرة الاستسلام، لأن منظر الجيش المصري سيكون سيئًا، كما أن ذلك يتنافى تماما مع الشرف العسكري، وكنا مستعدين للقتال حتى آخر لحظة، وقد كان لصمود قوات الفالوجا أعظم تأثير على مفاوضات الهدنة التي تمت بعد ذلك .

- قلت له: لم تكن مع الانسحاب من الفالوجا . . لكنك كنت مع الانسحاب في حرب ٦٧؟

* قال زكريا محيي الدين: نعم، كان من رأيي ضرورة الانسحاب في حرب ٦٧، أتذكر أنه كان هناك اقتراح بأن نقف ونقاتل، لكن كان رأيي هو الانسحاب «المنظم» لأن أية عملية عسكرية مثل «الهجوم» أو «الدفاع» أو «الانسحاب» لابد أن تكون منظمة، وكان انسحاب ٦٧ ضروريا لأن الطيران انتهى خلال ساعات، وكان من السهل قطع الإمدادات عن قواتنا في الصحراء. وتحويل الجيش المصري إلى «كذا فالوجا»!

ـ سألته : هل كان أعضاء مجلس قيادة الثورة يشاركون جمال عبد الناصر فى قراراته السياسية؟

* قال : مجلس قيادة الثورة انتهى أصلا سنة ١٩٥٦ ، أعطونا نياشين وقالوا لنا «خلاص . . دوركم انتهى» والبعض شارك فى الحكم ، والبعض رفض تماما المشاركة فى الحكم مثل جمال سالم ، ولم يعد هناك دور لمجلس قيادة الثورة سوى أن جمال عبد الناصر كان أحيانا يأخذ رأينا . . كرفاق سلاح!

* * *

اللقاء وصل إلى نقطة النهاية . . وعندما نهض زكريا محيى الدين ليودعنى . وحاول أثناء نهوضه أن يستند إلى عصاه ، أسرع ابنه محمد ـ الذى كان حاضرا اللقاء ـ يمد يده ليساعد والده على النهوض .

* قال «بمنتهى الأدب» : تسمح لى يا أفندم أساعدك؟

رفع زكريا محيى الدين يده معترضا . .

ـ وقال الرجل الذى تعدى الثمانينيات «بمنتهى الإصرار» : «لا . . أنا أقوم لوحدى»!

الجـزء الأول

من شهادة .... زكريا محيى الدين!

كـان زكريا مـحيى الدين، أو الرجل الصـامت من أخطر رجـال ثورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢. وكان واحدا من أهم رموزها. ومن أكبر المسئولين فى العصر الناصرى.

وقـد لا تعـرف الأجيـال الجـديدة، من هـو الرجل الصامت؟ ومن يكون زكـريا محيى الدين؟

لقـد تخـرج زكريا مـحيى الدين فى كلية أركـان الحـرب سنة ١٩٤٨.. وعـقب تخرجه سافر مباشرة إلى الميدان، فى حرب فلسطين.. وكانت أول مهمة له، هى عـملية التسلل للوصول إلى القـوة المصرية المحاصـرة فى الفالوجا ولم يكن وحده، كان معه صلاح سالم.

وكـان من طليـعة الضـبـاط الأحـرار وكـان له دوره فى الليلة التـاريخـيـة ليلة ٢٣ يوليو. وكـان هو الذى وضع خطة ترحيل الملك فاروق بعد تلك الليلة التاريخية.. عـمل مديرا للمـخابرات الحـربيـة سنة ١٩٥٢. ثم مـديرا للمـخـابرات العـامـة سنة ١٩٥٣. ثم وزيرا للداخلية فى نفس السنة التى تولى فيها مسئولية جهاز المخابرات العامة.

وواصل رحلة الصـعـود إلى قـمـة السلطة، ودائرة القـرار. فـعـمل نائبـا لـرئيس الجمهورية وعضوا بمجلس الرئـاسة سنة ١٩٦٢. وشارك فى جميع مؤتمرات القـمة العربية والأفريقية وعدم الانحياز.

وفى سنة ١٩٦٥ كان نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزراء.

وفى يوم ٩ يونيو ١٩٦٧، أى بعد خمسة أيام من الهزيمة الكبرى.. رفض أن

يصبح رئيسا للجمهورية، عندما أعلن جمال عبد الناصر التنحى عن السلطة، واختار زكريا محيى الدين لكى يحل محله فى رئاسة الجمهورية.

وفى مارس ١٩٦٨، خرج زكريا محيى الدين من السلطة، استقال. . واعتزل الحياة العامة تماما. . ولزم الصمت. وقيل بعدها، أن واحدا من أخطر رجال يوليو، قد تفرغ للزراعة. . وتربية الدواجن!

كثيرون احتاروا فى تفسير موقف الرجل الصامت، ولماذا لم يتكلم، ويقدم شهادته، على كل ما جرى؟ شهادة للتاريخ؟

لكن الذين عرفوه عن قرب، قالوا إن الصمت هو إحدى سمات شخصيته، إلى جانب الهدوء والدهاء، والقدرة على إخفاء المشاعر، والمناورة أيضا. .

وإن هذه الصفات هى التى أهلته لتولى أخطر المسئوليات فى سنوات الثورة الأولى، وهى مسئولية تأمين الثورة. . ومن هنا كان اختياره وزيرا للداخلية، ومسئولا عن جهاز المخابرات العامة.

لكن المفاجأة كانت هى حصول «آخر ساعة» على شريط تسجيل يتضمن حديثا مطولا للرجل الصامت زكريا محيى الدين!

فى هذا الحديث يتكلم زكريا محيى الدين عن الثورة، والمسئوليات التى تولاها. . ويرد على كثير من التساؤلات التى لا تزال دون إجابات، والتى يدخل بعضها فى دائرة التجاوزات. وهذا الحديث يعد أول شهادة، يقدمها الرجل الصامت. وهى بمثابة أوراق جديدة تضاف إلى ملف ثورة يوليو وثوارها، الذى لا يزال مفتوحا. . ولعل هذه الأوراق تفتح شهية الرجل الصامت للحديث.

ويبقى السؤال: ما هى حكاية هذا الشريط؟ من أين؟ ومن الذى أجرى الحديث مع الرجل الصامت؟

ونقول: إن هذا الشريط - المفاجأة - يخص أحد رفاق السلاح، من المحاربين القدماء، فى فلسطين. وهو البكباشى جلال ندا. الذى كان ضمن القوة المصرية المحاصرة فى «الفالوجا» أثناء حرب فلسطين.

وهنا فى «الفالوجا» التقى برفيق السلاح زكريا محيى الدين الذى استطاع التسلل

من بين خطوط العدو الإسرائيلى، والوصول إلى «الفالوجا» وتنفيذ المهمة المكلف بها. ومن يومها ربطت علاقة الصداقة بين رفاق السلاح. عاد جلال ندا من حصار الفالوجا مصابا، ولا تزال إحدى الشظايا مستقرة فى جسده للآن! ومع عودته، ترك الجيش، وعمل بالصحافة لفترة.. وكان أول عمل له بالصحافة فى دار أخبار اليوم.. وتركها بعد فترة.

قبل أن يدير التسجيل ليسمعنا حديثه مع الرجل الصامت زكريا محيى الدين، يقول جلال ندا إنه ذهب لزيارة زكريا محيى الدين فى بيته بمناسبة مرور ٢٥ سنة على قيام الثورة، وأخذ معه جهاز تسجيل وفى ذهنه أن يسجل مع الرجل الصامت حديثا للتاريخ.

ونحن نقدم الحوار الذى جرى بين الرجلين والذى جرى فى صيف عام ١٩٧٧ كما هو، دون أى تدخل من جانبنا.. ودون أى ترتيب للوقائع، طبقا للتسلسل أو السياق التاريخى..

ومن هنا كانت التلقائية والعفوية الواعية والصدق، رغم بعض التحفظات، التى هى شىء طبيعى لرجل تعود الصمت، والسرية، والكتمان.

ولنصغ الآن، إلى شهادة الرجل الصامت عندما يتكلم، ويبوح بأسراره حول الثورة والثوار، بكل ما جرى، من وقائع وأحداث، تعد الأهم، والأخطر فى تاريخنا المعاصر.

* فى تقديم الحديث المسجل، يقول جلال ندا، على شريط التسجيل:

* حددت معه موعدا بالتليفون.. وفى تمام الساعة الحادية عشرة كنت أقف أمام منزله، الذى يقيم فيه منذ أكثر من عشرين عاما، بمدينة الضباط بالدقى.. وصحبنى أحد الحراس إلى الطابق الأول وكنت أعرف طريقى إلى غرفة المكتب.. فاتخذت مجلسى فى المقعد الذى اعتدت عليه، وبعد هنيهة هبط الأخ زكريا محيى الدين من الطابق الثانى، وبابتسامته المعهودة قابلنى محييا..

وبعد أن تناولنا القهوة الممتازة لاحظ أن هذه الزيارة تختلف عن سابقاتها، فقد وضعت مسجلا وبدأت الحديث.

جلال: أنا جئت كى أصحح ما أفسده المدعون بحقيقة التاريخ فى حق تاريخ الثورة.

زكريا: ولأنك تعرف أننى اتخذت خطا عاما وصممت عليه، ولكنك رغم أنى شرحت لك الظروف سابقا مصمم على هذا الاتجاه، ولازم تعرف أنه لا يمكننى أن أدلى باسمى بأية بيانات.

حكاية رسالة عبد الناصر.. لجونسون!

جلال: لن أشير إلى أية بيانات باسمك أنا سأوضح بعض المعلومات حتى أصحح ما شرحه المدعون بحقيقة التاريخ.. ولنبدأ بسؤال عام وهو فى نفس الوقت خاص بك.. فقد كان من المقرر أن تسافر إلى أمريكا يوم ٥ يونيو ٦٧ لمقابلة جونسون برسالة خاصة من المرحوم جمال عبد الناصر: فهل من الممكن أن نعرف مضمون الرسالة؟

زكريا: بالنسبة لهذا الموضوع بالذات، الرسالة كان مفروض أن تسلم لى قبل السفر مباشرة.. والسفر كما تعلم لم يتم.. وقد أعلن عن هذه الرحلة قبل الحرب بيومين أو ثلاثة، وكانت بناء على اتصالات جرت ما بين الحكومة المصرية والحكومة الأمريكية.. واتفقا على سفر واحد.. وقد اختير فلان (زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية) ليسافر إلى أمريكا كى يتحدث عن نوايا مصر، وأن مصر ليست لها نوايا عدوانية وكان هذا هو المعنى العام.. أما عن الرسالة ونص الرسالة، فلم آخذ أى شىء حيث إنه فى هذه الأحوال يتم تسليم الرسالة قبل السفر مباشرة مع توضيح أية نقطة نحب أن نضغط عليها بالنسبة للوضع.

كان هذا هو الموقف.. كانت سفرية تهدف إلى إثبات حسن النية بالنسبة للعدوان على إسرائيل.. وإن كل الترتيبات هى لمجرد الدفاع عن بلادنا، فنحن ندافع عن حقوقنا.

جلال: معنى هذا أنه لم يكن هناك نية لمهاجمة إسرائيل؟

زكريا: هو ده اللى كان مطلوب توصيله.. وعلى فكرة أنا ممتنع عن الكلام فى أية مواضيع كما تعرف.

الأمة العربية.. والقدوة السياسية!

جلال: لقد اعتبرنا ثورة ٥٢ بداية تحرر الأمة العربية ونشر وعى جديد ومحاربة الاستعمار.. وقد نجحت الثورة فعلا فى هذا من المحيط إلى الخليج.. فكيف ينقسمون الآن على بعض ويحاربون بعضهم بعضا.. حتى لبنان البلد الواحد انقسم على نفسه، ودمروا بلادهم.. كل ذلك نتيجة فتن أجنبية فكيف يكون مصير الأمة العربية؟

زكريا: هذا واقع موجود وضعف داخلى فى جسم الأمة العربية، وضعف اجتماعى، وسياسى واقتصادى فى أوضاع المجتمع العربى كله.. وفى كل بلد من هذه البلاد.. وهو الذى يؤدى فى النهاية إلى التفرقة اللى أنت بتتكلم عنها بحيث إن الواحد بيتصوز أملا فى أنه لو لم تكن هذه الأوضاع كان وضعنا يبقى كده! لكن هذه طبيعة الحياة.. فهى ليست بالشكل الذى يبنى على الأمل بدون أن نبحث ونحلل أساس المرض وأساس المشكلة، ومحاولة علاجها بواسطة القيادات السياسية المختلفة.

وفى اعتقادى أن القضاء على هذه الأمراض يكمن فى مسألة القدوة فى الأنظمة السياسية المختلفة.. فحتى الآن الشعوب العربية تفتقد القدوة.. فلو كانت هناك قدوة صالحة تصر على الخطوط الأخلاقية السليمة؛ فإن هذا يمكن أن يكون البداية.

حتى الآن أنا شايف إن الأطماع الشخصية والأطماع الحزبية مع السياسية هى التى تؤدى فى النهاية إلى بقاء أوضاعنا المتردية على ما هى عليه. هذا هو الوضع دون أن ندخل فى أية تفاصيل.

الثورة .. والقوائم السوداء!

جلال: فى أول الثورة توليت المخابرات وكانت القوائم السوداء والتى وضعت فيما مضى تضم أسماء المعارضين للحكم، أى الناس الذين كانوا يعارضون الملك فاروق وبقيت القوائم السوداء كما هى بعد الثورة. . فهل يعنى ذلك أن الوطنيين هم الذين يدرجون فى القوائم السوداء دائمًا؟

زكريا: أنت دخلت بقى فى الثورة.

جلال: معلهش هذا فى البداية.

زكريا: أنت بتمس صميم موضوع معين.

جلال: هل استمرار المعارضة أو النقد من أجل مصلحة الوطن يعتبر ضد الحاكم. . ولذلك يدرج المعارضون الوطنيون فى القوائم السوداء؟

زكريا: ماذا تقصد من السؤال. . ولمن تريد الإجابة؟

جلال: للتاريخ.

زكريا: من هو الذى سيجيب؟ وباسم من ستكون الإجابة؟ أم أنك تتكلم بصفة عامة. . دون ربط الإجابة باسمى أنا بالذات.

جلال: طبعا باتكلم بصفة عامة.

زكريا: فيه تفكير عام لازم تدركه أولا: ابحث فى أى بلد من بلاد العالم فمثلا أمريكا اعتبرها قمة الديمقراطية، ونحن الآن نتكلم من الناحية العملية، لأننا لا نتحدث عما يحدث بين الأفلاطونيين. . ولا فى مجتمع أفلاطون. . فى هذه الدول تجد القائمة موجودة، ولكنها تكثر أو تقل حسب الظروف. فلماذا هى موجودة؟ اسأل نفسك ليه موجودة؟ يقال مثلا كتبرير لوجودها إنه دفاع عن قلعات الديمقراطية والحرية.

العالم العربى حتى اليوم فيه ناس ممنوعين من الدخول إلى أمريكا، ولو أن أى مواطن أمريكى غير ممنوع من الخروج أو الدخول إلا بأمر قضائى ولكن بالنسبة للمواطنين الآخرين يوجد حد من الحرية.

العالم الآن يتجه إلى الاتجاه العالمى - هل تعلم أنه توجد اتفاقية اليوم بين روسيا وأمريكا تنص على إعطاء المواطنين حرية التعبير، ولذلك قامت حركة فى الاتحاد السوفيتى أكثر وضوحا وهى تنادى بتغيير الأوضاع فى الأنظمة السوفييتية، والحكومة السوفييتية تسمح لهذه الحركة أن تعبر عن نفسها فى حدود معينة طبعا - فإذا تجاوزت هذه الحدود فإن الإجراءات التى تتخذها هى أنها تطلب من المواطن السوفيتى أن يغادر بلده، وأن يذهب إلى الخارج وينادى بأى أفكار يؤمن بها . . هذا إذا وجدت أن كلامه بدأ يؤثر على النظام السياسى الذى ارتضوه لأنفسهم.

رقابة التليفونات.. كانت وستبقى:

هذا طبعا موضوع عام . . أما فى مصر بالذات فالقوائم السوداء موجودة وستظل موجودة . . ورقابة التليفونات موجودة وستظل موجودة وأجهزة التسجيل موجودة وستظل موجودة . . بس بتزيد وبتقل . . بتبقى تحت السيطرة فى فترات وبتفلت عن السيطرة فى فترات . . بتكون معقولة فى حالات وبتكون غير معقولة وتستخدم استخداما سيئا فى حالات أخرى.

تكون معقولة عندما تخدم أهدافا وطنية بغض النظر أنها تكون بأمر قضائى أو بأمر إدارى.

المهم الناحية الضميرية التى دفعت الشخص اللى أمر بهذا الإجراء - أنت بتقول إن ثورة ٥٢ جاءت وكان فيه قائمة سوداء - طبعا كان فيه وأنا لا أذكر أية تفاصيل - إنما هذه القائمة تغيرت - حذف ناس وأضيف ناس . . لابد أن يكون حدث هذا وأنت تعرف أنه فى بداية الثورة كان اتجاه مجموعة الثورة ككل ميال إلى الناحية الدينية شوية . . يعنى الجانب الاجتماعى اللى كان سائدا فى الطبقة البرجوازية الصغيرة اللى احنا طلعنا منها . . اتجاه محافظ . . اتجاه متدين . . إلخ . بغض النظر عن واحد أو اثنين فى المجموعة . . إنما الاتجاه الغالب فى المجموعة كان هو هذا الاتجاه.

كنا مثلا بالنسبة لليساريين أو الشيوعيين طبعا كان فيه اتجاه ضده على طول هذه

الفكرة وبعدين يوجد عنصر آخر تضيفه وهو أن كل المجموعة كان سنها لا يتجاوز ٣٥ سنة، يعنى أكبر واحد فيهم كان ٣٥ سنة زى يوسف صديق مثلا . .

جلال : لأ يوسف صديق كان ٤٢ سنة .

الثوار وسن النضج!

يعنى ده شاذ، أما الباقون فكلهم اللى ٣٤، ٣٢ أو ٢٩ سنة . .

برضه أنا باتكلم عن النقطة دية لأن هذا يثبت سن النضج بالكامل . . فلو كان هناك ناس كانوا ممنوعين من السفر فذلك نظام عام ولو أن اتجاه الثورة العام كسر كل القيود وكل الحدود إلا أننى لا أتذكر حقيقة عما إذا كانت هناك كشوف موجودة . . وإذا كان لم يحدث لها مراجعة إلا فى سنين متأخرة فهذا لا يعنى إلا عدم العلم بالشىء . . فعند حضور مواطن بالشكوى نعلم بهذا الموضوع . .

العملية كلها كانت جديدة خالص علينا . . والمخابرات فى بداية الثورة كانت لا تتدخل فى هذه التفاصيل كلها . . إذ كان هدفها هو التأمين الخارجى وكانت تعمل فى نواحى أمن الثورة بالذات فى حد ذاته . . يعنى ضد الجماعات التى كانت تريد تغيير الأوضاع التى قامت بعد ٢٣ يوليو . . طبيعى كانت فيه صلة بين المخابرات وبين الأجهزة المختلفة التى تعمل فى هذا المجال . .

أنت ماسك حتة محددة بالذات وهى موضوع كشوفات الممنوعين . .

جلال : غرضى أن تكون المعايير واضحة . . فالذى يعتبر ضد البلد ليس هو الذى ينتقد من أجل مصلحة البلد؟

زكريا : أضيف نقطة أخرى .

جلال : طبعا .

زكريا : إحنا كانت معلوماتنا عن الجانب المدنى معلومات محدودة جدا حتى أكثر الناس اطلاعا واتصالا بالجوانب المدنية زى جمال مثلا . . الذى كان دائم الاتصال بجماعة الوفد وجماعة الإخوان، وكانت له بعض صلات خارجية، رغم

كل هذا كان لا يستطيع أن يعرف عما إذا كان فلان كويس والا فلان وحش . . دا احنا فى أول فرصة جاء بعض ناس اشتكوا من أوضاع معينة ، وكنا نبحث ونستجيب لكل اتجاه عام أو اتجاه شعبى لدرجة أن الناس الذين اتهموا بقتل الخازندار أفرجنا عنهم وهم فى السجن . .

تعديل القوائم .. بعد ٤ سنوات!

فموضوع القوائم السوداء لابد أنه أخذ فترة إلى أن حصل له تعديلات وأنا أذكر أن موضوع القوائم لم ينظم تنظيما كاملا إلا بعد سنة ٥٥ ـ لأ . . لأ ـ حصل نوع من التنظيم فى هذه المسائل سنة ٥٦ يعنى كام سنة متأخرة . . أربع سنين لغاية ما عمل سجلات وهذا بعد أن اشتكى الناس عندما كان الشخص يرغب فى السفر فيرسل اسمه للمباحث ويتأخر أسبوعا أو أكثر إلى أن تجيب المباحث . .

أنا وقتها قلت إذا كان فيه ناس ممنوعين من السفر بأمر إدارى أو أمر قضائى فمن الممكن عمل دفاتر ، وهذه الدفاتر يعمل لها فهرس بحيث ترفع ورقة وتوضع ورقة وتعطى نسخة منها للقنصليات . .

وهذا كان الاتجاه لتنظيم العملية وتكون محصورة على الممنوعين فقط ، وبذلك لا أتعب كل المواطنين . . وما تبقاش شبهة تلصق بالإنسان لمجرد سؤال المباحث عنه . .

والموضوع أنت لازم تكون قد أدركته علشان إذا كانت هناك تفسيرات لأخطاء متصورة وقعت فيها الثورة خلال السنين المختلفة فلابد أن هناك أسبابا . .

أسباب موضوعية وحسن النية متوافرة فيها بحيث إنها تقدر تغطى نفسها ضد الاتهام الذى يمكن أن يوجه إلى الثورة فى بعض تصرفاتها . .

الجـزء الثانى

الحكام.. ليسوا أنبيـاء!

** وفى هذا الجزء يتصل الحوار مع الرجل الصامت زكريا محيى الدين، الذى خرج عن صمته للمرة الأولى، ليكشف الكثير من أسرار ما جرى خلال تلك الحقبة التاريخية التى شهدت أخطر الوقائع، وأكثرها إثارة للجدل، فى مسيرة ثورة يوليو ١٩٥٢ . كيف أثير موضوع الحكم الديمقراطى فى مجلس الثورة لأول مرة؟ وماذا كان موقف جمال عبد الناصر بالضبط؟ وهل كان يريدها ديمقراطية؟ أم دكتاتورية؟ وهل صحيح أنه ترك المجلس أثناء انعقاده غضبا، عندما وجد الجميع ينادون بالدكتاتورية . . وعدم كف يد الثورة عن التدخل فى الحكم؟ وأنه عاد إلى بيته ولم يرجع إلا بعد أن تراجع المجلس عن قراره؟

هذا هو السؤال الكبير الذى يضع الإجابة عنه الرجل الصامت زكريا محيى الدين فى شهادته للتاريخ.

أيضًا . . كيف يرد على الذين انتقدوه واتهموه بممارسة التعذيب أيام كان مسئولا عن جهاز المخابرات فى سنوات الثورة الأولى؟

هذه بعض الوقائع التى يتناولها زكريا محيى الدين فى هذا الجزء.

فليتكلم الرجل الصامت. وليقدم شهادته للتاريخ.

* يبدأ زكريا محيى الدين الحديث . .

يقول: فى أول الثورة حصل كلام . . كيف يكون النظام؟ ديمقراطى والا دكتاتورى؟

وأغلب المجلس أو معظم المجموعة رأت أن الوقت لم يصبح مناسبا كى تكف الثورة يدها عن التدخل فى شئون الحكم، وأن تبتعد وتترك الحياة السياسية للسياسيين القدامى . .

القصة شرحت قبل كده كتير وقيل فيها تفاصيل مختلفة وأصبحت قصة معروفة .

ورغم ما قيل من كلام أن جمال عبد الناصر أخذ بعضه وراح بيته وأن مجلس الثورة تراجع فى كلامه . . فهذا لم يكن صحيحا .

وعموما لم يكن الاتجاه الذى أراده مجلس الثورة هو الدكتاتورية بالشرح الذى قاله أنور . . لا هى مسألة توقيت . . لأننا كنا زاهدين فى الحكم حقيقة . . إنما كان فيه فعلا اتجاه سيطرة المجلس على الموقف لأن ظروف البلد نفسها كانت تستوجب ذلك .

أنت كنت لسه بتتساءل . . ليه البلاد العربية مفتتة ، الظروف الاجتماعية هى التى تجبر الحاكم فى بعض الأحيان وربما تجرفه إن لم يكن واعيا لنفسه . . لازم يكون عنده من المقومات الداخلية ما يحمى نفسه من الانزلاق وراء غرور السلطة . . وأطماع السلطة . .

كل هذا بسبب المجتمع الذى يصور للحاكم دائمًا ـ خصوصا في ظروف المجتمعات النامية ـ أنه إله . . ولذلك فهو يطغي .

الحكام.. ليسوا أنبياء!

أنا لا أستطيع أن ألوم الحاكم وحده . . أنا ألوم المجتمع نفسه . . طبعا الحكام ليسوا أنبياء . . ولكن أعود وأقول إنهم ليسوا أنبياء ، ولكن يجب أن يكون لديهم من القوى الداخلية ما يحصنهم من هذه الإجراءات ، فالإنسان إن لم يكن محصنا تحصينا كافيا فإنه لا شك ينزلق وراء هذه التأليهات .

جلال : تأكيدا لهذا الحديث أنا سنة ١٩٥٣ كنت توليت رئاسة تحرير جريدة

اسمها المحاكم فى بنها وكتبت مقالا جاء فيه : إن حكام اليوم أطهر فئة وصلت إلى الحكم ولكنهم بشر والأنبياء أنفسهم غير معصومين من الخطأ فهم يخطئون . . ولكن الفرق بين حكام اليوم وبين الحكام السابقين أننا إذا قلنا لهم إنكم أخطأتم فإنهم يتداركون خطأهم ويصلحونه . . وهذا هو الحاكم المثالى اللى أنا عايزه . . لكن أمين حماد الرقيب فى ذلك الوقت ، لم يقبل عبارة أنهم يخطئون . . فقلت له أبدا . . هذا أحسن بالنسبة لهم ، لأن الشعب لا يتمنى أحسن من ذلك . . وأنا لا أقصد إلا مجرد الإيحاء بفكرة لمصلحتهم .

زكريا : المهم أن تكون النية طيبة يعنى؟

جلال : طبعا أنا كتبت هذا لمجرد التوجيه ، لكن الرقيب أمين حماد قال : لأ . . فذهبت إلى المرحوم صلاح سالم وكان عنده هيكل . . وتحدثت فى الموضوع فقال هى فعلا كما قلت . . أننا بشر ولسنا أنبياء وليس بعيب أن يخطىء الشخص ولكن العيب أن يتمسك بالخطأ .

زكريا : كانت النية طيبة .

جلال : أنا فعلا كان رأيى فى بداية الثورة أن يكون هناك حكم دكتاتورى عادل إلى أقصى حدود العدالة .

زكريا : أهو أنت جاوبت على سؤالك .

جلال : لأنه كان فيه خطأ .

ديمقراطية الغرب.. وديمقراطية الشيوعيين!

زكريا : يعنى هو فيه خطان عالميان : «فيه ناس بيقولوا إن الخط اللى هو حكم الفرد أو حكم الجماعة خارج مسار الديمقراطية مش عايز أقول دكتاتورى ـ لأن دكتاتورى بيحمل معنى الظلم إلى حد ما ـ إذا أخذته بالمعنى الفلسفى سميه دكتاتورى . . اللى حكم الفرد . . وحكم الجماعة بحيث تكون إرادة الفرد واضحة فى تغيير معالم أو سير الأمور فى المسار السياسى التمام» . .

ويوجد الخط الآخر وهو ديمقراطية بالشكل الغربي تكون بأحزابها . . وأى كلام على وتيرة أخرى بخصوص ديمقراطية بدون النظام الحزبي يعتبر نوعا من أنواع الخداع . . ولكنها تشكل صورة من صور الفردية أو الدكتاتورية لابسة شكل ديمقراطى زى ما بنقول .

اليوم الشيوعيون بيقولوا الديمقراطية الاشتراكية . . واخد بالك ـ يقولوا لك حكم المجتمع بزعامة الحزب مثلا . . الحزب بيتزعم الحكم وبعدين تبقى تلاقى العملية الانتخابية تتم بين أعوان الحزب :

لهم طريقة معينة فى التجنيد ولا يمكن لهذه الطريقة أن تسمح بتمثيل الشعب ككل . . لأنه يعمل على منع أى شخص مضاد لاتجاهات الحزب إنه يدخل الحزب .

وبعد ذلك . . فى النهاية . . تتم انتخابات داخل الحزب تؤدى فى النهاية إلى هيئة . . وبعد ذلك هذه الهيئة تنتخب هيئة أخرى . . والهيئة الأخرى تنتخب فى النهاية مكتب . . وهذا ما يحدث فى النهاية ويسمون هذا ديمقراطية . . يعنى سميها زى ما تسميها . . إنما ده خط . . هذا الخط الذى هو حكم الجماعة أو الفرد أو الدكتاتورية .

أما الصورة الأخرى فهى الصورة الحزبية الكاملة زى المجتمعات الغربية ـ هل كان تصورك أن ثورة قامت ضد الفساد والقصر والحزبية وكذا . . سيكون اتجاهها إعادة الحزبية . .

ده إحنا كنا واهمين ـ واهمين إنه ممكن الأحزاب تتطهر نفسها . . ودى كانت بصراحة محاولة ساذجة . . إنما كويس إنها مشيت لإثبات سوء نية الأحزاب أمام الشعب .

الثورة البيضاء.. والثورة الحمراء!

جلال : أنا حتى اليوم . . سنة ١٩٧٧ . . مازلت مؤمنا أن فكرة عودة الأحزاب فى الوقت الحاضر فى مصر خطر ـ أننا ـ محتاجين إلى صرامة وشدة لتقويم الأخلاق مع توافر العدالة الكاملة ـ وقد سبق أن أعلنت هذا الرأى عام ١٩٥٢ عندما كنت أعمل فى

أخبار اليوم فكتبت مقالا يوم ٢٨ يوليو قلت فيه : إن حكام اليوم أطهر فئة وصلت إلى الحكم وأحسن من السابقين . . لكن للأسف الشديد لم يكن العيب في الحكام السابقين إنما العيب فى القاعدة الشعبية . . فهى منهارة ومحتاجة إلى تقويم . . وهذا يحتاج إلى مدفع ومشنقة فأقيموا المشانق وانصبوا المدافع . . ولكن جلال الحمامصى أمسك بشعره وقال لى : «إحنا قلنا ثورة بيضاء وأنت رايح تحمرها»!!

فقلت له والله أنا ببيضها أكثر لأن الأخلاق منهارة ومحتاجة إلى عنف . . بس عنف عادل جدا بحيث لا أخدش مظلوما . . وأنا مازلت مقتنعا أننا مازلنا فى حاجة إلى نفس الأسلوب اليوم . لأن البلد خلاص . . المصيبة التى نعانى منها هى انهيار الأخلاق - ما فيش ضمير هناك تسيب وانحراف فى كل مكان وهذا يحتاج إلى تقويم بس المهم ألا أخدش مظلوما .

الحكم الدكتاتورى .. استمر ٣ سنوات

زكريا : يعنى اللى عايز أقوله تأييدا للكلام ده . . إن القصة بتاعت الجلسة الخاصة بدكتاتورية أو ديمقراطية . . وأن جمال أخذ بعضه وزعل وبعدين رجع تانى على أساس إن المجلس سلم بوجهة نظره . . هذه القصة غير صحيحة . . لأن ما حدث من الناحية العملية أن البلد حكمت حكم دكتاتوري أو سميه زي ما تسميه أوتوقراطى . . حكم فرد . . أهى اتحكمت . . بدون سلطة تشريعية لمدة ثلاث سنوات - فيبقى كيف كان هناك خلاف علي أنه لازم وفورا حكم ديمقراطى؟!

يتضح من هنا أن كلام المجلس من الناحية العملية هو اللى تم - لأن قرار الجماعة دائمًا يكون أصح من رأى الفرد . . وفى بعض الأوقات تكون الجماعة غير مدركة لبعض المسائل وتحتاج إلى تفسيرات ومعلومات أكثر إنما الجماعة بتفكر صح ومسارها على طول بيصحح تفكيرها ويصحح رؤياها . . فداما الرأي الذي يصدر عن جماعة عندها معلومات وجماعة واعية يكون دائمًا أصوب من رأي الفرد . . ولذلك تجد أن ديننا يعتبر المشورة مسألة أساسية .

جلال : الأمر شورى بينكم .

زكريا : آه . . نعم .

جلال : أنا باعتبر حرب أكتوبر أعظم حرب فى البشرية منذ بدايتها حتى ٦ أكتوبر والنصر الذى حققه المقاتل المصرى نصر لم يسبق له مثيل .

زكريا (مقاطعا) : متأسف ما أقدرش أتكلم فى هذا الموضوع .

جلال : طيب خلاص .

زكريا : أنت دخلت مسألة أنا لى رأى فيها - أصل العملية إذا كان الهدف منها عملية إعلامية لرفع معنويات الناس فيبقى ماشى .

جلال : أنا أردت أن أقول إن القيادة العسكرية لم تستغل هذا النجاح يعنى كان ممكن من أول وتانى يوم إن إحنا نستعيد سيناء .

زكريا : ده موضوع مسلم بيه وانكتب فيه بصرف النظر عن الدعاية اللى ماشية دلوقت - فالآراء اليوم مختلفة - هل هى كما يقولون مظاهرة أكتوبر العسكرية كما يسميها بعض الناس لأنه يوجد رأيان - رأى يقول أنا لازم أرفع الروح المعنوية للناس بغض النظر عن الأخطاء لأن الشعب محتاج إلى جرعة معنوية بعد الهزائم اللى منى بها خلال السنوات الماضية .

وفيه رأى بيقول حاجة تانية - إحنا بنقيم تقييم سليم حتى يواجه الشعب الحقائق - لأن الشعب اتغش كتير خالص فى الفترة الماضية .

ويمكن نقول لقد انتصرنا فى الفترة الأولى ولكن حدثت أخطاء من كذا وكذا وترتب على هذا أن الموقف العسكرى تغير - ولكن إحنا بنتكلم فقط من الناحية الإعلامية - على الأقل كان الموقف ساخنا لكن يعنى نتيجة الأوضاع الأخيرة أنا مش شايف فيه فرصة لحرب جديدة - خلاص انتهت بعد فصل القوات وبعد محطات الإنذار وبعد الكلام ده كله - انتهت العملية .

جلال : أنا رأيى إنى لو كنت فى القيادة العسكرية كنت استغليت النجاح بتاع أول يوم وكنت وصلت إلى نتيجة لأن اليهود لا يمكن يحطوا قوات فى العمق Never sfoil the personal - يعنى فى العمق ما كانش فيه مقاومة تذكر ولذلك فإننى اعتبرت القيادة العسكرية قد أخطأت التقدير - حقيقة كان مقدر نتيجة لعملية العبور - خسائر

تصل إلى حوالى ستين ألف شهيد لكن ما حدث كان مائة واثنين وستين شهيدا فقط، فالمفروض أن يستفيد من هذا الوضع.

زكريا: اتكتب فى الكتب بالشكل ده زى الكلام اللى بتقوله ـ المحررون العسكريون قالوا كده.

جلال: النتيجة لنا الله ـ أنا عاجز عن الشكر.

عودة.. للقوائم السوداء!

هل كان من ضمن كشوفات القائمة السوداء قبل الثورة أسماء الضباط الأحرار.. طبعا أنت استلمت كل الأوراق؟

زكريا: موش اللى كانوا ممنوعين من السفر؟

جلال: لأ مش اللى ممنوعين من السفر ـ أنا عندى القائمة السوداء اللى هى ضد النظام.

زكريا: لأ.. القائمة السوداء هى الممنوعين من السفر دى كشوفات بأمر الحكومة أو بأمر إدارى.

جلال: هل كان من ضمنهم أسماء الضباط الأحرار؟

زكريا: لا أذكر.. أنا ما بحثتش وراء هذا الموضوع لأنه كان عندنا من المشاكل ما يكفى بحيث إننا ما نبحثش عن الماضى..

جلال: قيل فى وقت من الأوقات إن على صبرى عميل روسى؟

زكريا: انت بتتكلم فى أسئلة مباشرة ـ إيه الموضوع؟ أنت ناوى تعمل إيه؟

جلال: حا أكتب حاجة خفيفة عن التاريخ.. عن الحقائق.. عن النقط اللى هى لا تؤثر طبعا على موقفك الحالى ولا فى الماضى.. يعنى حاجة للتاريخ، أنا عارف أنت اتجاهك إيه، وعارف التزامك إيه.

زكريا: طيب يعنى حاجة للتاريخ دى شكلها إيه؟ هل هو حديث؟

جلال: لأ، نصف حديث - يعني معلومات - أنا جاى أحصل على معلومات موش حديث.

زكريا: ما هو المهم يعني المهم إنه إذا كنت أنا فسرت لك بعض مسائل أنت عايز تكتب فيها.. دى تفسير علشان لما تكتب عن التاريخ بتاع الثورة أو غير الثورة يبقى كلامك صحيح - يعني ما يبقاش فيه شططان في أى جهة - إنما إنك تقول وقد قال فلان - وتحط «كوتيشن» فاهم «كوتيشن» يعني أيه؟ يعني جمل مني.. ده أنا اللى مش عايزه.

أنا جامد في هذا جدا وجامد موش بالعناد.. أنا اتخذت هذا الوضع بناء على تفكير.. وأنا عارف الدنيا شكلها إيه.. أنت يمكن أكبر مني - أنا فوجئت بالحكاية دى المرة اللى فاتت.. لكن أنا يمكن عندى خبرة كبيرة.

جلال: أنا كنت متخيل أني أكبر منك بسنتين.

زكريا: ده أنا فاهم يعني أنت اتصورت أنك أكبر مني بسنة.

جلال: أنا كنت متأكد أني أكبر بس ما كنتش أعرف أنهم خمسة أشهر.

أدينا واجبنا.. والكلمة للتاريخ

زكريا: أنا يعني طبعا عايز أقول إن أنا من واقع الخبرة الطويلة والقرف والبلاوى اللى مرت بالواحد.. بيقدر يحسبها.. يحسبها كويس قوى.. وبعدين طلع حسابى سليم لما بعض الإخوان اتكلموا في مناسبات معينة.. كان رد الفعل سيئا جداً.. واحنا مافيس داعى إن إحنا نعرض أنفسنا في المرحلة الحالية لأى شىء.. إحنا أدينا واجبنا.. والتاريخ رايح يكتب كلمته عنا.. بقلمنا أو بيغر قلمنا مستقبلا.. ومستقبلا دى بعد الوفاة إن شاء الله.

جلال: ربنا يعطيك طول العمر.

زكريا: لأ، ما هي الدنيا كده - ما اعرفش.. وأنا بأحس قوى لأني أخذت خطا معينا ولا أزال عندى القناعة بأن هذا الخط هو أسلم خط.

مش كده والا إيه؟

والله إذا حد كتب كلام غير صحيح أنا ما بكلفش نفسى أنى أرد لأنى رايح أرد وبعدين يترد على .

الحملة الصحفية ضدنا .. لماذا؟

يعنى عملية الصحافة عملية سيئة جداً للأسف الشديد والناس اللى فيها أو بعض الناس سيئين للغاية بحيث إنهم عايزين من خلال الكلمات السيئة أنهم يعنى يتسمعوا أو يشتهروا ، أو شىء من هذا القبيل .

جلال : للأسف الشديد هى دى الصحافة اللى غير أمينة - موش الصحافة الوطنية .

زكريا : طيب وهى فين الأمانة بقى - أنا عمال كل يوم أشوف فى أى صحيفة من الصحف أنك تلاقى أمانة معينة إلا كاتب أو اثنين أو ثلاثة اللى هم ملتزمين حقيقة بقواعد الأخلاق والأمانة والكلام اللى إحنا بنسمعه غير كده لدرجة إنه أنا بقيت أقول هى وصلت إلى هذا الإسفاف . . طيب يا أنور هو أنت سعيد إنك تشوف إخوانك يتبهدلوا فى الصحافة - على صفحات الجرائد - إزاى أنت تقبل على نفسك هذا وبعدين إحنا ما أسأناش إليه . . إحنا ما فيش مشكلة بيننا وبينه . . يعنى قصة المذكرة وهو أخذها بمعنى وحش وهى ما لهاش المعنى الوحش . . إنما هى لها موقف وطنى وقومى وتاريخى . . هو خدها بمعنى وحش وانتهت المذكرة . . طب ليه . . هو بيسعد بهذا؟ هو عايز يقول إن دى حرية صحافة وهو ما يقدرش يتدخل؟ طيب ليه قفل الطليعة . . أنا امبارح قرأت روزاليوسف عبارة عن نسخة أخرى من المصور - استغربت أنا بقدرة قادر تحولت إلى مصور - الله إزاى؟ إذن هو بيقدر يعنى؟

التعذيب .. وسنوات النقاء الثورى!

أيام إحدى القضايا بالمحكمة العسكرية طلبونى كشاهد دفاع فقلت لهم يا جماعة أنا مش جاى . . أنا ما باجيش وما عنديش كلام لكم وطبعا شفت أنت الجواب اللى أنا بعته وأصرت المحكمة إنه لازم تحضر .

طيب يا سيدى أنا لما أقول لأ وأعتذر أنا لى حق . . لأ أمر المحكمة لازم ييجى . . مش معقول الكلام ده . . دول متفقين مع المحامى - محامى كده فك من المعاش كان نائب أحكام وجى عايز يشتهر على حسابنا . . وما اعرفش مين اللى وزه والا مين حرضه - عموما العملية كانت سخيفة جداً أيامها . . رحت باعت جواب فيه لون سياسى معين لأنى شفت العملية قبلها بسنة أو بستة أشهر وهم نازلين علينا هجوم . . واحد صحفى يكتب - هل يقف زكريا محيى الدين وحسين الشافعى أمام المحكمة العسكرية؟!

وإيه؟ - ما نشيت - إيه اللى يتفهم من ده . . يا ترى شاهد والا متهم - أهو الغرض أنت فاهم بقى . . وبعدين جوه كلام كتير عن القضية ويتخلل الكلام جملة تقول (والمعروف أن زكريا محيى الدين ويكاد يقول عصابته) ومجموعة من العاملين فى المخابرات أو شىء كهذا مرتبطين معاه يعنى شلته حاجة زى كده كانوا يديرون جهاز تعذيبه فى المخابرات - فى سنة ٥٣ - بيتكلم عن أى وقت؟ وقت أمجاد الثورة . .

وأنت فاهم إزاى . . هذا هو الوقت النقى الطاهر . . المدة الطاهرة فى أيام الثورة اللى هى من ٥٢ إلى حرب ٥٦ حاجة زى كده . . فترة النقاء الثورى . . يقوم يقول جهاز تعذيب . . إيه ده . . كلام عيب - أعمل إيه يعنى . . أرفع عليه قضية . . طبعا رايح أكسبها مش كده والا إيه - لكن الموضوع مش كده أنا قلت طبعًا هدفهم إن إحنا نتجرجر للمحاكم . . والمحامين يقعدوا يشتموا فينا والجرايد تنشر كلام المحامين . . وما ينشروش كلامنا إحنا . . وتمشى العملية بهذا الشكل .

تركت السلطة .. وأنا فى القمة!

إيه الهدف إحنا بعيدين ولا طامعين فى الحكم ولا أى حاجات ما هو تركنا الحكم . . لقد تركنا الحكم وبإرادتنا عندما كنا فى قمة السلطة . . أنا كنت نمرة اتنين بالنسبة للسلطة فى وقتها وتركت السلطة - طيب إيه المطلوب مننا . .

جلال : لأ ، أبدا هذه التوجيهات من الناس اللى حول أنور .

زكريا : طيب هو أنور ما قرأش هذا الكلام . . هل هذا معقول . .

والله العظيم ما اتهزت شعره فى جسمى .

جلال : أنا أعرف إن فيه ناس بينقلوا له شخصيا كلام إنك أنت لك غرض خاص ، أو الخطورة الوحيدة منك .

زكريا : طيب الغرض ده يتحقق إزاى . . مش بنشاط . . أنا لا أباشر أى حاجة . . أنا من المزرعة للبيت هنا . . ولى بعض أصدقاء قلائل باشوفهم - وفيه كتير قوى من الناس ماباشفهمش - فيه ناس كتير خالص أعرفهم . . ولكن ما باشفهمش خالص .

جلال : متى سمعت أنك خلف موضوع كمال حسين؟

زكريا : العملية الأخيرة دى؟

جلال : أنا أقسمت أنه لا دخل لك فيها ولا كنت تعرف حاجة عنها .

زكريا : يعنى أنا أى قصة مضادة له مثلا . . أو تتعبه أبقى أنا اللى وراها؟!

جلال : المصيبة فى اللى حواليه . . هم اللى بيقولوا كده!

زكريا : موضوع كمال حسين ده أخيرا . . لكن الكلام ده كتب قبل موضوع كمال حسين!

وقال : وهو أنا رايح أتحكم فى كمال حسين - وهو يعلم مين هو كمال حسين واستقلال رأيه وبعدين أنا مش مختلط بكمال حسين . . هو وبغدادى صحيح فيه صداقة ومختلطين ببعض من أيام ما تركوا مع بعض أو فى الفصل الزمنى اللى كانوا فيه مع بعض .

جلال : حتى أنت سألتنى عن مقابلة عبد اللطيف للريس وقلت لى عبد الرءوف نافع هو اللى يعرفها لأنه دايما مع بغدادى .

زكريا : لغاية ما شفت بغدادى فى معزى مش عارف مين . . فحكى لى قصة المقابلة . . أما قبل كده ماكنتش أعرف حاجة . .

جلال : هو اللى طلب المقابلة ولا الريس دعاه؟

زكريا : بغدادى هو اللى طلب . . بس ما قابلوش إلا بعد ما انتهت عملية

الفصل ـ لكن كان عايز يروح يقوله برضه علشان مافيش داعى للفصل ـ فحكى له أنا كنت عايز علشان كذا وكذا . .

يعنى أنت فاهم يعنى ـ وإن إحنا كنا لما بنطلب نقابل جمال عبد الناصر كنا بنقابله على طول ـ ولكن لما بنطلب علشان نقابلك ما حدش بيسأل عنا ـ وكلام كتير بهذا المعنى . .

وقال له صورة الموقف السياسى وإنه كان أفضل كذا وأفضل كذا . . يعنى الوقت كان متأخرا لأن كان القرار صدر بالفصل .

***

جلال : على العموم هم نادمون النهارده على عملية الحكم فعلا لأن عملية الفصل والمخالفات القانونية والحاجات دية كلها أكسبت كمال شعبية أكثر مما كان ـ يعنى جاءت عكسية لصالح كمال .

زكريا : مش فى صف كمال أو لصالحه ـ هى يعنى غيرت من الثقة فى الخط والشعارات اللى بينادى بيها النظام بالنسبة للديمقراطية والحرية والكلام ده بغض النظر عن حب الناس وكراهيتهم بالنسبة لكمال حسين كشخص ـ ما هياش العملية أنه أخذ شعبية ـ وهو طبعا خد شعبية فى أوساط معينة ما فيهاش جدال ـ بس مش هو ده الموضوع ـ الموضوع الصورة الأخرى ـ الصورة الأخرى حقيقة لابد أنها تكون أتعبت النظام ـ يعنى الخط والإجراءات اللى مشيوا فيها كانت خاطئة من الأصل لأن نقطة البداية فيها هى عملية الفصل ـ فصل أو عدم فصل ـ وبعدين ما يتبع هذا من إجراءات واضطروا في النهاية علشان حكم المحكمة أنهم يجمعون الناس الساعة ١١ حسب عبد اللطيف بغدادى ما قال لى ـ الساعة ١١ بالليل جمعوا مجلس الشعب وطلعوا القانون علشان واحد وبعدين خسروا ـ خسروا القضاء كمان ـ رجال القضاء بيتكلموا وبيقولوا موظف واحد مش دائرة كاملة ـ اللى هو بدوى حمودة يصدر قرارا بإيقاف أحكام المحاكم ـ إيه ده؟

الجزء الثالث

موقف محمد نجيب من الثورة!

** لا يزال الحوار متواصلا مع الرجل الصامت زكريا محيى الدين الذى يعتبره الكثيرون من أخطر رجال ثورة يوليو ١٩٥٢، بحكم دوره والمسئوليات التى تولاها، وموقعه فى قمة السلطة.

ماذا يقول عن محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر؟ الذى لم يعرف الناس غيره عندما سمعوا بالثورة. والذى أمضى سنوات طويلة حزينة فى الإقامة الجبرية.

هل كان له دور فى الثورة؟ وماذا كان موقفه ليلة الثورة؟

أيضًا.. كيف انضم الرجل الصامت إلى مجموعة الضباط الأحرار؟ وماذا كانت مهمته بالضبط فى الليلة التاريخية.. ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢؟

أيضًا.. ما هى ذكرياته عن حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، باعتباره واحدا من المحاربين القدماء؟

ثم ما حكاية عملية التسلل التى قام بها، هو وصلاح سالم، خلف خطوط العدو الصهيونى. للوصول إلى القوة المصرية المحاصرة فى «الفالوجا»؟

أيضا.. حكاية البغال الثلاثة التى أسرتها إسرائيل خلال عملية التسلل، والتى كانت تحمل بعض الأدوية والذخيرة؟

كثيرة، هى التساؤلات التى يضع الإجابة عنها الرجل الصامت، فليتكلم..

ويقدم شهادة للتاريخ.

* يبدأ جلال ندا الحديث بالسؤال: متى تعرفت بالضباط الأحرار. . أو متى انضممت إليهم؟

زكريا: لأ، أنا موش حاتكلم فى هذا الموضوع . . لا . . لا . . أنت عايز تاخد تاريخ منى؟ أولا إيه هو الموضوع؟ أنت رايح تكتب تقول إيه . . فهمنى؟

جلال: رايح أكتب نقطا فى التاريخ . . النقطة الغامضة حتى الآن على الشعب . . تصحيح أوضاع فى التاريخ.

زكريا: يعنى رايح تحكى قصة زكريا محيى الدين مثلا؟

جلال: لأ، مش قصته.

زكريا: تكتب مسار الثورة . . إذا كتبت عن مسار الثورة فسوف تتعرض لأسماء . . مش اسمى لوحدى . . أسماء مختلفة . . وإلا يبقى الحديث منى أنا «ممكن تتكلم فى المسائل دى . . لكن أنا ما اقدرش أدخل فى تفاصيل تقتصر على شخصى أنا فقط».

جلال: طبعا منك شوية ومن عبد اللطيف شوية ونجيب . . وخالد.

الضباط الأحرار وبداية الانضمام

والسؤال الآن: ما حقيقة موقف محمد نجيب هل حقا كان لا يعرف شيئا عن الثورة إلا ليلة الثورة؟

زكريا: أنا ماكنتش فى الهيئة التأسيسية أنا كنت ماسك القاهرة . . منطقة القاهرة . . أنت عارف طبعا إن أنا لما انضميت ونتيجة للخلافات فى الهيئة التأسيسية اتفق على عدم ضم أسماءجديدة . . علشان يبقى العدد ثابت كما هو . . لأنه كان فيه شد وجذب وأنت عارف طبعا القصة اتحكت عن الجماعات اللى كانت موجودة داخل الهيئات الثقافية . . يظهر إن آخر واحد انضم كان أنور . . مش كده؟ . . بعدها يظهر إنه تم الاتفاق على أن لا نضم أكثر من كده، ، فاحنا دخلنا فى العملية فى المناطق يعنى . . حسين (يقصد حسين الشافعى) مثلا كان احتياط . . وما فيش حد يعرف عنه حاجة لدرجة أنا ماكنتش أعرف عنه حاجة إلا فى الشهور الأخيرة لما

الثورة بدأت تتعرض لأخطار معينة وحصل كلام عن أسماء وكشوفات وحاجات زى كده . . ووصل إلى علم جمال إن اسمه وبعض الأسماء الأخرى اتعرفت وفيه نية إلى اتخاذ إجراءات . . حاجة زى كده بالقوة . .

أنا وقتها كنت فى كلية أركان الحرب وحسين كان فى الفرسان، ويسيطر فى قوة معينة . . حسين بالذات! أنا كنت متصل بباقى الوحدات . . لم يكن لى أنا شخصيا وحدة . . ولكن أنا كنت متصل بقيادات الوحدات سواء كانت فى خدمة الجيش أو فى الكتيبة ١٣ أو المجموعات دى كلها . . بعد كده أنا كنت باجتمع فى بيت مجدى حسنين مع بعض المندوبين من الوحدات من المدفعية أو خدمة الجيش أو من الكلية الحربية، ومن الوحدات المختلفة وبين كل فترة بنحاول أن نقيم مدى قدرة القوة التى انضمت إلى الثورة . . كان نمو هذه القوة هو الأساس اللى بنعتبره حدا فاصلا ما بين العمل السلبى والعمل الإيجابى . . لأنه إذا ضمينا قوة مناسبة يبقى نقدر نقوم بحركة . . فهذا هو الوضع بالنسبة للسؤال بتاعك، لكن يمكن أنا شردت شوية فى تفاصيل معينة ولكن أنا لم أكن فى الهيئة التأسيسية ولكننى كنت ماسك عملا آخر .

الانتخابات .. ضد مجموعة الملك!

أنا طبعا كنت فى نفس الوقت معرض للأخطار لأنى أنا تطوعت للترشيح فى انتخابات نادى الضباط ضمن المجموعة المتحدية مجموعة الملك وقد حصلت على المجموع الثانى للأصوات - يعنى أنا لا اعتبر هذا شيئا كبيرا . . ومبرراته أو أسبابه أنه كانت عندى فرصة الخدمة فى الكلية وعلمت ضباط كتير . . فهذه أعطتنى فرصة إن كثيرين من الضباط الصغار أعطونى أصواتهم - طبعا أنا فى خلال هذه الفترة كنت معرض زيهم ولكن يعنى أنا ما أعرفش اللى كان رايح يحصل إيه . . وهل اسمى كان موجود والا لأ . . إنما جمال كان عنده معلومات بأن فيه كشف كتب أنا لا أعلم حقيقة عما إذا كان اسمى ضمن هذا الكشف أو لأ - جمال علم على ما أظن عن طريق أحمد أبو الفتح الذى عرف عن طريق واحد قريبه من ضباط البوليس اللى كانوا بيعملوا فى السراى - وكمان مصادر أخرى مختلفة . . قيل إنه كان فيه إجراء

تنوى السراى أن تتخذه مع تغيير الوزارة الأخيرة اللى هى بتاعت نجيب الهلالى اللى حصلت الثورة وقتها .

محمد نجيب .. والدور البطولى !

أما قصة نجيب كما نقلت أو كما سمعتها لأنى أنا لم أحضر هذه الاتصالات أنا فهمت أنه ما كانش يعرف موعد الثورة ـ واتحركت عربية أحضرته من البيت ـ وقد كان هنا اتصال معه من قبل . . ويمكن أنت كنت حاضر هذا الاتصال فهو كان موافق على أنه يمشى مع المجموعة . . ولكن لم يدخل فى التفاصيل التى وضعت وهذا انكتب قبل كده وأظن أن أنور برضه تعرض لهذا الموضوع فى جريدة الجمهورية . . يمكن كان فيها شىء من التزيد . . ويمكن كان فى وقتها لظروف إقالة نجيب وكده . . ولكن هو ده الوضع . . هل يوجد شىء غير واضح بالنسبة لموضوع نجيب؟

جلال : قيل إن نجيب كان لا يعلم شيئا عن الثورة وإنكم أحضرتموه ليلة الثورة فقط .

زكريا : لا يعلم؟ ! مين اللى قال الكلام ده ! بالعكس قالوا إنه حدث اتصال مع فؤاد صادق وقد رفض . . أنت عارف القصة إن فؤاد صادق قد رفض . . ونجيب وافق . . يعنى النقطة ديه مسلم بيها . . ما حدش قدر ينكرها .

جلال : هذا يؤكد إنه كان له دور . . لأنه لو حصل شىء لا قدر الله كان هو أول من ستقطع رقبته . . يعنى دوره كان بطوليا .

زكريا : هو حد ينكر هذا . . إزاى ما كانش له دور . . مجرد الاسم والوظيفة والرتبة القيادية تخلق مسئولية كبيرة جدا .

دورى .. ليلة الثورة

أما بالنسبة لدورى أنا بالذات . . فأنا لم يكن لى قوة لأنى كنت فى كلية الأركان . . لكن أنا مثلا اللى أعطيت التعليمات أو شرحت الخطة فى منزل خالد محيى الدين فى مصر الجديدة .

جلال : أنا أعرف أنك كنت تدير غرفة العمليات؟

زكريا : لأ ، معلهش أنا باتكلم من الناحية التعرضية . . أنا وكل المندوبين موجودين قمت بشرح الخطة وبعدين أنا اللى مريت . . كانت مسئوليتى قشلاق العباسية فمريت فى القشلاق وذهبت لكل وحدة . وشافونى كلهم . . وكنت ألفت نظر الضباط إذا وجدته تأخر عن موعد التحرك وهكذا . . وبالقياس ده علشان أنا ما عنديش وحدة فهل يعفينى ذلك من المسئولية . . لأ ، بالعكس . . مسئوليتى تكون أكبر وهذا تصورى .

وعاد يقول إنه ولا شك دور نجيب . . بس هى مشكلة نجيب أنت عارف إنها مشكلة سياسية . . لأنه أخذ خطا منفصلا فى فترة من الفترات وهذا الخط يمكن تكون له مبرارته ويمكن مجموعة الثورة لها مبرراتها . . ده دائما يحصل فى الثورات . . يحدث تجميد لبعض الإخوان اللى قاموا فى عمليات الثورة .

محكمة الثورة.. لماذا؟

جلال : من كان صاحب فكرة تشكيل محكمة الثورة؟

زكريا : أنت عارف إن مجلس القيادة تطور إلى أن يكون مجلس الثورة وطبعا هو مش مجرد تغيير فى الاسم . . يعنى خط جديد بيعطى الثورة أو مجموعة الثورة الفرصة فى إجراءات معينة استثنائية وتعتبر لها الصفة الشرعية . . طبعا فيه مستشارين كتير نصحوا بهذا بكلمة الثورة علشان ما تبقاش العملية خاضعة للدستور العادى يعنى مجموعة الثورة تكون هى السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية ، وبعدين كلمة الثورة فى حد ذاتها بتعطى إيحاء بإجراءات استثنائية فوق العادة . . مش عادية . . فوق العادة .

حصل نشاط من جانب الجماعات السياسية القديمة وعلشان الثورة تواجهها وتكشفها حصل تفكير فى تشكيل محكمة لمحاكمة الناس دول اللى لهم نشاطات معينة وسميت طبعا بنفس الاسم اللى الثورة اتخذته كشعار . . يعنى «ثورة» . .

وكان الهدف منها هو كشف النظام القديم مش محاكمة أشخاص بذاتهم بدليل إن أكثرهم بعد كده أفرج عنهم وانتهت العملية.

جلال: كانوا بيحاكموا طبقا للقانون العسكرى والا القانون المدنى؟

زكريا: هى لها سلطات غير محددة.. وهى لها قرار تشكيل يمكن الرجوع إليه على كل حال على ما أذكر الآن.

جلال: عام ٤٨ فى حرب فلسطين سيادتك ذهبت إلى الفالوجا أنت وصلاح سالم فماذا كان الهدف الأساسى؟

مهمة خاصة.. فى حصار الفالوجا:

زكريا: قصة الفالوجا باختصار.. أنا نزلت أجازة فى الأول وفى ١٦ أكتوبر حصلت ثغرة فى التقاطع والقوات اليهودية مرت وعملت حصار وابتدت تهدد القوات الخلفية لقوات الجيش المصرى، فلما رجعت لقيت وحدتى منفصلة بالفالوجا.. وهى الكتيبة الأولى.. وأنا كنت أركان حرب الكتيبة ومش رايح أقدر أوصل لها.. فبقيت أنا فى اللواء الثانى كأركان حرب اللواء، وكان اللواء الثانى مركزه فى المجدل ولن نستطع الوصول إلى المجدل عبر طريق البر فركبنا مركب توصلنا للمركز وقد تعرضت لضرب مدمرة إسرائيلية، وجاءت طيارة مصرية تضربها فانضربت الطيارة المصرية على ما أذكر هذا جيداً.. ولكن أمكن لقائد المركب وهو لا يحمل إلا مدفع اتنين رطل بدون ناشنكاه ـ تصور!!!

وكان الأولاد البحارة يوجهونه كده بالتقدير ـ أنا فاكر كده لغاية ما وصلنا ـ وقد اضطر قائد المركب العودة بسرعة لأنه لا يستطيع أن يقف مدة طويلة لأن المدمرة واقفة له تهدده فرمى كل براميل البنزين وكل البضاعة اللى كان ناقلها فى البحر ونزلنا إحنا فى مراكب صيد نقلتنا إلى المجدل، قعدنا فى المجدل فترة بسيطة وبعدين تقرر الانسحاب إلى غزة فانسحبنا عن طريق الشاطئ وهذا طريق صعب جدا والعربات كانت بتغرز فيه لأن الطريق الرئيسى كان مقطوعا.

وصلنا إلى غزة وكنا بنعمل فى قيادتها.. اللى حصل بعد كده ـ وأنا قاعد ـ

حصل اتصال واستدعاء من فؤاد صادق يستدعينى إلى رفح فركبت العربية ورحت، فقال لى أنا عارف إنك أنت أصلا من قوات الفالوجا وأنا عايز أبعتك علشان تعمل اتصال بإخوانك هناك وتشوف لى حقيقة الموقف إيه، ودية تكون تجربة لإرسال بعض أنواع الذخيرة والأدوية المحدودة من غزة، وإذا نجحت هذه التجربة سوف نستطيع إرسال إمدادات أخرى للقوة المحاصرة بالفالوجا. ومن ناحية أخرى تشوف لنا إيه وتعطونا خبرا لأن اللاسلكى كان بيعمل، وفى نهاية الكلام قال لى إن الأخ صلاح سالم يكون معاك.

عملية التسلل.. والبغال الثلاثة:

أنا طبعا رحبت وقلت له فى الحقيقة أنا كنت قاعد بدون عمل هنا ويسعدنى أن أنضم إلى إخوانى الذين حاربت معهم، وهذه فرصة لأن أروح وأشوف الموقف هناك وأقف معهم فى هذه الظروف اللى بيمروا بيها ولم أعمل أى ترتيب لأنهم قالوا إن المخابرات هى التى أعدت الخطة لتوصلنا إلى الفالوجا.

حقيقة الخطة لم تكن مدروسة كويس وإحنا قالوا لنا اذهبوا إلى الكيلو كذا على الأسفلت شمال غزة تجدون هناك ضابط المخابرات وهو سوف يعطيكم التعليمات. . وبسرعة لبست ولم أصحب معى شىء غير الطبنجة فقط. . ولما وصلنا لقينا ثلاثة بغال بيحملوا بعض الأدوية وبعض ذخيرة المورتار وبعض ذخيرة أخرى، فأنا قلت إن الكمية دى لا تساوى شيئا بالنسبة للدورية.

كما أعطونى فلوس فى ظرف علشان نوصلها لأن السيد طه الظاهر كان طالب فلوس عشان يصرف على الناس الموجودين هناك لأنه عندما يشترى شيئا يضطر يدفع ثمنها على طول، وقد وضعت الفلوس طبعا فى جيب البنطلون وكان فيه ثلاثة أولاد من العرب يقودون البغال كأدلاء لأننا لم نكن نعرف شيئا عن الطريق.

قصة الرحلة طويلة. . كان مفروض نقضيها فى ليلة واحدة. . لكن قضيناها فى ليلتين لأن المسافة أطول. . وكان ضابط المخابرات الذى قابلناه هناك محمود رياض بتاع جامعة الدول العربية. . فمشينا فى الرمال على الساحل حتى دير سنيد

فتعرضنا لناس كانوا بيسرقوا القرية والله كانوا رايحين يطخونا بالنيران لولا أنهم عرفوا أننا مالناش دعوة بالموضوع ده . .

ومشينا فى خيران . . الغرض أخذت ليلة وفى الليلة الأخيرة جينا نعدى من الاستحكامات بتاعة اليهود . . كان أياميها مطر وغيام فتصادف فى الوقت ده انقشاع الغيام . . وكانت ليلة أربعة عشر يعنى القمر كامل فانكشفنا ونزلت علينا عربية بالرشاشات فالأولاد سابوا البغال وجريوا ، اضطرينا إن إحنا نختبئ فى بعض الخيران ودخلنا الصبح .

تقييم الوضع تحت الحصار:

كان الهدف من العملية تقييما حقيقيا عما إذا كان الانسحاب ممكن أو غير ممكن ومدى إمكانية القوة - وأنت طبعا تعرف إننا درسنا الموقف هناك - أرسلنا وقلنا الانسحاب صعب والقوة فى ظروفها الحالية لو انسحبت بدون أسلحتها فالروح المعنوية بتاعتها راح تتدهور ويمكن أن إسرائيل على المسافة الطويلة تقوم بمتابعة القوة ويشردوها . . ويبقى المنظر العام للجيش المصرى منظر سيئ جدا لأن تقريبا البنزين كانت كميته بسيطة ، وبعدين كان لازم القوة ستدمر سلاحها ، والتدمير طبعا راح يفضح العملية . . ممكن تسيب جماعة مؤخرة علشان تدمر فى الآخر ، لكن برضه اليهود رايحين يحسوا بينا وإحنا خارجين لأن النقط بتاعتهم على بعد ٦٠٠ متر وكل يوم كانوا بيعززوا النقط دى . . واقترحت على القائد العام فؤاد صادق إن احنا نستمر قاعدين مع القوة ما نقدرش نرجع لأن رجوعنا سيؤثر على المعنويات . . ولرفع الروح المعنوية نرى أن نستمر موجودين .

أما عن عمليات التسرب وإمكان تهريب بعض الأشياء . . قلنا له برضه عمليات تسلل ممكن أن تتم بواسطة ناس شايلين المواد على أكتافهم ، ولكن يكتفى بالأشياء الضرورية والحيوية جدا لأن إحنا وجدنا فيه كمية قمح فى البيارات هناك تكفى القوة الموجودة هناك مدة ثلاثة أشهر أو أكثر ، والمياه متوافرة ، وكذلك الذخيرة لمعركتين أو ثلاث معارك ممكن . . وقد قصدنا بالحاجات الحيوية الأدوات الطبية بالذات .

الشاكوش الخشب.. للتخدير!

وقال عندما وصلنا لقينا حتى المواد المخدرة للعمليات ناقصة . . وكان الدكتور يضطر أن يستخدم حاجة زى شاكوش خشب يضرب بيه الجريح على رأسه علشان يدوخ قبل أن يجروا له العملية .

هذه كانت الصور باختصار .

جلال : السيد طه وإبراهيم بغدادى كانوا فهمونى أنكم قمتم بالدورية مخصوص علشان تجيبوا لى أدوية وآلات جراحية وذلك بعد رفضى التسليم كأسير حرب للعلاج؟

زكريا : آه معلهش ده كلام كويس وحلو بالنسبة لك . . لازم يتقال كده بالنسبة لظروفك يعنى ، لكن أنا باكلمك على الفرض العام يعنى . . وأنت لم تكن الجريح الوحيد . . ده إحنا رحنا لقينا المستشفى مليانة جرحى .

جلال : قالوا لى إن فؤاد باشا صادق عمل ترتيبه وأرسل دورية علشان تحضر لك آلات جراحية وعلشان كده أنتم لما اتأخرتم يومين أنا كنت متضايق جدا وكنت باعتبر أننى السبب الرئيسى فيما حل بكم وقالوا اليهود عثروا عليكم واستولوا على البغال .

زكريا : فى ليلتها إذاعة لإسرائيل أذاعت خبر أسر بغال ومواشى وهيصت . . لكن ده ماكانش صحيح بالنسبة لنا بالذات لأن إحنا تمكنا من دخول الفالوجا فى الصباح .

الجـزء الرابـع

رأى .... فى ثورة التصحيح!

ويأتى الجزء الرابع فى حوار الرجل الصامت زكريا محيى الدين وفى هذا الجزء يضع زكريا محيى الدين النقاط على الحروف بالنسبة للعديد من القضايا والوقائع المهمة.

ما حقيقة الاتهامات أو الشائعات التى وجهت للبعض بالعمل لحساب الروس، والبعض الآخر بالعمل لحساب الأمريكان؟ ولماذا يقولون عنه إنه صديق الأمريكان؟ ومتى بدأ هذا التصنيف بالنسبة لبعض الشخصيات التى ارتبطت بثورة يوليو؟ وما الذى حققه من وراء صداقة أمريكا، عندما كان نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا لمجلس الوزراء؟ أيضا، ماذا يقول عن قرار عبد الناصر بسحب القوات الدولية سنة ١٩٦٧، والذى كان مقدمة الحرب أو الكارثة التى وقعت فى ٥ يونيه ١٩٦٧؟ وهل استشار عبد الناصر بقية رفاقه قبل صدور هذا القرار؟ أيضا، هل صحيح أن أعضاء مجلس الثورة القدامى طالبوا باستبعاد القيادات التى تأكد إهمالها فى حرب ٥٦؟ ومن الذى أصر على بقائها؟ أيضا، ماذا يقول زكريا محيى الدين عن حركة ١٥ مايو؟

تكلم الرجل الصامت.. ليقدم شهادته للتاريخ.

* يبدأ جلال ندا بالسؤال:

يقول: فيه كلام أن على صبرى كان عميلا روسيا.. بينما أنت بالذات كنت حليفا لأمريكا.. يعنى صديق.. يثقون بك زى شاه إيران.. يعنى يعتمد عليك كصديق حتى رئيس المخابرات السابق كان أعلن أنه من بين الأصدقاء المخلصين زكريا محيى الدين.. فما تعليقك على هذا الكلام؟

زكريا: أنا ما أقدرش أتهم أى واحد بالعمالة . . لا على صبرى ولا غير على صبرى . . موضوع الصراع السياسى شىء والحقيقة شىء آخر، لأنه فى الصراع السياسى دائمًا الناس بتتهم بعض بالعمالة وبغير العمالة وكون ـ مثلا ـ على صبرى عنده قناعة بالتعامل مع الاتحاد السوفيتى فهذا موضوع غير موضوع العمالة ـ لأن العمالة معناها إنه يغلب مصالح تلك الدولة على مصالح دولته . . وأنا باستبعد هذا الموضوع بالنسبة لأى شخص إلا إذا كان واحد بيتقاضى مرتبات . .

شوفوا بقى مين اللى بيقبض مرتبات . .

أيام الله يرحمه جمال عبد الناصر هو اللى ساعد على هذا المعنى . . إنه ابتدأ يدى فى خطاباته إيماءات باليسار واليمين فثبت هذا المعنى على غير الواقع . . يعنى بالنسبة لعلى صبرى أنه يسارى وزكريا اليمين . . فى حين أن الكلام ده ما كانش حقيقى إلى حد كبير . .

إنما يظهر هو استفاد منه من الناحية السياسية بالنسبة لعلاقاته مع الدول الكبرى . . أنا علاقتى مع الأمريكان علاقة نشأت مع بداية الثورة ولم أكن أنا لوحدى أعبر عن هذه العلاقة . . بالعكس النظام كله كان علاقته بالغرب علاقة وثيقة . .

أول الثورة لما قامت كانت أول سفارة ذهبنا إليها علشان نؤكد حسن النية كانت السفارة الأمريكية . .

مجلس الثورة أوفد اثنين من أعضائه عبد المنعم أمين وأنا وقابلنا كافرى علشان نؤكد أن الثورة لا تقصد الإضرار بالأجانب وأنها مسيطرة على الموقف وأنها تهدف إلى السلام الآمن . . وكده . . وكنا نرى إن إحنا لا نوصل المسائل إلى الموقف الذى يصعب فيه التفاهم وإننا نضغط على نفسنا من جانبنا مع المحافظة على كرامتنا، وعلى وطنيتنا وعلى قوميتنا وكل شىء بدون ما نعطى فرصة للسيطرة الأجنبية .

ومن هنا كانت دائمًا مشكلتى مع الأعضاء ـ أنت عارف يعنى مشكلة الاقتصاد ـ أنا كنت دائمًا مؤمن أن القوة الاقتصادية تمكنك من الاستقرار السياسى وإذا أنت مديت إيدك باستمرار لابد فى النهاية أنك تخضع نتيجة الحاجة إلى الدولة

الكبرى . . وأنت عارف دلوقت لا فيه جيوش أجنبية بتحتل ولا حاجة . . وأنا فى الجهد اللى بذلته فى ٦٥ ، ٦٦ كنت أهدف منه إلى توفير الطعام ـ طيب أنا عملت الثورة ليه؟؟!! وحررت فى ٥٤ اتفاقية الجلاء وفى ٥٦ تنفيذ اتفاقية الجلاء بدل من الاحتلال العسكرى لمدة سبعين سنة . .

ده ما كانش الموضوع بس . . دا أنا لازم أنمى بلدى مش حاقدر أفضل كده وما أقدرش أمد إيدى . . ليه أخضع وأفرط فى حقوق معينة لازم أحافظ عليها من الجانب الآخر ـ فهذا هو الاتجاه والعقيدة اللى أنا بأدين بيها ـ يعنى أنا لما عينت رئيس وزارة سنة ٦٥ ، ٦٦ لقيت علاقتنا قد تدهورت إلى حد غير معقول . . فقلت ما نقدرش نستمر بنفس الأسلوب . . ولازم نلم نفسنا شوية بالنسبة لظروفنا الاقتصادية . . وابتدأت أواجه الاقتصاد مع تحسين العلاقات .

صديق لوطنى.. أولا

وقال : أنا حاولت أحسن العلاقة مع أمريكا مش لأنى صديق لأمريكا ـ لأ ـ لأنى أنا صديق لوطنى قبل كل شىء . . وفاهم أنى إن أمكن آخذ بعض الامتيازات من الأمريكان خلال تلك الفترة . .

هم كانوا محددين اتفاقية القمح وما رضيوش يجددوها فى يونية ـ فأنا أمكننى أنى أجددها وكان فيه موضوع تعويض بتاع المكتبة الأمريكية «شوية حاجات كتيرة» أنا مثلا لقيت حقل مرجان اللى هو العنصر الأساسى فى تموين البلد بالبترول . . البترول جاهز ولكنهم موقفين بقه ـ ما أعرفش التعقيدات ديه كان سببها إيه ـ هل إهمال؟ هل مسائل تتصل بالنزاهة؟ ما أعرفش . . إنما أنا ماشيتها وجابت دخل للبلد ضخم جدا ملايين الدولارات وإحنا كنا فى شدة الحاجة لها .

أنا ما أعرفش أن رئيس المخابرات قال حاجة زى كده ـ أنت جبت الخبر ده منين؟

جلال : أنا فاهم ده أخيرا بعد ما ساب المخابرات وده قاله السنة الماضية .

زكريا : ده مين؟ هو مش مات والا ماماتش آلان دالاس . . لأن إحنا وقتنا كان آلان دالاس .

جلال: لأ، اللى بعده - مش آلان دالاس.

زكريا: فى وقت السادات ما هو موجود؟

جلال: أيوه..

زكريا: غريبة إن السادات صداقته مع أمريكا صداقة وثيقة دلوقت - هم بطلوا الكلام بالنسبة لاسم زكريا محيى الدين على أساس إن فيه شخص مريحهم يعنى.

لغز سحب القوات الدولية؟

جلال: سيادتك المرة الماضية قلت:

إنه ما كانش فيه نية عدوانية على إسرائيل - إذن لماذا سحب جمال القوات الدولية؟

زكريا: ما هو ده موضوع لغز لحد الآن.. وأنا قلت لك الدور اللى فات مش عارف قلت لك والا قلت لحد تانى - أنا قعدت أفكر وأفكر وأحلل وأمحص فلم أستطع أن أصل إلى نتيجة معينة، وأنا بأرجعها إلى مرض السكر اللى هو كان بيعانى منه فى السنين الأخيرة لأن جمال بتكوينه وطبيعته حاسم - فإزاى فقد الحسم فى الحكاية دى لأن أى شخص متوازن لا يمكن أن يقوم بهذا العمل.

جلال: فى الكنيست قالوا - قفل خليج العقبة معناه إعلان حرب علينا.

زكريا: لأ، أنا باعتبر سحب القوات الدولية هى نقطة البداية فعلا - سحب القوات يترتب عليه أوتوماتيكيا.. آليا.. لازم يحط قوة له - وحط ورفع العلم المصرى.. إزاى يسيب سفينة إسرائيلية تمر أمامه - المسائل مرتبة على بعضها.. فهى خطوة سحب القوات وبعدين ما أخدش رأينا بعكس صلاح نصر ما بيقول إنه استشارنا - هو ما شارناش - هو أفدنا - هو جمع اللجنة التنفيذية العليا فى بيته وأفدنا باللى حصل إحنا ده قرار واقع - المسألة مش محتاجة مناقشة - ده موضوع كان تم.

جلال: طيب فيه نقطة حساسة جدا فى حرب ٦٧ من الذى أعطى أمر الانسحاب؟

زكريا: أنا ما أعرفش صلاح نصر بالذات أن السنين طالت والا الذاكرة ضعفت؟ لأنى أنا بطبيعتى رجل عسكرى ودراستى العسكرية على مستوى عال حتى فيه ناس بيقولوا إزاى إحنا ننسحب؟

ده أنا باقول إنه كان لازم الانسحاب والا الجيش بتاعنا كان تفتت . . ده إحنا قدرنا ورغم أن الأسلحة تحطمت وفقدنا أعداداً كبيرة من السلاح والعتاد، لكن الناس المدربين لا يمكن تعويضهم وقد أمكن إنشاء جيش جديد ـ ولكن لو كنا قعدنا كان الجيش أصبح كذا فالوجا .

يعنى أخش لك فى التفاصيل شوية يعنى ـ رايح أصور لك الموقف ـ أولا بأرجع للحرب العالمية الثانية وحرب الصحراء الغربية . . كان فيه جيوش اللى كان ينضرب الطيران بتاعه ياخد بعضه ويجرى بالثلاثة آلاف ميل ويرجع جرى . . تذكر هذا ـ كان رايح جاى زى المكوك ـ حصل والا ما حصلش!! طيب ليه يستنى ـ ما هو إذا سيطر السلاح الجوى أنت ما تقدرش تمد أى قوة على المسافات الطويلة بالتموين . . بلاش تموين ـ عندك تموين يقعدها أسبوع ـ المياه . . عندها مياه لمدة إية؟ ٢٤ ساعة، ٤٨ ساعة؟ يقدر يمنع عنك المياه . . تقول تموين بالليل ـ يجيب لك دوريات تتسرب بالليل وتمنع وصول الإمدادات . . فإزاى تسيب قواعدك فى العريش والا ما أعرفش فى جبل إيه؟ الناس اللى بيقولوا كان لازم وقفنا وكنا استفدنا من إيقاف وقف إطلاق النار . . أرد عليهم وأقول لهم إنهم مش رايحين يقفوا إلا بعد ما يخلصوا على قوتك ويحاصروها . . إيه الكلام اللى مبنى على حسن النية ده؟ يقولون كنا استفدنا بالأرض اللى هو احتلها! أرض إيه دية؟ خذ درس الفالوجا حصلت هدنة وساوموا على الفالوجا . . حصل والا ما حصلش؟ يعنى إحنا الفالوجا دى كان درساً ضخما جدا . . وجمال كان فى قراره بسحب القوة فى سنة ٥٦ كان قراراً سليما .

معركة ٥٦.. وتغيير القيادات؟

وقال: سبق إن صلاح نصر قال إن البغدادى وزكريا كانوا معارضين أمر الانسحاب . . طيب إزاى؟ الفرنسيون والإنجليز إدوا إنذار وانضربت مطاراتنا وبعد

ما انضربت مطاراتنا رايح أستنه أعمل إيه . . خلاص النية واضحة ـ دخلوا فعلا المعركة ـ إزاى أسيب قوتى هناك من الناحية العسكرية .

يقول لك إن البغدادى وزكريا محيى الدين كانوا معترضين على الانسحاب . . وإن عبد الحكيم عامر زعل وقال ييجى زكريا يمسك قيادة القوات ، الظاهر إن صلاح نصر اختلط عليه الأمر . . هو كان جدل فيه جدل آخر غير هذا الموضوع ـ كان جدل بين أعضاء مجلس قيادة الثورة القدامى لأنه ما بقاش مجلس ثورة خلاص بعد حرب ٥٦ . . كان انتهى .

بالنسبة لما ترتب على معركة ٥٦ مجموعة أعضاء مجلس الثورة القديم قالت إن القيادات اللى حاربت عام ٥٦ وأثبتت إهمالا سقطت فى نظر قواتها فيجب تغييرها . . لم نقصد أشخاصا بالذات ـ أو أسماء بالذات . . لكن عبد الحكيم أصر على بقاء هؤلاء . .

وبالنسبة لهذا الموضوع كلنا اتكلمنا . . وكان لى أنا دور ، فعبد الحكيم رد وقال ييجى ويستلم . . ولم يكن الموضوع بخصوص مسألة الانسحاب .

فى سنة ٦٧ كان قرار الانسحاب سليما . . بس تنفيذه كان خاطئًا . . تنفيذ القرار جاء خاطئا والقوات جاءت إزاى ما أعرفش أنا قلت لفوزى (يقصد محمد فوزى) يا فوزى إزاى ما تعملوش أمر عمليات الانسحاب؟

قال لى أنا عملت أمر عمليات انسحاب وفضل على مكتبى ولم ينفذ . .

وأظن أنه قال الكلام ده فى أقواله أمام لجنة التاريخ . .

القيام بالثورة.. كان اقتناعنا:

جلال : كان فى بورسعيد سنة ١٩٦٢ بيقول اللى إيده فى المية مش زى اللى إيده فى النار . . ده كان رد على الناس اللى بينتقدوا بعض الحاجات ـ فهل يعنى هذا أن الضباط الأحرار لما قاموا بالثورة ومسكوا الحكم كانت أيديهم فى النار ـ فما هو شعورك بالنسبة للناس اللى كانوا قبل الثورة . . أى الحكام السابقين؟

زكريا: أنا مش فاهم المقصود؟

إحنا طبعا لما قمنا بالثورة اتعرضنا لانتقادات كثيرة، ولكن ممكن قبول الانتقاد إذا كان الانتقاد فى موضعه ولكن إذا كان الانتقاد الهدف منه التشكيك يبقى موضوع آخر..

جلال: غرضى أقول إن رجال الثورة لما قاموا بالثورة حكموا على الناس اللى قبلهم وظلموهم فى بعض التصرفات.. فهل اتضح فعلا أنهم كانوا غلطانين ويستحقون أن الثورة لازم تشيلهم؟

زكريا: طبعا إحنا تقديرنا كان كده.. والا ما كناش ثوار. عاوز تقول إننا بعد الثورة أدركنا هذا؟

جلال: أيوه.

زكريا: لأ، طبعا مازلنا عند فكرنا ـ لأن التسيب اللى كان موجود والخضوع للنزوات الشخصية هى اللى وصلت البلد إلى قرار مجموعة من الضباط أنهم يقومون بالثورة والا إيه؟ هو فيه كلام كتير بيتكتب الأيام دى فى الصحافة مقارنة بين عهد الثورة وعهد ما قبل الثورة.. وأنت شفت المحامى إبراهيم طلعت.. يعنى ده جعل النحاس إله.. الله أمال إحنا كان فين وموش داريانين؟!

السادات.. وحركة ١٥ مايو:

جلال: ما الفارق بين ثورة ٥٢ وبين حركة ١٥ مايو ٧١ وما الارتباط بينهما؟

زكريا: دى حاجة.. ودى حاجة تانية.. هو النظام الحالى بيفسره تفسيرا معينا وبيقول دى ثورة جديدة.. طبعا هو يعنى يمكن من الناحية السياسية بيستفيد من هذا التفسير.. وبيستفيد أيضا من عملية أكتوبر لأن أى نظام سياسى محتاج إلى رأس مال وطنى لمقاومة المعارضة.. أنا باعتبر ما فيش علاقة بين ثورة ٢٣ يوليو وحركة مايو.. لأن ثورة ٢٣ يوليو كان لها مناخ معين وظروف معينة.. أما ١٥ مايو كانت عملية بسيطة.. هذه وجهة نظرى أنا.. أنا كنت معاصر وعارف الناس دول كلهم.. هم مجموعة من الموظفين بدليل اللى حصل لهم.

هم أخذوا موقفا غوغائيا بالنسبة لأنور السادات لأنهم كانوا متصورين فيه صورة معينة . . وبعدين أنور بيدافع عن نفسه . . وعايز يضع الأمور فى نصابها أو شىء من هذا القبيل ، أو حس أنهم تجاوزوا الحدود . . فرفض هؤلاء الموظفين . .

وأنا كان لى رأى فيهم ، وكانوا مثار شكوى من إخواننا كلهم . . كل أعضاء مجلس قيادة الثورة اللى استمروا مع جمال فترة طويلة . . (وهو يقصد أنور السادات) ابتدأ يثق فى ناس ويستبعد أعضاء مجلس الثورة من الصورة لحساسيات الزمالة ، أو لشىء من هذا القبيل . . ما اعرفش أنا ليه . . إنما هو ده اللى حصل واعتمد فى نظامه على مجموعة من التنفيذيين بما فيهم سامى شرف ، وشعراوى جمعة وحتى فوزى يعنى . . بدليل إنه (يقصد فوزى) كان فى إيده الجيش . . وكانوا يقدروا يعملوا حاجة كبيرة قوى - طيب ليه معملوش؟ لأنهم تنفيذيون مش ثوار . . ولا ثورة مضادة ولا شىء من هذا القبيل . . مجموعة موظفين ابتدوا يتنازعون السلطة - فاللى عنده السلطة الشرعية . . اللى فى إيده السلطة الشرعية رأى أنه يرفدهم . . ارفدوا التنفيذيين دول فرفدهم . .

ظروف السادات.. كانت صعبة!

وقال : أما كون النظام يرى أن دى ثورة جديدة ، أو نقطة أخرى فى مسار الثورة . ده موضوع يقوله لأنه هو محتاج إلى رأسمال سياسى يعمل به ؛ لأن أنور اتوضع فى ظروف صعبة جدا بعد وفاة جمال عبد الناصر ؛ لأن الموقف كان صعب حقيقة . وإحنا لما كتبنا المذكرة كنا شايفين هذه الصورة . . وعلشان ما نبقاش متخلفين ولا مترددين رغم الظروف اللى مرت وعدم رغبتنا للعودة للسلطة . . ولكن إحنا موش متأخرين وموش متقاعسين فى حالة ما يكون اللى عنده السلطة رغبة فى إن إحنا نساعده . . بس لما نيجى نساعد إحنا لنا طبعا أوضاع معينة ومناخ معين ولازم نشتغل فيه ، إحنا شرحنا هذا المناخ اللى إحنا لازم نشتغل فيه . . طبعا هو لما بغدادى راح له أعطاه مذكرتنا والمذكرة قالها له شفهيا . . وأعطاها له بعدين . . رجع بغدادى وقال أنا شعرت إنه عايز ينفرد بالحكم وإنه هو قادر على مواجهة الموقف . . إحنا قلنا مهمتنا انتهت عند هذا الحد .

طبعا حصل كلام كتير وتشنيع . . إلخ . . حاجة زى كده . . يمكن المذكرة الثانية اللى أنا ما اشتركتش فيها واللى هو اعتقد إن أنا وراها برضه . . واللى معناها بعض الوزراء المدنيين السابقين . . هى اللى سببت هذا الجو .

فمسألة ١٥ مايو أنا جاوبت عليها وأنا رأيى فيها كده . ولكن هو بيردد باستمرار ١٥ مايو كرصيد سياسى .

وعملية كمال حسين زى ما حكيت لك تعكس هذا المعنى تعكس ١٥ مايو لأنها اثبتت عكس ما يقال . . فكون يجتمع مجلس الشعب ويطلع قانون علشان فرد مش هو الأساس اللى قام عليه ١٥ مايو . . وده كلام كل الناس ـ مش كلامى أنا بس .

* جلال : أنور أعطى تصريحا فى أول مايو قال فيه إن ديان فى رابع يوم كان بيصرخ بعد الخسائر الفاضحة فى هجوم ٦ أكتوبر معنى هذا أننا كنا متفوقين؟

زكريا : أنا ما ليش دعوة بكلامه .

جلال : أنا أقصد توضيح نقطة معينة ـ أنت لو كنت القائد العسكرى كان ممكن تحدث الثغرة دية في وجودك؟

زكريا : أنت بتتكلم بقى من الناحية العسكرية ـ هو اتكتب كتب كثيرة جدا فى هذا الموضوع ومن الجانب الإسرائيلى أيضًا اتكتب كلام كتير ودخلوا فى التفاصيل وفيه كتب منها تكاد تكون حوادث محددة وداخلة فيه تفاصيل للحاجات العسكرية . وأنا باعتبر إن فيه بعض الآراء منها آراء منطقية . هو على قدر ما فهمت من القراءات طبعا هو الناحية المصرية للأسف لم تكتب موقف علمى وتحليلى علمى عسكرى بالنسبة لما حدث لأن أكثره دعاية سياسية أكثر منه تحليل عسكرى زى هم ما عملوا ، بالعكس هم فى كتاباتهم انتقدوا نقدا مرًا وحصل تغييرات فى القيادات .

جلال : أنت لو كنت القائد العسكرى من ٦ إلى ١٢ كنت أنهيت المعركة؟

زكريا : هم فى كتب اليهود بياخدوا على القيادة المصرية عدم استغلالها للنجاح الأولى وأنه لقلق إسرائيل من الجبهة الشمالية لأنها كانت مركزة جهودها والإمدادات بتاعتها متجهة شمالا وقرروا بينهم وبين بعض إذا انضغط عليهم فى

سيناء يخسروا أرض ولا يخسروا قوات وممكن أنهم بعدين يستعيدوا الأرض، فاحنا كان ممكن على حسب تصورهم أن نصل إلى الممرات خلال الدفعة الأولى بتاعة الهجوم والاستفادة بعنصر المفاجأة.

النقطة الثانية اللى ذكروها إن استخدام القوة الاحتياطية اللى هى كانت متمرسة على سد الثغرة، اللى هى الفرقة ٢١ والا إيه مش عارف كان الوقت غير مناسب لاستخدام هذه القوة.

بالعكس هى لم تساعد سوريا بل أضعفت الجبهة المصرية بسحب قوات الجبهة المصرية ودفعها للشمال لإنهاء الموقف.

طبعا بغض النظر عن دعاية العسكريين لأن الهدف منها الحفاظ على معنويات الجيش بس أنا قلت لك المرة اللى فاتت: جرعة الدعاية زايدة شوية وممكن تنقلب عكسية خصوصا اليوم الدعايات المضادة موجودة، ما كانتش موجودة فى الأول، لكن النهارده موجودة، موجودة فى الاتحاد السوفييتى، موجودة فى بعض الدول العربية عاملين حلقة باستمرار مسمينها حقيقة أكتوبر، بيشرحوا التفاصيل، فيجب أن يكون الكلام الدعائى لرفع الروح المعنوية كلام معقول.. كده والا إيه!!

حكاية حب مجهولة

بين أم كلثوم وأمير العشاق!!

لم يكن محمد التابعى «أميرا للصحافة» فقط فى عصره، بل كان يستحق أن يطلق عليه أيضا لقب «أمير العشاق»!

فالذين عرفوا التابعى وعاصروه كانوا يعرفون أنه رجل من «طراز خاص» كما كان صحفيا «فوق العادة» ولقد عاش محمد التابعى حياته كلها بطريقة أرستقراطية فى كل شىء.

كان وسيما للغاية - بمقاييس أيامه ولم يكن يرتدى سوى أفخر أنواع الثياب. وكان ينتقى أفخر أنواع الطعام والشراب. وعندما كان يسافر خارج مصر، لم يكن ينزل إلا فى أغلى الفنادق العالمية، ويتحمل بلا اهتمام نفقات أجنحة الملوك الأمراء فى الفنادق التى كان ينزل بها!

وعاش أمير الصحافة المصرية سنوات طويلة من عمره «أعزب» فى شقته بحى الزمالك، وكانت وسامته وأناقته وشهرته تحتم عليه أن يكون «دون جوان» خطيرا!

ومؤكد أنه كانت لمحمد التابعى مغامرات عاطفية كثيرة وصولات وجولات فى عالم النساء فى ذلك الوقت.

وقد كتب أحيانا عن بعض مغامراته مع حسناوات وأجنبيات فى رحلاته للخارج، كما كتب حكايته مع الفنانة أسمهان. وهى حكاية لها تفاصيل أخرى مجهولة لم تعرف بعد. غير التفاصيل التى كتبها التابعى نفسه أو كتبها بعض ممن عرفوا حكايته مع أسمهان..

ورغم أن محمد التابعى كتب مذكراته السياسية بدقة شديدة، إلا أنه فى مقدمة هذه المذكرات أشار إلى أنه سوف يكتب «فيما بعد» أو فى «وقت آخر» مذكراته العاطفية!

ورغم أن أمير الصحافة لم يكتب هذه المذكرات العاطفية، إلا أنه ترك بين أوراقه

الكثيرة التى تركها بعد رحيله عن هذه الدنيا، مجموعة من «الخطابات الخاصة جدا» التى تكشف قصص الغرام المجهولة فى حياته.

وبعض هذه الخطابات رغم رقتها الشديدة ورومانسيتها البالغة، تعد بمثابة «قنبلة خبرية» كما يحلو للبعض فى الصحافة أن يطلق على الأسرار الصحفية التى تنشر لأول مرة.

ومن بين هذه الخطابات أربعة خطابات بالتحديد لا بد لمن يقرؤها أن يتساءل فى دهشة: هل كانت هناك حقا قصة غرام مجهولة بين محمد التابعى.. وكوكب الشرق أم كلثوم؟!

***

الخطابات الأربعة عثرت عليها السيدة هدى التابعى زوجة أمير الصحافة بعد فترة من رحيله، وكانت هذه الخطابات موضوعة داخل مظروف مكتوب عليه بخط محمد التابعى «كروانة الكراوين»!

ومع هذه الخطابات مظروف صغير بداخله منديل صغير.. وقصاصة من الشعر، وعدد مختلف من صور لأم كلثوم لم تنشر قط، وقد كتب محمد التابعى على هذا المظروف الصغير كلمة واحدة هى: أم كلثوم!

الخطابات الأربعة منها ثلاثة خطابات طويلة كتبها محمد التابعى بخط يده الأنيق المعروف، لكنه لا يذكر فى هذه الخطابات اسم صاحبتها التى وجهها إليها، بل إنه لا يضع توقيعه فى نهاية هذه الخطابات - وربما تكشف سطور هذه الخطابات السر فى ذلك - أما الخطاب الرابع فهو مرسل من أم كلثوم وبتوقيعها إلى «عزيزى.. محمد التابعى»!

وقبل أن أسرد تفاصيل هذه الخطابات أحب أن أذكر انطباعى الشخصى بعد قراءتها أكثر من مرة وهذا الانطباع يتلخص فى الآتى:

وبالتأكيد هى أم كلثوم التى كتب لها محمد التابعى هذه الخطابات، ويتضح ذلك من «نبرة الاحترام» الواضحة فى حديثه إليها.

لابد أن «ظروفا ما» جمعت بين محمد التابعى وأم كلثوم، فى جو معين، جعلت

مشاعر محمد التابعى تتحرك نحو أم كلثوم لأنه كان صحفيا وكاتبا بالسليقة ولأنه كان من مشاهير «دون جوانات عصره»، فلابد أنه عاش «حالة حب» التى يستعذب أصحاب القلم والشعراء والفنانون أن يعيشوا فيها، حتى ولو لفترة قصيرة، لأنها تلهب فيهم روح الخيال والإبداع.

ومن المؤكد أن «أم كلثوم» لم تكن هى البادئة، أو أنها التى شجعت التابعى، لأنه يذكر بنفسه فى أحد هذه الخطابات أنه يشعر أنه «ورطها» فى هذه القصة!

وأشياء أخرى.. أترك للقارئ اكتشافها من سطور الخطابات، التى ترسم صورة أدبية رائعة لأمير الصحافة.. وهو يحب!

الخطاب الأول..

«صباح الثلاثاء ٩ يونية سنة ١٩٣٦ ميلانو.

فندق إكسلسيور.

لست أطمع فى أن يبعث مرأى هذا الخطاب الدم إلى خديك، أو يزيد من سرعة دقات قلبك، أو أن يعقد لسانك لحظة أو لحظتين، أو أن تقرئيه من وراء أبواب مغلقة أو.. إلى آخر ما وصفت بإسهاب وأنت غارقة فى بحار الذكريات..

لكنى أطمع فقط - وليس هذا بالشيء الكثير - أطمع فقط فى أن تصدقى كل حرف سوف أخطه، وإن كنت لا أدرى ماذا أقول، ففى نفسى ورأسى ألف معنى ومعنى، كلها تزحم وكلها تطلب النور، ولكنى أخشى أن يصيبها ما يصيب الجمهور، حين يزدحم أمام باب الدخول، أى أنها تدوس بعضها بعضا، ويمزق بعضها بعضا ويعطل بعضها بعضا.. ثم ترتد خائبة منهكة عن باب الدخول!

اليوم الثلاثاء فهل تذكرين؟

هل تذكرين ما قلت لك فى يوم الثلاثاء الماضى؟

وأين كنا؟

وكيف كنا؟

ذكرى من ذكريات كلها تلازمنى منذ غابت عن أرض مصر، وتاهت النظرة بين

الماء والسماء، وانحصر الفكر فى الماضى، وله كان الأمس القريب، لأنه لا يجد فى الحاضر ما يستوقفه أو يلهيه.

كان البحر هائجا مضطربا طول الطريق . .

وكانت السفينة تلعب، أصاب الدوار كثيرين فلزموا غرفهم ومنهم كريم وزوجته - يقصد كريم ثابت - وبقيت أنا وأبو الفتح، وكثيرا ما لاحظ على أننى لست معه، وأنى شارد أفكر.

وكان هذا دائمًا موضع الغمز له ولآخرين!

كنت أفكر . . أين أنت الآن وترى ماذا تفعلين؟

وهل أنت تفكرين فىَّ كما أفكر فيك؟

أم - وأعذرينى - كنت صفحة فى حياتك أشرت عليها، ثم طويت الكتاب، ورميته عنك إلى حين؟

وليلة الخميس والناس معى سكارى دائخين من غير خمر، اعتليت مقعدا عاليا فى بار السفينة، وشربت نخبك كأسا صامتة، وكانت الساعة العاشرة، فلما أفرغتها وكان هياج البحر على أشده، أسرعت إلى غرفتى وأويت أفكر مغلق العينين، أرسمك بالخيال فى بنى سويف، وأسمع صوتك تقطعه صرخات الأمواج!

من هذا كثير . . كثير

ولكنى كما تعلمين أكره أن أعرى نفسى ولو أمام عينيك.

ولقد حاولت أن أكتب إليك وأنا على ظهر السفينة، ولكننى كنت أضعف من أن أستطيع.

وإذا كانت قواى قد كفت لأن أبقى واقفا على قدمى، فإنها لم تقف ضد الدوار، وكيف الكتابة وأنا أحس أن أمعائى تارة فى فمى، وتارة قد هبطت إلى كعب الحذاء؟!

ووصلنا أمس الاثنين جنوا . .

وتناولنا فيها الغداء مع مصطفى الصادق بك الوزير المفوض الجديد فى روما، وكان معنا على ظهر السفينة فى طريقه إلى منصبه الجديد، ثم غادرنا جنوا فى المساء إلى ميلانو، فوصلناها الساعة التاسعة، وأويت لى غرفتى أخذت حماما ساخنا ثم تناولنا العشاء ونمت فى الساعة الخامسة. . وهأنا أكتب إليك. .

اليوم نغادر ميلانو إلى لوجانو. . لنقضى على ضفاف بحيرتها ٣ أو ٤ أيام. ومنها إلى سويسرا، وبعدها فيينا وبودابست، فإذا شئت أن تكتبى إلى فاكتبى على العنوان المرسل إليك.

واذكرى دائما رجائى الوحيد إليك، وهو أن لا تفعلى شيئا لا تستطيعين أن تبوحى به إلى.

أرجو أن تكون صديقتك «باب الخلق» قد شفيت، أن تكونى قد اطمئننتى، فأنا أعرف مبلغ حبك لها، حتى لا أكاد أحيانا أغار منها!

ولقد رأيت صديقتك «مش عارف آيه الباجورى» على ظهر السفينة، وهى سمراء واسعة العينين مقوسة الأنف سمينة نوعا ما، واسم زوجها «حاجة وهمام». . فهل هى؟

* * *

ويمضى أسبوع بكامله دون أن يكتب محمد التابعى رسالة أخرى!

فماذا حدث فى الأسبوع. . وماذا فعل أمير العشاق فى الرحلة؟

لكنه فى صباح الخميس ١٨ يونية ١٩٣٦ يكتب الخطاب الثانى من سان أنطون دار لبرج، ويقول فيه:

«فى ذمتى لك كلمة يوجب آداءها عهدى لك بأن أكون دائمًا صريحا معك. . لقد اكتمل اليوم أسبوعان منذ سمعت صوتك آخر مرة، أسبوعان كنت دائمًا فيهما فى خاطرى.

وكنت أنا دائم التفكير فيما كان وفيما يمكن أن يكون، وبين الاثنين جولات شردت فيها إلى الماضى البعيد الذى أجهله وإن كنت أحيانا أود أن أعرفه، ولولا خوفى من أن يكون فيها ما يحطم الأمل أو يقطع حبل الرجاء.

ولم يكن لى بد من أن أقارن بين حاضر معى وبين ماضيك .

وهل أنت معى كما كنت؟

وأكملى الباقى من عندك .

ولعلى ألمحت إلى شىء من هذا فى صدر خطابى الأول إليك ، وهذه المقارنة تؤلمنى دائما ، لأننى أخرج منها كثير النفس مغلوبا على أمرى ، جريحا فى أدق مشاعرى ، لأننى لم أستطع أن أكون لك ، أو أكون منك فى المنزلة التى تريدين .

وكانت النتيجة أننى أو على الأصح شرعت فعلا فى أن أحاول نسيانك ، لأنى إذا لم يكن فى استطاعتى أن أحظى بحبك كما أريد ، فعلى الأقل أن أحظى بكرامتى كاملة ، وليكن بعدها ما يكون!

واندفعت فى المرح!

وتلمست الأسباب فى أتفه الأسباب وخيل لمن معى أن بى مسا ونصحوا لى بالإقلال!

ومنذ أربعة أيام فقد أحسست بالتعب ، ورد الفعل من المجهود المصطنع ، وشعرت أننى زائف من رأسى إلى قدمى ، وأننى لست رجلا لأننى أهرب من نفسى وأكذب عليها . .

واقترحت على صحبى أن ننحو إلى قرية نائية أستريح فيها فوافقوا إلا أبو الفتح فقد سبقنا إلى فيينا ، أما نحن فقد حضرنا إلى سان أنطوان دار لبرج ، وهى قرية عدد سكانها ١٢٠٠ نسمة ، واقعة على قمة جبل من جبال التيرول النمساوى ، وحولها الثلوج من كل ناحية ودرجة حرارتها والشمس طالعة ١٢ فوق الصفر ، وأما فى المساء فلا بد من الغطاء الثقيل ودفء المواقد والشراب الساخن ، وهأنا فيها منذ أربعة أيام ، أسترخى إلى أعصابى المتعبة ، وأقطع الوقت فى جولات بين أشجار الغابة القريبة . أو نتسلق القمم الدانية واللعب بين الثلوج وتصحبنى أحيانا فى هذه الجولات زوجة صديقى ، وأحيانا أنحو بنفسى لأطلب الوحدة .

لكن فى كلمة واحدة . .

ليست هناك ساعة واحدة أستطيع القول إنها ملكى، أو أننى فيها ملك نفسى، لأنك دائمًا معى، تطلبين علىّ وتهمسين فى أذنى، بكل ما كان بيننا فى كل ساعة من ساعات الشهور الستة التى اتصلنا فيها، وعرفت معنى القرب ومعنى الخصام.

وفى محفظتى صورتك الصغيرة.

وخصلة من شعرك.. أشمها.

ويعلم الله أننى لست من أنصار الخيال كما يفهم أصحاب الرواية والشعراء من تجار الشعر الرخيص.. ولست من أنصار الأحلام ولا من الذين يطوون يديهم فى حجورهم ويستسلمون إلى خيال مستعار لم يتعبوا فيه.

ولكنى أمام صورتك الصغيرة أحس أننى تلميذ يشم معبودته الأولى، التى حرق أمامها أول بخور اشتراه، بأول قطرة من دم قلبه الشاب!

اكتبى إلى.

وتكفينى كلمة ترد على إيمانى..

والآن أمسك لأننى أخشى أن يدخل على من لا أريد أن يقرأ، ولو حرفا واحد من عنوان هذا الخطاب.

وسوف لا أعيد تلاوة الخطاب لأننى أخشى أن يكون فيه ما لا أود أن يخرج منى، وما قد يعاودنى التفكير فأشطب عليه، فلا أتركه إذن كما هو، قطعة مضطربة مشوشة غير مفهومة ربما، ولكنها قطعة صادقة من قلبى.

قبلاتى إليك.

وصديقتك كيف صحتها الآن؟

***

الخطاب إذن ينطق بالكثير من المعانى.

ويوضح إلى حد كبير معالم قصة الحب.

هى قصة إذن استمرت ٦ شهور.

ومن الواضح أن هناك طرفا ضعيفا.

وأن هذا الطرف . . هو محمد التابعي.

وخصلة الشعر التى عثر عليها مع هذه الخطابات . . والصور أيضا تقول . . لمن كانت هذه الخطابات الغرامية.

أعود إلى الخطاب الثالث.

وهذا الخطاب يرجع تاريخه إلى الأحد ٧ أبريل ١٩٣٦ .

أى قبل «رحلة النسيان» إلى أوروبا التى سافر إليها محمد التابعى. ومنها كتب الخطابين السابقين.

فماذا قال فى هذا الخطاب؟

***

كتب التابعى يقول لها:

«أذكر أننى قلت لك فى آخر حديث لى معك أننى أخجل لأننى - عن غير قصد - قد ورطتك فى بعض ما تكرهين، أو على الأقل حملتك على أن تفعلى ما كنت تريدين أن لا يكون، وأن هذه أول مرة أجد نفسى فى مثل هذا الموقف، أول مرة أحس فيها أننى قد جرحت فى حبى وكبريائى معا!

قلت لك هذا بعد أن قلته أنت نفسك.

ثم زدت أنا عليه أننى سوف لا أضايقك فى المستقبل، وأننى لن أسمح لنفسى بأى عمل أو قول، يكون فيه إحراج أو توريط لك.

لأننى أطمع دائما فى علاقة لى، أن يكون المتبادل فيها عطاء بنفس راضية، لا استجداء أو سلبا بإكراه أو توريط!

قلت لك هذا . . ورهنت كلمتى عليه.

أخذت على نفسى أن أفى بكلمتى هذه، كما وفيت بكلمة سابقة ثم أكدت لك

فى ختام حديثى أننى أنا لم أتورط معك، وأننى كل كلمة قلتها لك، كانت من قلبى، وكل عاطفة أو خلجة كانت صادقة خالصة لا أثر فيها لإحراج أو توريط.

هذا ما أذكره الآن من حديثى الأخير.

ثم كان أن تبينت من موقفك الذى اتخذته معى فى الأيام التالية أنك أمسيت وأصبحت. فرأيت فيما كل بيننا رأيا لعله لم يكن جديدا، وإنما فقط كان ينتظر الفرصة المناسبة.

وهذا الرأى قد أملى عليك موقفك.. وماذا يجب أن يكون الآن.. وكان لى أن أفهم من هذا إذا كنت لم أفهم بعد كان لى أن أفهم أننى كنت مصيبا فيما ذهبت إليه.

وإنك كنت حقيقة متورطة معى ـ لا أدرى لماذا وإنك لما اطمأننت موقفى منك سيكون بعد اليوم، سلبيا سليما من كل الوجوه وأنه ليس لك ما تخشينه منى. لما اطمأنت إلى هذا كله، انتهزت الفرصة وأسرعت تلتمسين باب الخروج أو باب النجاة.

وهكذا.. أرجو منك أن تؤمنى معى بأننى لا أريد ولا أقصد، أن يكون حتى فى خطابى هذا حرف واحد من حروف الندم، أو حروف الرجاء فلست أنا بالذى ينم عن شىء مضى وفات، وإنما فقط أردت من هذه المقدمة الطويلة أن أبين موقفى وأن يكون كلامنا على نور بعد اليوم.

ثم أخرج من هذه المقدمة إلى الفرق الحقيقى الذى حفزنى إلى كتابة هذا الخطاب، لقد أردت أن أعيد إليك كل ما تحت يدى، لا زاهدا فيها لأنها كلها تذكارات عزيزة على وأقرب إلى قلبى مما تظنين، وإنما أردها إليك لأننى أولا لم يعد لى حق فى الاحتفاظ بها ولأنها ثانيا لم تعط لى الحقيقة، وإنما أنا الذى أخذتها منك، وورطتك فى إعطائها إياى. بعد إلحاح كثير. وثالثا لأن فى بقائها تحت يدى ما قد يثير فى نفسك شيئا من القلق وعدم الاطمئنان، لا لأن فى هذه الصور ما يمكن مؤاخذتك عليه كلا فهى خالية من الإهداء وحتى من الإمضاء، وإنما لأنها قد يجوز أن يكون فى وجودها مجتمعة تحت يدى ومنها صورة لا يمكن أن تهدى إلى معرفة

بسيطة أو أول عابر طريق، ما يثير الفضول إذا وقعت عليها عين غريبة فى يوم من الأيام.

خفت أن يدور هذا كله فى رأسك وأنا أريدك أن تكونى مطمئنة وأن لا يقلقك هاجس، بأنك تركت وراءك أثرا قد ينم عن كذا أو يكشف عن كيت. لذا أعيدها إليك.

ومعها رجاء هو الآخر.. وذلك بأن تثقى دائمًا بأننى المخلص لك الذى سوف يدعو لك أبدا بالسعادة وتحقيق الأمل.

وأما ما كان بيننا فقد كان مكانه عندى فى حبة القلب، وسوف تكون ذكراه من نفسى فى المكان الأعز.

وسلامى إليك..

***

إذن أراد التابعى أن يعيد للمحبوبة تذكاراتها وصورها، لكن هذه التذكارات والصور ظلت فى حوزة محمد التابعى، وبقيت بين أوراقه ومتعلقاته بعد وفاته.

فهل يعنى هذا أن «المحبوبة» أعادتها إليه.. أو أنها رفضت فى الأصل أن يعيد إليها هذه التذكارات والصور لأنها كانت واثقة من أنه سوف يحافظ عليها بعيدا عن أعين الفضول؟

ثم إن محمد التابعى يعترف فى هذا الخطاب بأنه «ورطها» فى قصة الحب هذه، وإنها ما أن حانت الفرصة المناسبة حتى أسرعت بإنهاء القصة!

والمؤكد أنه لا يوجد سوى خطاب واحد من أم كلثوم بين أوراق محمد التابعى، وهذا الخطاب يرجع تاريخه إلى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٦.

أى بعد خطابات التابعى الثلاثة بعشر سنوات كاملة.

فماذا قالت له أم كلثوم فى هذا الخطاب؟

***

نص خطاب أم كلثوم . . .

القاهرة فى ٢٨ / ١٢ / ١٩٤٦ . .

عزيزى محمد التابعى . .

أشكرك على برقيتك، ثم أشكرك أكثر على رسالتك، وإنى سعيدة بأن أسمع أنك بأحسن حال، ومقالتك الأسبوعية الممتعة فى «أخبار اليوم» و«آخر ساعة» تحمل لى كل أسبوع خير الأنباء عنك.

إنى على العكس سررت بالبرقية سرورى بالخطاب . . وإذا كان هناك من يجب أن يعتذر . . فهو أنا!

تقبل خالص تحياتى وشكرى / التوقيع : أم كلثوم!

***

والمؤكد أيضا أن علاقة صداقة توطدت بين «أمير الصحافة» محمد التابعى وكوكب الشرق «أم كلثوم».

فقد ظلت لسنوات نجمة المدعوين فى السهرات التى كان يدعو إليها نخبة الناس فى بيته بالزمالك، وكانت ضيفة دائمة فى عشته فى رأس البر، وأنا أحتفظ بأفلام سينمائية من تصوير محمد التابعى نفسه . . وبعض هذه الأفلام لأم كلثوم فى عشة رأس البر وهى تغنى فى سهرات خاصة لمدعويه.

وفى وقت من الأوقات تحولت صداقة التابعى وأم كلثوم إلى «صداقة عائلية» بعد زواج التابعى من السيدة هدى التابعى بل إن هدى التابعى ذكرت لى أن أم كلثوم كانت أول شخصية يقدمها إليها فى فترة خطوبتها، وذلك فى سهرة على العشاء فى بيت بالزمالك، وبعد زواجهما بشهرين تقريبا أقام التابعى وليمة عشاء لأم كلثوم التى حضرت مع زوجها الدكتور حسن الحفناوى، وتذكر هدى التابعى أن أم كلثوم فى هذه السهرة طلبت منها أن تخرجا معًا إلى الشرفة، وأنها تأثرت عندما وجدت أم كلثوم فى حالة شجن وأقرب إلى البكاء!

أصبحت هدى التابعى صديقة مقربة من أم كلثوم، التى كانت ترسل لها تذكرة

فى الصف الأمامى، لحضور حفلتها الشهرية، التى كانت زوجة التابعى تشترى لها فتسانا جديدا تحضر به كل حفلة.

وحضرت أم كلثوم حفل عيد ميلاد «محمد التابعى» الصغير أول أبناء أمير الصحافة.

وقدمت لوالدته هدى التابعى هدية ثمينة، عبارة عن «فارة كريستال» ما تزال تحتفظ بها حتى الآن.

وتقول هدى التابعى إن زوجها الراحل لم يتحدث معها قط عن قصة حبه لأم كلثوم، ورغم أنها كانت تشعر بذلك وتأكدت منه بعد سنوات طويلة عندما عثرت على الخطابات وقصاصة الشعر!

وفى يوم وفاة أم كلثوم وكان محمد التابعى يعيش رحلة مرضه الأخير، حاولت هدى التابعى أن تبعد عنه الجرائد التى كانت تحمل الخبر الحزين فى صدر صحافتها الأولى.

لكن التابعى ظل يسألها: أين الجريدة؟

وعندما اضطرت فى النهاية تحت إلحاحه لأن تحمل إليه «أخبار اليوم» وبمجرد أن وقع نظره على خبر وفاة أم كلثوم، حتى سقطت الجريدة من يده، وغطى وجهه بيديه.

وانخرط «أمير العشاق» فى البكاء الحار.

وكانت هذه أول وآخر مرة تشاهده فيها زوجته.. وهو يبكى!

هذا هو.. أنيس منصور!

* العـام: ١٩٥٩

على شاطئ البحر وفى مطعم «جياتو» الشهير وقتئذ بمدينة بور سعيد، جلس ثلاثة من الأصدقاء . . الكاتب الصحفى أنيس منصور وصديقاه الكاتب الصحفى إبراهيم سعدة وشقيقه الدكتور فاروق سعدة . .

فجأة اقترب منهم رجل غريب الهيئة ، توجه مباشرة نحو أنيس منصور . .

* وقال له : تسمح وتعطينى . . يدك؟

ـ سأله أنيس منصور متعجبا : ليه؟

* قال له الرجل الغريب : سوف أقرأ لك الكف!

تبادل الأصدقاء الثلاثة نظرات الابتسام . .

لكن أنيس منصور مد يده إلى الرجل الغريب ، الذى أخذ يتفحص فى خطوط كفه باهتمام شديد . .

* ثم سأله : هل أنت بحار؟

ـ رد أنيس منصور : لا .

* سأله : إذن . . أنت طيار؟

ـ قال أنيس : برضه . . لا .

هز الرجل رأسه فى دهشة وعجب . .

* ثم قال لأنيس منصور : غريبة . . إنى أراك تركب طائرات . . تبحر فى سفن . . وتسافر إلى بلاد كثيرة . . وعجيبة!

سحب أنيس منصور يده ، ووضعها فى جيبه . . وأخرج خمسين قرشا ، أعطاها

للرجل الغريب الذى غادر المكان فى الحال. . وقضى الأصدقاء الثلاثة بقية الوقت يضحكون من نبوءة قارئ الكف المجهول. .

يقول أنيس منصور: لكن لم تمض أكثر من ثلاثة شهور، حتى كنت قد بدأت رحلتى الشهيرة «٢٠٠ يوم حول العالم» وأركب الطائرات وأبحر فى السفن. . وأسافر إلى بلاد كثيرة . . . وعجيبة!

هكذا بدأت قصة كتاب أنيس منصور الشهير «٢٠٠ يوم حول العالم» الذى أحدث ضجة كبيرة، عندما نشر على حلقات فى إصدارات «أخبار اليوم» وقتها - ومنها «آخر ساعة» - ثم صدر كتاب تطبع منه الآن الطبعة الرابعة والعشرون. بعد أن كتب الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى مقدمة الطبعة الخامسة. . وكتب الأديب محمود تيمور مقدمة الطبعة السادسة. . ويقام هذا العام احتفال بمناسبة بيع النسخة «النصف مليون» من الكتاب!

و«أطول رحلة حول العالم». . كانت بمناسبة هذا الحديث الذى قد يكون «أطول حديث مع أنيس منصور». . عاشق الكتابة والقراءة، والمتحدث البارع، صاحب الذخيرة العميقة من ذكريات الأحداث التى عاشها. . والشخصيات التى عايشها. .

وفى هذا الحديث. .

يتكلم أنيس منصور عن كل شىء:

* كيف بدأت رحلته حول العالم؟

* ما الغرائب والعجائب التى رآها. . ولم يكتب عنها؟

* ما الفارق بين الكاتب. . والكاتب السياسى؟

* ما الفارق بينه . . وبين محمد حسنين هيكل؟ ومتى هاجمه لأول مرة؟!

* كيف كانت علاقته بمصطفى وعلى أمين؟

* ما حكاية العفاريت. . فى رحلة حياته؟

* ما رأيه فى الزعماء الثلاثة: جمال عبد الناصر.. وأنور السادات.. وحسنى مبارك؟

* كيف يعيش الآن.. وكيف يكتب؟

و.. أشياء أخرى غريبة.. ومثيرة.. تماما مثل أنيس منصور نفسه!

بجوار حمام سباحة صغير، تحتضنه حديقة مليئة بالزهور.. فى فيلاته بناحية شبرامنت.. وضعت جهاز التسجيل بينى وبين الكاتب الكبير أنيس منصور.

* سألته فى البداية: كيف ترى كتابك «٢٠٠ يوم حول العالم»؟

- قال أنيس منصور: هو أول كتاب فى أدب الرحلات الحديث، فهو ليس كتاب ابن بطوطة ولا ابن جبير.. وكان فى مصر أديب رحلات يدعى محمد ثابت صدرت له سلسلة من الكتب بعنوان «فى ربوع أفريقيا» و«فى ربوع آسيا».. لكنها كانت «كتابة مدرسية» فقد كان يكتب المعلومة ويضع تحتها خطا!.. ولهذا عندما فكرت فى كتابة «٢٠٠ يوم حول العالم» فى كتاب.. وضعت فى ذهنى حكمة الشاعر الفارسى «سعدى» الذى كتب عن شخص سأله «ممن.. تعلمت الأدب»؟ رد عليه قائلا: «من شخص قليل الأدب.. لا أعمل ما يعمله» هكذا قررت ألا أكتب مثل ابن بطوطة ولا مثل محمد ثابت ولا مثل حسين فوزى صاحب كتاب «السندباد العصرى» وهو رحلات علمية، هكذا قررت أن أكتب «أدب رحلة» بغير رحلة تدخل فيها صناعة الأدب.. من ناحية تجميل الفن والفكاهة وتجميل العبارات..

* أسأله: هل كان أسلوبك فى كتابة «٢٠٠ يوم حول العالم» هو نفس أسلوبك الذى تكتب به مقالاتك؟

- يقول: هو.. هو.. لكني فيما بعد أحدثت تغييرا في الأسلوب، في كتبي «بلاد الله خلق الله» و«أطيب تحياتي من موسكو» و«غريب في بلاد غريبة» و«اليمن ذا المجهول» و«أعجب الرحلات في التاريخ» و«أنت في اليابان وبلاد أخرى» والتجربة التى قمت بها للأسف لم يشعر أحد بها، وهي أنني عندما بدأت الكتابة عن الدول الأوروبية، فكرت أن أكتب عن كل بلد بأسلوب، مثلا أبدأ الكتابة عن

فرنسا من «الفاترينات» ثم الناس، وعندما كتبت عن روما كتبت عن التماثيل ثم كتبت عن الإيطاليين من وراء التماثيل، وعندما أردت الكتابة عن ألمانيا بدأت بمتاحفها . .

* ماذا كان هدفك من كتابة سلسلة «أعجب الرحلات فى التاريخ»؟

ـ هذه السلسلة صدرت بعد نكسة ٥ يونيو ٦٧ وكان هدفها أن أضع نماذج للشبان الأبطال، في وقت افتقدنا فيه إلى البطولة والنصر . . وانخفضت معنوياتنا، هكذا كتبت عن المغامرين والأبطال فى البر والبحر والجو، لأعطى القدوة لشباب لا يعرف اليأس . .

نعود إلى رحلتك «٢٠٠ يوم حول العالم»؟

ـ هى كانت أطول رحلة فى حياتى . . ولا أظن أن صحفيا آخر قام برحلة طولها ٢٢٨ يوما حول العالم بلا توقف . .

* لماذا لم تعش الصور الفوتوغرافية التى التقطها رفيق رحلتك المصور الفنان الراحل أحمد يوسف . . كما عاشت كلمتك؟

ـ يمكن هذه الصور الفوتوغرافية كانت «مركزة على حدث» أما صورى التعبيرية فقد كانت بالكلمات . . مثلا عندما ذهبنا فى طائرة صغيرة لتصوير بركان هاواى، كانت الطائرة ذات المحرك الواحد تطير فوق البركان الملتهب، وارتفعت درجة الحرارة للغاية فأخذت مع الراحل أحمد يوسف نخلع ملابسنا، حتى أصبحنا بالملابس الداخلية فقط! ولم يخطر على بالنا لحظتها خطورة أن تحترق الطائرة بنا، كل ما نفكر فيه أن ننفرد بالموضوع الصحفى، ولا أعرف كيف مر الوقت والطائرة الصغيرة مثل عصفور يحلق فوق بحيرة من النار، وعندما عدنا إلى هونولولو اكتشفنا أن شظايا وحمم البركان ضربت خزانات وقود الطائرة وأنها كانت على وشك الانفجار بنا . . كانت صور الراحل أحمد يوسف رائعة . . لكنها كانت مجرد صور بلا حكايات ولا مشاعر، الصور كانت تسجل فى ثانية ما حدث، أما الكلمات فقد رسمت ما قبل وأثناء وما بعد الحدث . . وهذا يجعلنى أفكر أن معظم الأعمال الأدبية لا تنجح فى السينما، مثلا رواية «الحرب والسلام» التى كتبها

تولستوى لم يكن الفيلم فى عظمة الرواية، ولا نجحت روايات البرتومورافيا مثل «فتاة من روما» و«القبقاب» فى السينما، لأن السينما صور تعبر للحظات.. لكن فى الكتب صفحات وصفحات تحكى كل شىء.

* أسأل أنيس منصور: ما الفارق بين رحلتك حول العالم.. ورحلة حياتك - عبر القراءة - فى آلاف الكتب التى قرأتها؟

- يقول: رحلتى حول العالم كانت باهرة وكل البلاد التى زرتها كانت جديدة علىَّ وهزت مشاعر القراء وحركت الرغبة فى السفر فى صدور الشباب.. ووقتها أعلن مصطفى أمين فى اجتماع محررى «أخبار اليوم» أن المشير عبد الحكيم عامر قال له «أتمنى أن أتنازل عن جميع وظائفى، لأقوم بالرحلة التى قام بها أنيس منصور»! وكانت رحلتى سببا فى سفر وهجرة عدد كبير من الشباب، وفيما بعد بسنوات طويلة وعندما ذهبت إلى أستراليا فى الثمانينيات وجدت شبابا هناك استقروا فى أستراليا، وبعضهم كان يحمل نسخا من كتابى «٢٠٠ يوم حول العالم» وأدهشنى أن بعض هذه النسخ كان يحمل إهداء منى، وهذا هو الفارق بين القارئ والكاتب. القارئ «ينظر» إلى الأشياء لكن الكاتب «يراها» وأضرب مثلا بالفارق بين الفن الإغريقى والفن الرومان، تجد التمثال الرومانى له عينان، لكن التمثال الإغريقى تجد للعينين فى التمثال «ننى» فالأول «ينظر» والثانى «يرى» وهكذا يرى الكاتب أعمق وأجمل وأروع، وهكذا فتح الكتاب شهية الناس للقراءة والسفر والرغبة فى المغامرة والهجرة!

***

لا يخفى أنيس منصور حماسته حين يتحدث عن رحلته حول العالم..

تأتى كلماته ساخنة.. متدفقة.. وكأنه يعود بالذاكرة ويرحل حول العالم.. وهو يتحدث معى!

* أسأله: أين يأتى موقع كتاب «٢٠٠ يوم حول العالم» من بقية مؤلفاتك؟

- يقول: لقد أصدرت ٢٠٠ كتاب - حتى الآن - وكتبت فى موضوعات شتى، فى الأدب والنقد والفلسفة والنبات والحياة، وقد يعجب البعض من أننى بدأت حياتى

الصحفية محرراً للأزياء في جريدة الأهرام سنة ١٩٥٠ ، كنت أقوم بتدريس الفلسفة وطلبوا منى أن أقوم بترجمة موضوعات الأزياء والفساتين وتعلمت كيف أكتب فى أى موضوع أفهمه . . وكنت وما زلت أعتبر نفسى «أول قارئ لأنيس منصور» ولهذا أقوم بتنويع ما أكتبه حتى لا «أزهق» لأن «الكاتب معدى» إذا زهق يزهق القارئ، ولهذا أحرص على ألا أكون مملا . .

* كيف رأى أنيس منصور «المرأة» حول العالم؟

ـ المرأة رأيتها كسائح . . أرصد وأكتب . . لكن فهم المرأة يحتاج إلى دراسة أكبر وأعمق . .

* لماذا لم تكتب كلمة واحدة . . عندما قمت برحلة حول العالم مرة أخرى؟

ـ عام ١٩٦٩ ذهبت إلى المملكة العربية السعودية لأداء العمرة ، وكانت تجربة وجدانية دينية ، لكاتب دارس الفلسفة ، كأننى مريض ذهب للطبيب ليرى ما به ، وكتبت عن هذه التجربة فى كتاب «طلع البدر علينا» وكتبت عن تجربتى فى الفلسفة والإيمان والشك واليقين والتجلى . . وبعد ذلك قمت بأداء ٣٠ عمرة لم أكتب عنها سطرا واحدا ، وحججت ٧ مرات ولم أكتب سطرا واحدا . .

* أقاطعه : لماذا . . «يا حاج أنيس»؟

ـ كل «تحويشتي» من المعانى كتبتها بعد العمرة الأولى ، ولم أكتب بعدها شيئا سوى مرة واحدة عندما ذهبت لزيارة غار حراء وتصورت أننى سأجده مفتوحا لكنى فوجئت به مسدودا ، لأن المذهب الوهابى يؤمن بقدسية المكان ، وإنما القدسية لله وربما البيت الذى ولد فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكانه الآن محل ترزى أو مكتبة ، لأن الوهابيين لا يقدسون الأماكن ، ولهذا لا يقولون «مسجد الرسول» وإنما يقولون «مسجد المدينة» ، وأتذكر أنه ذات مرة ذهب الرئيس الراحل أنور السادات لأداء العمرة ومعه العقيد معمر القذافى وسأل الرئيس السادات الأمير فواز أمير مكة : ما فيش مصريين هنا؟

ـ قال له : يا فخامة الرئيس : مافيش غير الأخ أنيس منصور يتعبد في غار حراء!

ويضحك أنيس منصور عندما يتذكر الحادث . .

ـ ثم يكمل حديثه قائلا : سافرت إلى كوريا الشمالية وكتبت وعندما ذهبت إلى كوريا الجنوبية لم أكتب لأننى شعرت أنها صورة من اليابان، وسافرت إلى بلاد كثيرة كنت قد زرتها فى رحلتى الأولى ولم أكتب عنها فى الزيارة الثانية، لأن رحلتى الأولى كانت من القوة والامتلاء حتى تضاءلت بجوارها أى رحلة أخرى. . وأذكر أننى خلال رحلتى تلقيت رسالة من الراحل على أمين يقول لى فيها : «لقد قرأ الرئيس جمال عبد الناصر مقالتك عن النظام الشيوعى والشيوعيات فى الصين فأعجبته فاكتب لنا مقالات أخرى فى أخبار اليوم».

* هل يعنى ذلك أنك كنت تكتب تفاصيل الرحلة أثناءها أولا بأول؟

ـ كل ما كتبته كان من هناك ولم أكتب فى القاهرة كلمة واحدة، لكنى عندما أردت تحويل السلسلة إلى كتاب أعدت قراءتها، ثم أعددت كتابتها من الألف إلى الياء بعد ربطها، ولم أحذف سوى كلمة «جدا» التى وجدتها متكررة كثيرا، لأن انفعالى كان كبيرا خلال الرحلة.

* * *

على طريقة أنيس منصور نفسه!

حين يقفز من موضوع إلى آخر. . سواء وهو يكتب أو عندما يتكلم. . اذهب به ـ قليلا ـ بعيدا عن الرحلة الشهيرة. .

* أسأله : فى أحيان كثيرة يقترب كبار الكتاب الصحفيين من رجال السياسة. . كيف كانت درجة اقترابك من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر؟

ـ يقول : لقد كان جمال عبد الناصر زعيما لا شك فى ذلك، ولديه كل صفات الزعامة، وأحدث تغييرا جذريا فى مصر، وزلزل المنطقة العربية، وكانت له قضايا كبرى وتحديات أكبر، هناك أشياء كثيرة عند جمال عبد الناصر لابد أن توصف بصفة «المبالغة» أكبر أعظم أصغر وهكذا، كما كانت له إنجازات كبيرة كانت له إخفاقات كبيرة، والقاعدة تقول إنه «كلما كان النور قويا كان الظل عميقا». . لكن كانت هناك أخطاء كبيرة ولا يوجد بشر يخلو من الخطأ، لكن سلسلة الأخطاء والفشل الذى أصاب جمال عبد الناصر سواء فى العدوان الثلاثى أو فى النكسة أو

فى اليمن، كلها لم تكن فقط أخطأ فى القرار ولكن أيضا فى تنفيذ القرار، مما يعنى «مسئوليته وآخرين أيضا» لكن فى نفس الوقت أخذ عبد الناصر الكثير ولم يعطها الكثير، مثلا فيما يتعلق بالحرية كان نصيبا قليلا جدا، لا حرية الفرد ولا حرية الصحافة ولا حرية النقد ولا أى شيء من هذا. . ونحن لم نذق طعم الحرية إلا فى عهد الرئس أنور السادات، ولم نستمتع بها تماما إلا فى عهد الرئيس حسنى مبارك. . و«كلنا عارفين كده»!

- ويكمل أنيس منصور: وفى عهد الرئيس جمال عبد الناصر عوقب الكثير من الكتاب على مجرد النقد، أو محاولة أن يكون هناك نقد، أنا مثلا واحد فصلت عامين بسبب مقال كتبته فى الأخبار عن مسرحية توفيق الحكيم «السلطان الحائر» التى كتبت رأيى فيها مع إسقاطات، وكنا معذورين لأن الصحافة وقتها كانت قد تم تأميمها وكان مصطفى وعلى أمين «قعدا فى البيت». . وكان واضحا أن الدولة تتعمد تعذيب وتحقير مؤسسة «أخبار اليوم» وكل يوم يأتون برئيس لها، لدرجة أننى أول مرة قابلت الرئيس أنور السادات الذى كان نائبا لرئيس الجمهورية وفى يوم من الأيام كان مسئولا عن «أخبار اليوم».

* قال لى: إنك تطالب بوضع آية قرآنية على باب «أخبار اليوم» . . ما هى هذه الآية؟

- قلت له: الآية التى تقول ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (النساء: ٥٦).

كل يوم يأتينا رئيس للمؤسسة يعين ويرفت. .

- قال لى الرئيس السادات: لا . . فيه حاجة تانية قولى عليها. . سمعتها من محمد!

* سألت: محمد مين يا أفندم؟

- قال لى: محمد حسنين هيكل.

* سألته: ما هى؟

ـ قال: إن الذى يذهب إلى أخبار اليوم من شارع الجلاء، لابد أن يدخل يسارا ثم يتجه يسارا مرة أخرى!

وكان الرئيس السادات يعنى بذلك أن الشيوعيين هم الذين يحكمون أخبار اليوم!

وكان ذلك حقيقيا.. وكنت أطلق على «أخبار اليوم» وقتها برلين الشرقية.. وعلى «الأهرام» برلين الغربية! أعود إلى مقالتى عن «السلطان الحائر» فأقول إنه تم وقفى يوم ٣١ ديسمبر.. وكما تنبأ لى قارئ الكف الشهير محمد جعفر..

ـ الذى قال لى: إن شاء الله ـ ومن غير مقاطعة ـ يوم ٣١ ديسمبر السنة دى حاترفد!

* قلت له: طيب يا أخى ما تقاطع علشان ما اترفدش!

وأذكر أننى أخذت قارئ الكف نفسه إلى مصطفى أمين، وبعد أن قرأ كفه قال له: ربنا يلطف بيك أنت وأخوك.. أنا شايف إنكم مش حاتعيشوا مع بعض لحد ما تموتوا!

وفعلا دخل مصطفى أمين السجن ٩ سنوات.. وسافر على أمين.. وعاد بعدها ليمرض ويموت.. وعاش مصطفى أمين وحيدا.. حتى مات!

***

* أسأل أنيس منصور: وكيف كانت حياتك مع الرئيس الراحل أنور السادات؟

ـ يقول: رغم أن الرئيس عبد الناصر كان رجل حرب إلا أنه لم ينجح فى الحرب، ورغم أن الرئيس السادات كان رجل حرب، لكنه كان فى سلاح الإشارة فى الجيش فتعلم السياسة، ونجح فى الحرب ونجح فى السياسة..

* متى التقيت أول مرة بالرئيس أنور السادات؟

ـ فى الأسانسير!

* كيف؟

ـ أيام كان الرئيس السادات مشرفا على «أخبار اليوم» دخلت الأسانسير لأصعد إلى مكتبى فوجدته فى الأسانسير . .

* سألنى : أنت أنيس منصور؟

ـ قلت له : أيوه . .

* قال : أنا أقرأ لك فى أخبار اليوم ما تكتبه عن بوذا وكونفو شيوس . .

ـ قلت له : متشكر . .

كان الأسانسير قد وصل إلى الطابق الذى به مكتبى وخرجنا سويا وذهبت إلى مكتبى، وفوجئت بمن يحضر خلفى بسرعة . .

ـ ويقول لى : سيادة النائب عايزك . . ! عدت إلى مكتب الرئيس السادات . .

* فقال لى : أريد أن تكتب صفحة أدبية . . وبعدين عاوزك . .

فقمت فعلا بإعداد الصفحة الأدبية لكنى لم أذهب إليه، بعد أن تولى الرئيس السادات رئاسة الجمهورية، وكنت وقتها رئيسا لتحرير «آخر ساعة» . .

واتصل بى مصطفى أمين ليقول لى : مقالتك فى «آخر ساعة» عن الفارق بين جمال عبد الناصر، وأنور السادات أعجبت الرئيس السادات للغاية . . ولقد أخبرتنى بذلك السيدة جيهان السادات!

وكنت قد كتبت فى هذه المقالة أن جمال عبد الناصر كان يشعر بأن مصر «صغيرة عليه» فضم لها سوريا وليبيا والسودان والعراق واليمن، أنور السادات يشعر أن مصر يادوبك عليه» فأعاد لها اسمها بعد أن كان اسمها الجمهورية العربية المتحدة . . وكتبت أن جمال عبد الناصر طوال الوقت كان يجلس إلى المكتب . . بينما أنور السادات طوال الوقت خارج المكتب . . جمال عبد الناصر يتكلم فى التليفون طوال النهار، أنور السادات لا يتحدث كثيرا فى التليفون . . جمال عبد الناصر ينام بالمنومات . . أنور السادات لا يستخدم المنومات . . جمال عبد الناصر يصنع التاريخ لكن ليس لديه «حس تاريخى»، لكن أنور السادات لديه الحس التاريخى، ويقرأ ويضرب أمثلة . .

ـ يقول أنيس منصور : وقبلها كنت قد كتبت أهاجم محمد حسنين هيكل لأول مرة ، وقلت إن ما يطلق عليه «صحافة المجد والشرف» لا فيها مجد ولا شرف .

أين المجد فى أن تضع يدك فى جيب جمال عبد الناصر وتنشر أخبارا تنفرد بها ، طيب لو تمكنا نحن من جيب عبد الناصر لفعلنا نفس الشىء لكن أين المجد فى يد واحدة داخل جيب واحدة؟ وقلت إنه لا يجب أن يفخر هيكل بذلك ، أو بانفراده ، لأنه لم يكن فى منافسة مع أحد ، والطريف أننى بعد هذه المقالة قابلت محمد حسنين هيكل فى «الأهرام» . .

ـ فقال لى : يا أنيس . . فيه ناس بتسألنى إن كان أنيس منصور بهذه المقالة يهاجمنى أم يمدحنى ؟ !

ومن الذين فهموا من المقالة أننى أهاجم هيكل إحسان عبد القدوس الذى غضب من نشرى لهذه المقالة . .

ـ وقال لى : إزاى تعمل كده . . أنا مش عاوز مشاكل مع هيكل!

قلت له : يا أستاذ إحسان . . إذا كان هيكل نفسه موش عارف إذا كنت أهاجمه أو أمدحه؟ !

***

يعطينى أنيس منصور فرصة لأحتسى رشفة واحدة من كوب الشاى . .

ثم يعود للحديث قائلا : مع أنور السادات أعيد اسم مصر ، بعد أن عشنا فى غاية الحزن لأن اسمنا كان «الإقليم الجنوبى» ثم عمل الدستور ثم المنابر والأحزاب والمعاشات ، وحقق النصر العسكرى وطرد الخبراء الروس من مصر ، ولم يكتف بالنصر العسكرى واستثمره فى مفاوضات السلام من موقع القوة . . أخذنا أرضنا وسالمنا إسرائيل ، وهو أمل كل الشعوب المحيطة بها ، واتهم الرئيس أنور السادات بالخيانة والعمالة لمجرد أننا تفاوضنا مع اليهود لنأخذ أرضنا ، والذين اتهموه بذلك ذهبوا وتفاوضوا مع إسرائيل من وراء الدول العربية جميعها ، وبعد أن طلب أنور السادات من الفلسطينيين أن يجلسوا للتفاوض رفضوا وشتمونا ، وعندما اغتيل أنور السادات أذاعوا أسطوانة «افرح يا قلبى» ثم بعد ذلك اتفقوا مع إسرائيل من

وراء الأمة العربية كلها . . وأذكر أننا بعد النكسة وعندما انهال الهجوم العربى الإعلامى على مصر، رغم أن الذى حارب والذى استشهد هم المصريون أطلقت عبارة «إذا انتصرنا فنحن عرب . . وإذا انهزمنا فنحن مصريون»! وكأن «النصر عربى . . والهزيمة مصرية» ومع ذلك فعندما انتصرنا فى أكتوبر قلنا «نحن والعرب انتصرنا» لأن العرب كان لهم دور، السعودية كان لها دور وسوريا كان لها دور . .

* أسأل أنيس منصور : كيف توثقت الصلة بينك وبين الرئيس السادات؟

يقول : الصلة بدأت بأن أخبرنى بأنه معجب بالكثير مما أكتبه . . وذات يوم كنت عائدا معه على الطائرة من السعودية وكنت ما أزال رئيسا لتحرير «آخر ساعة» واستدعانى الرئيس السادات من مكانى فى الطائرة . .

* وقال لى : عاوزك تطلع مجلة جديدة زى الحوادث اللبنانية . . فكر فيها . . وتخيل شكلها . . وكلمنى؟

- ووقعت فى حيرة . .

وعندما أبلغت مصطفى وعلى أمين بالقصة أصرا على أن تصدر المجلة الجديدة فى «أخبار اليوم» . . وتحدث معى يوسف السباعى . .

* فقال لى : مادام السادات قال لك تطلع مجلة . . يبقى لازم تطلعها!

ولم أكن أعرف كيف يمكن أن تصدر مثل هذه المجلة . وفوجئت بصدور التشكيلات الصحفية وأننى عينت رئيسا لمجلس إدارة دار المعارف ورئيسا لتحرير مجلة «٦ أكتوبر» طيب من أين تصدر هذه المجلة . . ومن أين آتى لها بالمحررين؟ واتفق معى يوسف السباعى الذى كان رئيسا لتحرير الأهرام أن تصدر المجلة من الأهرام، وأعد لى بالفعل مكتبا هناك على أن يكون المحررون من الأهرام الذى سيتولى كل شىء، وبدأت فى عمل ماكيتات المجلة الجديدة، وتحدثت مع ممدوح سالم الذى كان وقتها رئيسا للوزراء فوعدنى بأن يساعدنى، وفى نفس الوقت بدأت صلتى بأنور السادات بالحديث فى السياسة . . وكان يبدى آراءه بتحفظ شديد، ولم يكن يعرف الكثير عن تاريخ اليهود أو الديانة اليهودية ولا المذاهب السياسية، وعندما كنت أحدثه فى هذه الموضوعات كان حريصا على أن يسمع، وأذكر أننى

ظللت أحدثه ذات يوم طوال ٧ ساعات متواصلة فى موضوع واحد. وهو تاريخ بنى إسرائيل والفلاسفة اليهود والشعراء والأنبياء اليهود من مختلف العصور، وكان يطلب منى أن أكتب له مذكرات وخطبا وكأنه يريد أن «يمتحنى» حتى اطمأن تماما.. وبدأنا فى تنفيذ مجلة أكتوبر، وأذكر أنه بعد صدور المجلة وعندما جاء أنور السادات لأول مرة إلى دار المعارف ولم يكن قد التقى من قبل بأحد من محرريها..

* فقدمت المحررين إليه قائلا: يا سيادة الرئيس.. اسمح لى أن أقدم لك أحفادك!

انزعج الرئيس السادات وهو ينقل بصره بين المحررين ومنهم كبار فى السن مثل محمود عبد المنعم مراد!

* فاستدركت قائلا له: أحفادك.. لأنهم أبناء إحدى «بنات أفكارك» يا أفندم اللى هى مجلة أكتوبر!

فاعتدل الرئيس السادات فى مكانه باسما!

غريب هذا.. «الأنيس منصور»!

إنك حين تستمع إليه لا تعرف إن كان يتحدث.. أو يكتب.. أو أن حديثه «بروفة لمقالة سوف يكتبها»!

وهو يجيد امتلاك «ناصية الحديث» كما يسمونها.. لذلك ألجأ معه إلى الحيلة الصحفية القديمة.. حيلة «المقاطعة»!

* فأقاطعه سائلا: ألم يغضب منك الرئيس أنور السادات؟

- يرد على الفور: لا.. مافيش سبب.. يغضب إذا فعلت شيئا مخالفا لما قاله. أو غطلت فى التصرفات الشخصية. أو أوفدت فى مهمة وتجاوزت حدودك. أو نسبت له كلاما لم يفعله. وهذا لم يحدث. لأن منطقى كان «إذا كان الرئيس السادات قد قربنى إليه. فليس معنى ذلك أننى قريب منه». وقد ضربت بهذا مثلا لم يعجب الرئيس السادات. عادة كنت أتمشى معه حوالى ساعتين. وذات يوم حضر عثمان أحمد عثمان..

* وقال لى: يا أنيس.. هات ترينج سوت - بدلة رياضية - وسيبها هنا. أريح لك بدل ما تمشى معانا لابس بذلة..

لم أرد..

* سألنى عثمان أحمد عثمان: ما بتردش ليه؟

- قلت له: يا عثمان بك كونى قريبا من الرئيس ليس معناه أننى قريب.. هو قربنى منه. زى ما تقرب فمك من التليفون. مش معنى ذلك إنك بتحب التليفون ولكن إنك عاوز صوتك يبقى أوضح..

* وفوجئت بالرئيس السادات يهب فى وجهى.. إخص عليك وعلى الفلسفة بتاعتك!

يقول أنيس منصور: كنت أعلم أنه لابد من وجود مسافة.. الرئيس رئيس.. والحاكم حاكم.. ولابد من الاحتفاظ بمسافة. وقد كنت حريصا على هذه المسافة..

* * *

* أسأل أنيس منصور: والرئيس حسنى مبارك؟

- يقول: أعرفه جيدا من أيام كان نائبا لرئيس الجمهورية وهو رجل بسيط متواضع صريح. وكان يتحمل عبئا كبيرا للغاية أيام الرئيس أنور السادات. لأنه فى العادة نائب رئيس الجمهورية يعرف أكثر مما يعرف رئيس الجمهورية نفسه. لأن كل المعلومات تصب عنده. وكان لحسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية حساد كثيرون. يحاولون الدس عند الرئيس السادات الذى كان معجبا به..

وأذكر فى يوم من الأيام كنت عند الرئيس أنور السادات فى القناطر الخيرية. وكان قد أوفد نائبه حسنى مبارك فى مهمة إلى السودان. وفوجئ به يحدثه بعد ٣ ساعات فى التليفون من الخرطوم..

* قال له: أيوه يا حسنى.. كويس.. تمام.. تمام.. وحاترجع إمتى؟

- رد عليه حسنى مبارك: مش عارف بالضبط..

وعندما وضع أنور السادات السماعة . . فوجئت به يقول لى . وكأنه يرد على شيء لا أعرفه : وهو واحد زى حسنى مبارك أجيب زيه منين؟

لما تلف مصر واحة واحة . . ما تلاقيش زيه . . مخلص ونشط وحاسم . لما يتحط فى مواقف يتصرف زيى بالضبط . . أجيب زيه منين يا أنيس . .

واعتقادى الشخصى أن من أعظم قرارات أنور السادات . أنه اختار نائبا فى غاية الكفاءة والإخلاص والوطنية . . الذى هو الآن رئيسنا محمد حسنى مبارك . .

***

يدق جرس تليفون أنيس منصور . .

وأستغل فرصة انشغاله فى الرد لأطلع حولى . . الحديقة خضراء والزهور فى كل مكان . . والبيت بسيط من ثلاثة طوابق . الأرضى مكون من عدة صالونات مليئة بالتحف من بلاد العالم . . على الحوائط لوحات أبرزها لوحة للملكة السابقة فريدة . الطابق الثانى للمعيشة . والطابق الثالث «صومعة» أنيس منصور . أو مكتبة ومكتبته المكدسة بآلاف الكتب ثم بعض الأجهزة الرياضية . . «لزوم الرشاقة» .

تنتهى المكالمة . .

* فأسأله : كيف تختار الموضوعات التى تكتب فيها؟

يقول : لابد أن أقول كلاما مفيدا وواضحا ومفهوما لأقل الناس تخصصا ولابد أن أستعمل أسلوبا يجذب القارئ ولابد من التنوع . لأن القارئ يشعر بالملل بسرعة وليس لديه وقت للقراءة . لابد إذن أن تكون المقالة سريعة ومليئة بالمعلومات وإذا قدرت أن تكون مرحا أو مسليا لا بأس . .

* أسأله : هل تغير نظام حياتك . . ومتى تكتب . . ومتى تقرأ؟

ـ يقول : لم يتغير فى حياتى شيء . . لقد عملت فى الصحافة أخذت منها أكثر مما يمكن أن تعطيه إلى أحد . ورأست تحرير ١٠ مجلات وحياتى منضبطة جدا . أستيقظ كل يوم فى الرابعة صباحا وأقرا وأكتب حتى الساعة العاشرة . وبعدها لا أفعل شيئا . ربما كانت لدى بعض جلسات مجلس الشورى لكن كل عملى من

الرابعة إلى العاشرة صباحا. علما بأننى لم أكتب سطرا واحدا فى مكتبى بأى جريدة أو مجلة عملت بها. كل كتاباتى فى البيت والعمل الصحفى لم «يطحنى» يوما ما. وأنا لا أسهر إلا فيما ندر. وعندما تدق الساعة الحادية عشرة مساء أكون قد استغرقت فى النوم تماما..

* من يزورك هنا فى هذا البيت؟

- قليلون.. وأغلبهم من الأهل..

* لماذا تعودت أن تكتب بالقلم الحبر الأسود؟

- يمكن لأن الضوء قوى.. وأنا نظرى «مش قوى».

* على أى نوع من الورق تكتب؟

- لا أستطيع الكتابة إلا على ورق أبيض «غير مسطر» وقبل الكتابة لابد أن أشرب كوبا كبيرا من الشاى المحلى بالعسل الأبيض. ولو كان العسل كثيرا «أتلخبط» وإذا كان العسل قليلا «برضة أتلخبط». وممكن جدا لا أستطيع الكتابة! وأنا من النوع الذى يكتب ويمزق الأوراق ثم أكتب مرة أخرى. ويوما أكتب ٧ مقالات ويوما لا أستطيع سوى كتابة مقالة واحدة. ثم إننى أكتب على ورق ناعم وكبير. أما الورق الصغير فقد كان يكتب عليه توفيق الحكيم والعقاد وهيكل وأحمد بهاء الدين. وورق صغير أبيض «قد الكف» على عكس مصطفى أمين الذى كان يكتب على ورق كبير. أما إبراهيم سعدة فمنذ بداية انشغاله بالصحافة وهو يكتب مقالاته بالآلة الكاتبة. والآن يكتب على الكمبيوتر مع أن خط يده «حلو قوى».

* * *

الحديث يتوقف قليلا..

لأن السيدة رجاء منصور زوجة أنيس منصور تقترب ومن خلفها شغال يحمل صينية من حلوى..

يشير أنيس منصور إلى أنحاء البيت وإلى زهور الحديقة..

ويقـول: كل هذا من «إخـراج» زوجـتى. . هى التى اختـارت وأشـرفت على ترتيب كل صغيرة وكبيرة. .

* أسأله: ما رأيك فى نظرية هنتجتون عن تضارب الحضارات؟

- يقول: هو لم يأتى بجديد. . كل ذلك قاله من قبل الفيلسوف الألمانى شبنجر عن دورات الحضارة. إن كل حضارة لها عمر. تماما مثل فصول السنة ربيع وخريف وشتاء وصيف أو طفولة وشباب ورجولة وشيخوخة. لكن لا توجد حضارة تلغى حضارة. لكن هناك أعمارا. لا نستطيع مثلا أن نقول إن الحضارة الأمريكية تقضى على غيرها. وإنما هى تؤثر على ما حولها بعض الوقت. وعندنا مثلا فى مصر. كان هناك العقـاد وطه حسين والحكيم والمازنى والرافعى ولطفى السيـد وهيكل باشـا ويوسف وهبى وعبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ وبليغ حمدى. كلهم كـانوا كـبار فى جيل واحد. أو بينهم عشر أو عـشرون أو ثلاثون سنة. لكن كلهم كـانوا جـيلا. الآن «مـافيش» وأنا شـخصـيا أعتقـد أن هذا شىء مزعج. لأن مـثلا الحضارة الإغـريقيـة فى القـرن السـادس قبل الميلاد وكـان فيهـا سقـراط وأفلاطون وأرسطو وهوميروس وفيثاغورث وسوفوكليس وغيرهم. بعد ٢٦ قرنا لم يظهر فى بلاد اليونان فيلسوف واحد. ولا أديب كبير ولا عـالم رياضى ولا موسيقار شهير. يعنى مرت بهم ٢٥ قرنا لم يظهر أحد. وفى الحضارة الألمانية فى الوقت الذى كـان موجودا ١٢ مـوسيقـاراً وشعـراء وفلاسفـة فى القـرن الثـامن عشر والتـاسع عـشر. وبعدهـم لـم يأت أحد. لا شاعـر مثل جيتة ولا موسيقار مثل بيتهوفن ولا فيلسوف مثل نيتشة. فى روسيـا كل سنوات الثورة السوفييتية السبعين لم يظهر أديب مثل أدباء ما قبل الثورة مثل ديستوفسكى ولا أمير شعراء الروس بوشكين. لم يظهر خلال الثورة السـوفييـتيـة سـوى كـتـاب «إعـلاميين» أو «إعـلانيين» حـتى الأديب الوحى الذى ظهـر وهو باسـترناك وحـصل على جـائزة نوبـل اتهـمـوه بالخيـانـة. أعطوا جائزة نوبل «لشولدخوف». وظهر ١٥ أديبا قالوا إن قصة «الدون الهادئ» مسروقة منهم!

- يقـول أنيس منصـور: وليس مـعنى ذلك نهـاية العـالـم. . لا. . الحـضـارات والشعوب تمر بدورات طفولة وشباب ورجولة وشيخوخة. تماما مثل دورة حياة

الإنسان. يعيش على الحيوان والنبات. . ثم يموت ويدفن فى الأرض ويظهر منه النبات الذى يعيش عليه الإنسان وهكذا. .

* أسأله: نعود إلى عالم الكتابة. . من هو «الكاتب السياسى» كما تراه؟

- يقول: فى كتابى فى السياسة كتبت فى مقدمته عن «تسييس الأدب» و«تأديب السياسة». بمعنى من هم كتاب السياسة يكتب فى الأدب. وطريقة كل فريق منهم فى الكتابة. والانشغال بالسياسة طبيعة الإنسان. وقد قال أستاذنا العظيم أرسطو «الإنسان حيوان سياسى». وسياسى تعنى الاشتغال بالعلاقات بين الناس. مثلا كلمة «ريببلك» م«كونة من كلمتين لاتينيتين». «ريس» يعنى شىء. و«بيوليكا» يعنى الشئون العامة. وأى إنسان لابد أن يعمل بالسياسة هو علوم وإدارة الشئون العامة. وأى إنسان لابد أن يعمل بالسياسة بهذا المعنى. لكن ليس كل من يشتغل بالسياسة يكون «سياسيا» فأنا مثلا عضو مجلس شورى منذ ١٨ سنة عن الحزب الوطنى. لكن لا أعتبر نفسى سياسيا رغم انتمائى الحزبى. لكن أعتبر نفسى «مشتغلا بالفكر السياسى» لكنى لست سياسيا بمعنى أن أمارس نشاطى الحزبى وأكتب فى السياسة إذا اقتضت الضرورة ذلك، وهناك آخرون على العكس. .

* مَنْ منَ الكتاب السياسيين. . يجذب اهتمام أنيس منصور؟

- «موش عايز أزعل حد». . لكن عندنا كتاب سياسيون آفاقهم واسعة. وعندنا أيضًا المتزمتون. والتعصب مظهر من مظاهر التخلف. التعصب معناه أن تقول «أنا صح وكل الناس غلط». والتعصب معناه «عمى ألوان». فيرى الشخص لونا واحدا فقط. لأ، الدنيا فيها كل الألوان بس أنت اللى ما بتشوفش! والمجتمعات المتحضرة هى مجتمعات التسامح والآراء المختلفة والأديان المختلفة والألوان المختلفة. ولا يوجد دليل أبلغ عن تطور أى مجتمع إلا التسامح الدينى والفكرى والعرقى. .

* * *

أتحدى أن يجلس أحد إلى أنيس منصور. . دون أن يضحك!

ذلك أن «جعبة ذكرياته» دائمًا تضمن الكثير والكثير من المواقف الضاحكة الساخرة. .

* بدليل أننى عندما سألته: دعنا من «أطول» رحلة فى حياتك.. كيف كانت «أقصر» رحلة؟

ـ قال على الفور: أقصر رحلة فى حياتى كانت للكونغو. عندما ذهبت مع بعض الزملاء الصحفيين والمصورين والقوات الدولية بقيادة الفريق الشاذلى لتدعيم موقف الرئيس باتريس لومومبا. وركبنا طائرة حربية أمريكية غير مزودة بأى وسيلة من وسائل الراحة. كنت أجلس مع الكاتب الصحفى المرحوم فوميل لبيب فى سيارة جيب داخل الطائرة المتجهة جنوبا، بينما السيارة مقدمتها إلى الشمال. فكأننا وصلنا الكونغو «بظهرنا» المهم أن الطائرة عندما وصلت فوق المينا عادت مرة أخرى لتعطل أجهزة التكييف بها. ثم عندما وصلنا إلى مطار الكونغو فوجئت بضابط مصرى يحضر إلينا نحن الصحفيين..

* وسألنى مين الحكمدار بتاعكم؟

ـ قلت له: يعنى إيه حكمدار؟

* قال: أكبر رتبة فيكم؟

ـ على الفور قلت له: أنا!

* قال لى: إذن أعطيك التعليمات وأنت تعطيها لزملائك!

ـ سألته: وما التعليمات؟

* قال: نحن غير مسئولين عنكم!

يعنى «نروح فى ستين داهية وما حدش له دعوة بنا».. هكذا كانت البداية سيئة. وكان معنا تحت مظلة الأمم المتحدة. وتبادلت معه أطراف الحديث خلال الرحلة..

* وكان قد قال لى: عندما تهبط الطائرة سوف تجد فى المطار كثيرين من أهل الكونغو شبه عاريين. إياك أن تسلم باليد على واحد منهم. لأن هذه المنطقة من أفريقيا مصابة بأمراض خطيرة لا علاج لها!

وفعلا لم أصافح أحدا فى المطار هناك..

بينما اندفع زملائى محمد عبد الجواد والمرحوم حمدى فؤاد وطارق حنفى

مصور الجمهورية وفوميل لبيب يصافحون الوطنيين ويأخذونهم بالأحضان. وبعدما انتهوا . .

- قلت لهم: فيه حد منكم عاوز يكتب وصية لأهله؟

* سألونى بفزع: ليه؟

- قلت لهم: الناس دول عندهم أمراض كذا وكذا. . وليس لهذه الأمراض أى علاج!

ويكمل أنيس منصور الحكاية الطريفة . .

- وكان علينا أن ننام فى حجرة ملحقة بإحدى الكنائس. ولم يكن بالحجرة سوى فراش واحد. وكانت مليئة بكل أنواع الحشرات وفوجئت بالمصور حفنى يسرع إلى الفراش ويحتله. وعندما لم أجد وسيلة للنوم غير جريدة أفرشها على الأرض. اقتربت من حفنى وأنا أهرش فى جسدى بشدة. .

- قلت له: أنت يا حفنى أكلت من اللحم التى قدموها لنا؟

- قال لى: أيوه. .

- قلت له: يا خبر أسود. . دى لحمة قرد. . موش شايفنى باهرش إزاى؟

هب حنفى مذعورا وترك الفراش والحجرة كلها. . فأغلقت الباب وراءه وصعدت لأنام على الفراش!

. . يضحك أنيس منصور بشدة. .

- ويقول: وعدنا فى اليوم التالى. . وكانت هذه أطول رحلة فى حياتى!

* * *

* قلت لأنيس منصور: عندما كتبت رحلتك «٢٠٠ يوم حول العالم» انشغل الناس فى مصر فترة طويلة بحكاية تحضير الأرواح عن طريق «السلة» ما حكاية هذه السلة. . وهل كانت حقيقية فعلا؟

- قال: أنا رجل درس الفلسفة والغيبيات ليست «غريبة» علىّ. أقول إنه لا دين

بدون غيبيات. لأن الله غيب والملائكة غيب والجن والشياطين غيب والمستقبل غيب. فإذا لم يكن هناك إيمان بالغيب لم يكن هناك دين. هكذا فإن الحديث عن الغيبيات لا يتنافى مع الدين. ولقد كان أغيب دائماً من مشاكلى الفلسفية لأنى دائما كنت مشغولا بقضايا الله والنفس والحياة بعد الموت. والكلام عن العالم الآخر واستدعاء ناس منه. بأى وسيلة كلام أراد وليس بمستغرب وإن لم يكن كلاما علميا.. والذى حدث أننى عندما زرت إندونيسيا التقيت بصديقى أحمد والى - شقيق الدكتور يوسف والى - وكان أحمد يعمل سكرتيرا ثالثا بالسفارة المصرية فى چاكرتا. وعرض علىَّ أن نذهب إلى باندونج لمشاهدة تجربة لتحضير الأرواح بالسلة فذهبت معه إلى بيت سيدة مصرية تعيش هناك اسمها فوزية متزوجة من رجل إندونيسى يمتلك مصنعا للزجاج. وكان معنا السفير المصرى جلال عبد الرازق والملحق العسكرى لطفى متولى..

وأحضروا «سلة» وطلبوا من اثنين منا أن يمسكا بالسلة بعد أن وضعا بها قلما واحضروا ورقة. وقالوا لنا إن السلة سوف تكتب وحدها! وهى طريقة فى إندونيسيا يسمونها «جالا نكوم» وجالان بالإندونيسى يعنى شارع. واللغة الإندونيسية ليس بها مثنى أو جمع. فالشوارع يطلقون عليها «جالان جالان» أما جالانكوم فتعنى «الشارع انفتح»!

وأصابنى الذهول عندما وجدت القلم يكتب بالعربى وأنا أحمل السلة مع أحمد والى..

سألنا السلة: عايزين روح شكسبير؟

ففوجئنا بالقلم يكتب باللغة الإنجليزية اسم شكسبير.. الله؟

ظللت غير مصدق..

فخرجت مع سائق السفير أحضرنا اثنين من الشارع من أهل جاكرتا. وطلبت منهما أن يحملا السلة. فأخذت السلة تتحرك «وتتنطط» بشدة..

* فسألتها: أنت مين؟

- وجدت القلم يكتب: أحمد أبو زيد!

* سألته مين أحمد أبو زيد؟

- كتب القلم: حشاش.. من باب الشعرية!

* سألته: يا اللى فى السلة.. اكتب لى أسماء إخوتى بالترتيب..

فوجئت بالقلم يكتب أسماء إخوتى - ١١ أخا بالترتيب. وكان ذهولى أننى دارس الفلسفة أقوم بتدريسها أيضا.. طيب أقول للطلبة والقراء إيه الحكاية دى؟

وقررت أن أمتحن السلة.. أكثر!

* فسألت السلة ما سبب خناقتى مع السيدة روز اليوسف؟

- كتب القلم: الفلوس!

وكان هذا حقيقيا فعلا. فقد كنت أحصل أسبوعيا منها على ٤ جنيهات. وتشاجرت معها أننى كنت أكتب أخبار الملك فاروق وقصصا أخرى. فرفعت المكافأة إلى ٦ جنيهات..

* عدت لأسأل من فى السلة: طيب.. لماذا كان خط روز اليوسف «مكسرا»؟

- فوجئت بالقلم يكتب: لأنها ما بتعرفش تكتب!

وهذا حقيقى فعلا لأنها تقوم بإملاء موضوعاتها. كانت تحكى لى ولبهاء ولصلاح حافظ ونكتب ما تقوله. ونشرت القصة فى «آخر ساعة» وحدث خصام بينى وبين إحسان عبد القدوس لمدة سنتين!

المهم سافرت من إندونيسيا إلى أستراليا.. ومنها إلى الفلبين حيث حكيت القصة لسفيرنا هناك وكان اسمه «الظواهرى» ابن شيخ الأزهر. وكان له أخ - كما حكى لى - اشتغل بتحضير الأرواح وقتل العفاريت. وكان السفير الظواهرى ينام والنور مطفأ مثل كل الناس لكن بعد أن حكيت له حكاية السلة أصبح ينام والمصابيح مضاءة كلها.. خوفا من العفاريت!

ثم سافرت إلى هونج كونج..

وأخبرنى أحدهم هناك أن أحد السحرة يقدم لى تعويذة أقرأ وأردد بعض عباراتها باللغة الصينية. وإذا كان أمامى كوب. سأجد الكوب يلف حول نفسه!

وذهبت فعلا . .

وذهلت أن الكوب تحرك بالفعل . وعدت إلى الفندق أجريت التجربة فذهلت لأن الكوب دار حول نفسه . ومن خوفى قمت بتمزيق الورقة التى تحمل التعويذة . . وعندما سافرت إلى اليابان حكيت للجالية المصرية عما حدث. فانشغلوا جميعا بحكاية السلة . وعندما وصلت إلى أمريكا كتبت القصة كلها . وعندما عدت إلى مصر فوجئت «بجنون السلة» وقد أصاب الناس . وسافرت للراحة قليلا إلى إيطاليا . وفوجئت بعلى أمين يتصل بى . .

* وقال لى : زملاؤك اختاروك رئيسا لتحرير الجيل . . تعال بسرعة . .

وجعلتنى المكالمة أعتقد أن شيئا قد حدث لوالدتى . وكنت خلال رحلتى حول العالم وحتى لا أصيبها بالقلق . بلغت صديقى كمال الملاخ أن يرسل لأمى كل يوم خطابا ينتحل فيه شخصيتى ويقول لها فيه إننى مسافر إلى الإسكندرية . وقد عثرت بعد عامين عند أمى على ١٥٠ خطابا كلها باسمى كتبها الملاخ ويحكى لها فيها حكايات غريبة . بل إنه فى أحد الخطابات قام بعمل رسم لها . . على أننى الذى رسمته!

المهم . . عدت إلى القاهرة . .

وفوجئت بجنون «السلة» أصاب الناس . لدرجة أن باعة الصحف كانوا ينادون فى محطة مصر قائلين «سلة أنيس منصور»! وبدأ الناس يطلبوننى من كل مكان فى تليفون البيت . وكلما غيرت رقم تليفونى . أخبرتهم السلة بالرقم الجديد! حتى عدت ذات يوم إلى البيت لأجد طفلين فى مدخل البيت . قالا إنهما جاءا لمقابلتى . .

* أصل بابا . . موش راضى ينصرف!

وتبين أن الصبيين قاما بتحضير روح والدهما المتوفى . . ولم تنصرف الروح . فحضرا لى لكى أقوم بصرف الروح بمعرفتى! لكن المرة الوحيدة التى ندمت فيها . كانت عندما حضر لى وكيل وزارة مع زوجته وابنته . التى كانت مخطوبة لطيار استشهد فى العدوان الثلاثى . وتلبست روح الطيار جسد الفتاة بعد أن أحضروها

بالسلة. وشعرت بالندم وقمت بعرض الفتاة على الأطباء النفسيين وخبراء تحضير الأرواح. حتى شفيت فرفعت يدى عن موضوع السلة تماما.. وقررت ألا أكتب عنه حرفا واحدا..

* أسأل أنيس منصور: لهذا السبب فقط توقفت عن الكتابة فى حكاية السلة؟

- يقول: أيضا كان موقفى صعبا.. لا أستطيع إثباتها ولا أستطيع إنكارها. وعندى مسلمات عقلية أن العلم الحديث لم يصل إلى أشياء كثيرة..

* أقول له: يعنى لو أحضرت الآن لك سلة.. ممكن نحضر بها أى روح؟

- يقول على الفور: آه.. بس تعملها فى بيتكم!

* أقول لأنيس منصور: كيف تبرر إقبال كثير من الناس على مثل هذه الأشياء؟

- يقول: هناك لدى الإنسان خوف من المجهول. وبدون خوف لا يوجد دين. لأن أساس الجزاء والصواب الخوف. والمثل يقول «الإنسان عدو ما يجهل» لذلك توجد المحاولات للتكهن ومعرفة الغيب سواء بالمندل أو قراءة الكف والفنجان والبللورة.. وهناك قصة شهيرة قالها نجيب محفوظ كتبتها واعتذرت له فيما بعد. فقد أخبرنى أنه وهو طالب قرر ذات يوم أن ينتحر لسبب ما. بأن يلقى بنفسه فى النيل. وذهب فعلا ووقف على الكوبرى فشاهده أحد زملائه..

* وسأله زميله: بتعمل إيه يا نجيب؟

- رد نجيب محفوظ: لا أبدا.. أنا أبص على السمك!

فأخذه صاحبه إلى شخص يدعى «فردى» كان قسيسا يعيش فى شقة بشارع ٢٦ يوليو. وكان مهتما بهذه المسائل ويقرأ الطالع فى كرة بللورية..

أعطى نجيب محفوظ ٢٥ قرشا لفردى لكى يقرأ له طالعه..

* سأله «فردى» بعد أن نظر فى البللورة: ماذا تعمل؟

- قال له نجيب: أنا تلميذ..

* قال «فردى»: أنا شايف كتب كتير قوى.. أنت كنت عاوز تموت نفسك يا حمار يا مغفل.. ده أنت حتبقى أعظم واحد فى البلد.. امشى اطلع بره!

وهكذا وبنبوءة «فردى» أصبح نجيب محفوظ الطالب بكلية الآداب قسم الفلسفة الأديب نجيب محفوظ الذى حصل على جائزة نوبل. وفى فترة الستينيات كنت أعد برنامج «نجمك المفضل» للتليفزيون. أحضرت «فردى» هذا ومحمد جعفر قارئ الطالع و«والست فيفى كركور» قارئة الفنجان الشهيرة وقتها أيضا المرصفاوى الذى كان يعمل بالمندل. وتحدثوا بكلام كتير. بعضه كان صحيحا.. إزاى ماتعرفش!

يصمت أنيس منصور لحظة..

ـ ثم يروى قصة أخرى مثيرة قائلا: ذات يوم قرأت عن السيدة اليهودية التى تنبأت بأن الرئيس السادات سوف يغتال عام ١٩٨١. واسمها مريم مايرسوف وزوجها كان مديرا للأمن فى حيفا. وقد نشرت الجرائد الإسرائيلية نبوءتها. تحدثت مع وزير الداخلية النبوى إسماعيل عن ذلك..

* فقال لى: أنا تعبت معاه.. وطلبت منه أن يرتدى البدلة الواقية من الرصاص لكنه يرفض..

ـ فقلت لنفسى: لازم أقول للسادات! وذات يوم كنا نتمشى..

ـ فقلت له: يا رئيس أولاد الإيه اليهود نشروا كذا..

* فقال لى: اسمع.. لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. وأبو العلاء المعرى قال:

مشـــيناها خــطى كتبت علينـا

ومن كتبت عليه خـطى مشــاها

ومـــــن كـــانت منيتــة بأرض

فليس يمـوت فى أرض ســـواها

وحضرت مريم هذه إلى مصر..

وحددت لسيد مرعى موعدا معها. دون أن أخبرها بوظيفته. وزعمت لها أنه طبيب مصرى مهاجر فى كندا.. وذهب سيد مرعى للقائها فى فندق هيلتون. قرأت له فى الفنجان والكف والكتشينة الكبيرة التى يسمونها «الطاروت»..

ـ فقالت مريم لسيد مرعى: أنت عندك خيل؟

* قال لها: أيوه . .

ـ قالت له: عندك حصان لديه علامة بيضاء فى جبهته سوف يموت!

انزعج سيد مرعى جدا . . والذى حدث أن الحصان فعلا مات بعد ثلاثة أيام . . أين رأت مريم الحصان فى فنجان القهوة . . وكيف عرفت؟

* وقد سألتها أيامها: كيف تمكنت من قراءة كف الرئيس السادات؟

ـ قالت لى: من الخطب التى كانت تنشر له فى الصحف وهو يرفع يده إلى أعلى!

ما زال لدى أنيس منصور المزيد من هذه القصص العجيبة . .

ـ يقول: فى أسوان التقيت برئيس جمهورية إسرائيل حاييم هيرتزوج وزوجته مصرية من الإسماعيلية وأختها متزوجة من أبا إيبان . .

* وفوجئت بها تقول لى: هات أشوف بختك!

فأعطيتها يدى . .

* وفوجئت بها تقول لى: أنت مرشح لحاجة كبيرة فى بلدك . . وأيضا ستحصل على شىء من بلاد بعيدة جدا . .

وفعلا وفى نفس الأسبوع حصلت فى مصر على جائزة الدولة التقديرية . وبعد أسبوع تلقيت خطابا من عمرو موسى الذى كان سفيرنا فى الهند يخبرنى أن البرلمان الهندى منحنى جائزة الإبداع الفكرى لدول العالم الثالث!

* * *

رحلة الحوار تقترب من محطة النهاية . .

* أسأل أنيس منصور: كيف ترى الصحافة المصرية الآن؟

ـ يقول: لا أريد أن أنظر نظرة متشائمة . . لكن أنا مشغول بالشباب . لأن الكبار لن يتغيروا . . وحلمى إعطاء الشباب فرصا أكبر . تماما كما فعلت مدرسة أخبار اليوم التى أعطت كل المواهب الشابة كل الفرص والإمكانات . والمطلوب من

الشباب أن يقرءوا وأن يتعلموا اللغات وألا يتعجلوا النشر. وأن يقرءوا أكثر مما يكتبون. وأن يبتعدوا عن سرطان «التحرير الإعلانى» وألا يعملوا فى أكثر من صحيفة. لأن ذلك يكون على حساب قيمة العمل الصحفى والكتابة الصحفية . .

* هل يستطيع أحد من شباب هذه الأيام . . أن يقوم بنفس رحلتك حول العالم؟

ـ المهم أن يسافر الشباب إلى أى مكان . . لقد اقترحت على وزارة التربية أن تعمل ما يسمى «باليوم السابع» وذلك بأن يسافر طلبة القاهرة إلى الإسكندرية ويحضر طلبة الإسكندرية إلى القاهرة. ويطير طلبة مطروح إلى أسوان ويذهب طلبة أسوان إلى مطروح لكى يعرف الشاب بلده. ويتعود على الرحلة والاعتماد على نفسه. ولابد أن نشجع الشباب على ذلك ونعطيهم بدلا للسفر. وأن يسافروا ليس فى الدرجة الأولى ولكن فى الدرجة الثالثة «ليعرفوا أكثر» . .

* * *

مثل أى رحلة . .

عندما تصل إلى نهايتها يكون الوداع . .

على باب المزرعة وقف أنيس منصور يودعنا . .

* قلت له : سؤال أخير . . ماذا يسعد أنيس منصور الآن؟

وعلى وجهه ابتسامة رضاء . . وفى عينيه بريق حياة . .

ـ قال كل حاجة . . أنا عايش كويس . . أنشر ما أكتبه . . وتصدر لى كتب مازالت الأكثر رواجا . . وهذا فى حد ذاته متعة لا تعادلها متعة أخرى . . ثم إننى أعيش السنة الثانية «ب . ج» أى بعد الجلطة . . والحمد لله . .

* * *

وبعد أن عدت جلست لأكتب نص الحديث . .

* ترى هل ستقولون نفس ما قلته بعد أن فرغت من قراءته . . هو ده فعلا . . أنيس منصور!

رسائل .. أسمهان وعبد الوهاب
وعبد الحليم حافظ

عندما تكرمت السيدة هدى التابعى وأعطتنى شرف قراءة «أوراق التابعى» بما نشر منها وما لم ينشر. واستغرقت شهورا فى قراءة هذه الأوراق. شعرت فى بعض الأحيان بالغيرة والإعجاب معا. تجاه ذلك الرجل الذى كان بحق مدرسة صحفية متفردة. ولم يكن ذلك بسبب براعة أسلوبه الجذاب الذى تعلم منه كثيرون فى شاعر الصحافة فى مصر. وقد أصبح أغلبهم من مشاهير الصحافة. وإنما لأن محمد التابعى لم يكن فقط يكتب عن الحياة التى تحيط به، بل كان يعيش هذه الحياة حتى «الثمالة»!

ولقد كتب التابعى عن القصور.. لكنه كان يعرف - وعن قرب - الملك فاروق والملكة نازلى والأسرة المالكة وأمراء تلك الأيام، بل ورؤساء وملوك كثير من الدول العربية.

وكتب التابعى فى الفن.. لكن مشاهير الفنانين فى مصر كانوا أصدقاءه، وضيوفا دائمين فى عشته الشهيرة فى مصيف رأس البر، بداية من كوكب الشرق أم كلثوم إلى أسمهان.. وغيرهما!

وقد شهدت هذه «العشة» وشقته فى الزمالك فصولا ربما لم تعرف حتى اليوم عن قصة حبه للفنانة أسمهان. والمؤكد أنه كانت لأسمهان مكانة خاصة متميزة فى حياة محمد التابعى. وقد كتب التابعى فى «آخر ساعة» قصة حياة أسمهان. ثم أصدر كتابا عنها.

ولكن أوراق التابعى كانت تحوى العشرات من رسائل أسمهان إليه. وكذلك عدد من رسائل مشاهير الفنانين مثل محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ.

وهذه الرسائل تكشف الكثير عن بعض جوانب شخصية التابعى. وعلاقاته الحميمة مع أهل الفن فى ذلك الوقت. وهى أيضًا تكشف جوانب طريفة ومؤثرة وإنسانية فى شخصيات نجوم الفن من أصدقاء أمير الصحافة.

فلماذا لا نرحل مع هذه الرسائل . . إلى عالم التابعى . . وعالم هؤلاء النجوم!

ومن أطرف هذه الخطابات رسائل عبد الحليم حافظ إلى محمد التابعى .

ومنها رسالة أرسلها من لندن وبالتحديد من مستشفى سان جيمس بلهام حيث كان يعالج هناك . وكان التابعى قد كتب مقالا بعنوان «الفرخة التى تبيض ذهبا» . قال فيه إن أهل عبد الحليم حافظ يدفعونه للغناء وهو مريض من أجل المال . لكن عبد الحليم كتب هذه الرسالة للتابعى ليدافع عن أسرته ويخبره بالحقيقة .

قال عبد الحليم حافظ فى رسالته :

«أستاذنا الكبير . . الأستاذ التابعى . . تحياتى واحتراماتى وحبى العميق . الذى أكنه لك دون أن تعرف . . أستاذى الجليل قرأت فى مستشفاى بلندن مقالك العظيم الذى كتبته عنى بعنوان «الفرخة التى تبيض ذهبا» وأنا أشكرك من كل قلبى عن كل ما جاء عنى فى هذا المقال العظيم . .

أستاذنا الكبير . .

إن كل ما جاء فى تقرير الأطباء عنى هنا هو أننى شديد الحساسية . وهذا هو بيت الداء .

فأنا فعلا يا أستاذى أعيش بإحساسى . أحس كل ما حولى . انفعل بإحساسى وأنا أغنى . . وأنا أتكلم . . وأنا أجلس . . وأنا أنام . . وأنا أفعل أى شىء . . ترانى أحسه بكل ما فى . . وأحاول أحيانا ألا أحس . . فأعرف بإحساسى أننى أحاول ألا أحس . . وعلتى أن إحساسى دائما حزين!

وقد يقول البعض : مال شدة الحساسية التى قررها الأطباء ومال هذا الإحساس؟ وكما قلت أنت يا أستاذنا إن أى شخص يحس يعيش على أعصابه . . وأعصاب الإنسان تتحكم فيه وفى كل صحته . وأنا أعتقد أن أى شخص حساس لابد أن تكون عنده هذه الحساسية الطبية .

شىء واحد يا سيدى جاء فى مقالك العظيم . وهو الخاص بأهلى . وأنا أقسم لك أنهم لم يحاولوا يوما أن يدفعونى إلى العمل أبدا . بل على العكس إنهم دائمًا

يحـدثوننى عن راحـتى وأنه لابد لى من الراحـة . . ولكن الذى يعـمل هـو أنا . . والذى يسهر هو أنا . . لماذا؟ لا أدرى!

إنه ليس المال على كل حال!

لأنى لا أملك شيئا والحمد لله . . فأنا لا أفكر فيه ولا فى جمعه . . وأحب أن تعلم يا أستاذى العظيم أننى متعاقد على خمسة أفلام فى ثلاث سنوات لا فى سنة واحدة .

وأعود إلى أهلى فأقول . .

إن شيئا فى داخلى هو الذى يدفعنى إلى العمل . . وأقسم لك أنه لو جاء على يوم بدون عـمل . . أحـاول أن أخلق لى عـمـلا فى هـذا اليـوم . . إن الشىء الذى يدفعنى ربما هو . . الخوف من المجهول!

أو ربما هو الهـدف الفنى الذى أعـيش وأعـمل من أجلـه . . وأعـتـقـد أن هذا هو الصحيح . لأننى أحس براحة بعد أى عمل جديد أقدمه إلى الجمـهـور . . أحس براحة أعصاب وراحة إحساس وراحة صحية!

أستاذى . .

إن الذى يدفعنى للعمل ليسوا أهلى . . إنه أنا . . أو على الأصح هو الفن . . هذا ما أردت أن أقوله لك يا أستاذى الكبير . . أما عن حادثة رأس البر . . فالذى جعلنى أسافر هو أن واحدة من أهل السوء اتصلت بأهلى تليفونيا ، وقالت لهم إن عبد الحليم مات وهو فى طريقة إلى رأس البر . وكان الذى كلمنى الأستاذ مصطفى وهو على ما أعتقد مازال يذكر هذا الحادث . أما الذى حدثنى عن الحفلة فقد كان متعهد حفلات ذكر اسمى فى الإعلانات دون علمى ورفضت الذهاب إلى الحفلة بالمرة . رغم أننى سافرت إلى القاهرة لأطمئن شقيقتى التى مرضت بسبب إشاعات أهل السوء!

أستاذنا العظيم . .

مهما حاولت أن أشكرك فلن أستطيع أبدا أن أصل إلى ما أحسه نحوك من شكر

عميق . . وكل ما أملكه هو الدعاء لك بالصحة . وأن يبقيك الله لنا لكى نرى الطريق الذى نسير فيه . ومرة أخرى شكرا على مقالك فقد أحسست أننى شىء مهم . لأن من يكتب عنه التابعى لابد أن يكون شيئا مهما . . شكرا لك . . أبقاك الله لنا ولأولادك . . ولهذا الجيل الحائر . .

التوقيع : عبد الحليم حافظ

٢٧ / ٤ / ١٩٥٩

ملحوظة : عذرا للأخطاء!

***

أما رسالة عبد الحليم الثانية لمحمد التابعى فقد أرسلها إليه أيضا من لندن . . وكان قد كتب مقالا عنيفا هاجم فيه عمر الشريف . وقال إن عمر ذهب إلى عبد الحليم وهو مريض وأخذه ليسهر معه ، وأن هذا تصرف غير وطنى من عمر الشريف . وخاصة أن عبد الحليم أصيب فى صباح اليوم التالى بنزيف وعاد مرة أخرى إلى المستشفى .

فأرسل عبد الحليم إلى التابعى رسالة يقول فيها :

أستاذنا الكبير . .

من فراشى بمستشفى سان جيمس بلندن أبعث لك تحياتى واحترامى وحبى . راجيا من الله أن تكون متمتعا بكل الصحة والعافية . وأن يكون ابنكم الحبيب قد من الله عليه بنعمة الشفاء .

أستاذنا الكبير . .

أكتب لك هذا الخطاب بعد أن قرأت مقالك الذى كتبته عنى فى «آخر ساعة» . إنه إنذار كله رقة وحب . ولكن هناك شيئا مهما نزع قلبى . هذا الشىء هو ما جاء فى مقالك عن الصديق الأخ عمر الشريف .

أستاذنا الكبير . .

أنت رجل عادل وكل ما تكتبه حقيقة. وأنا أحب أن أبين لك حقيقة مهمة هى أن عمر الشريف لم يسهرنى. . بالعكس أنا الذى أجبرته على السهر معى فى هذه الليلة. وقد حاول مرارا أن يذهب بى إلى المنزل ولكنى كنت أرفض. وأنا لا أكتب هذا دفاعا عن عمر. ولكنها وأقسم لك بشرفى الحقيقة!

وقد تسألنى لماذا فعلت هذا؟

لقد كنت فى ضيق نفسى فظيع لا أدرى له سببا. . من أول النهار وأنا فى قلق غريب. . ذهبت إلى المسرح. . وذهبت للمشى حتى أحاول أن أهرب من هذا الضيق. . ولكنه ظل كما هو يعبث فى نفسى ويهز أفكارى.

واتصلت بعمر من الطريق. . وعمر صديق عزيز على. . وأخ ورجل. . ومصرى مائة فى المائة. . وذهبت له. . وجلست معه. . نتناقش أحيانا ونلعب الكومى أحيانا. . وكان عمر كأى صديق حساس يحس بضيقى وقلقى.

وكان يقول لى: يا حليم. . إن كل شىء إن شاء الله حيبقى كويس. . وإن شاء الله العلاج حايجيب نتيجة كويسة. . خليك مع الله ولا تخف ولا تقلق. . بس حاول إنك تحافظ على نفسك وعلى صحتك. . قوم بقى عشان تنام وتستريح!

كنا نتكلم عن الفن. . وعن مصر. . إنه مصرى يا أستاذنا يحب مصر وأصدقاؤه كلهم من مصر. لم يحاول أن يتنكر لأحد منهم. وعمر سوف يحضر إلى القاهرة. إنه فى الطريق إليها فعلا. إنها حرب عليه غرضها التقليل من قيمته الفنية الباهرة. التى يكنها له كل العاملين فى حقل السينما العالمى. إنه مصرى يعمل باسمه ولم يغيره. يعمل لكى يثبت للعالم أن الفن ليس مقصورا على أوروبا وأمريكا فقط. . وقد أثبت!

أستاذنا الكبير. .

هذا هو عمر الشريف. . وهذا ما درا بينى وبينه فى هذه الليلة. . أجبرته على السهر. رغم أن عنده تعليمات بالنوم الساعة ١٢ على الأكثر. . ولكنه كان يحس قلقى وضيقى. . ونزلت من عنده حوالى الساعة الثانية إلا ربع. . ماذا حدث؟ جعلت أسير على قدمى فى الطرقات. أحاول أن أنسى هذا القلق. . سرت. . وسرت. . وأخيرا ذهبت إلى المنزل أحاول النوم فلم أستطع. . أخذت منوما وأنا

أكرهه . . لكنى لم أنم . . قلق . . قلق . . لا أدرى له سببا غير أنه يعبث بكيانى . . وظللت إلى الصباح . . وصحى من معى .

ـ وقلت لهم اتصلوا بمستر تانر . . ولم نجده . . وأخذت حقنى ونمت بعض الشىء . وجاء الأستاذ عبد الوهاب وتغدينا معا . . وبعدها جاء عمر الشريف .

وقال لى أنا جئت للاطمئنان عليك لأنك إمبارح كنت مش عاجبنى أبدا!

ونزلوا . .

وأحسست بالنزيف . . ونقلت إلى المستشفى . . وأجرى لى نقل دم . . وبعدها وقف النزيف . . وبكل جهد مع الأطباء هنا حاولت أن أعرف سبب هذا النزيف . . وعرفت أن الحقن التى أعالج بها تفعل ذلك أحيانا . . وأنهم ما كان يجب عليهم أن يخرجونى من المستشفى وخصوصا أننى أخذت كمية كبير من الدواء فى المرة التى سبقت النزيف .

أستاذنا الكبير . .

إنها غلطتى فعلا . إننى سمعت كلامهم وخرجت من المستشفى . إننى ساعة خروجى لم أكن طبيعيا . كنت غير متمالك لنفسى . فكان يجب على ـ وأنا أدرى الناس بنفسى ـ أن أبقى!

أستاذى . .

لقد أطلت عليك . . لكنى أعرف أنك دائمًا تكتب الحق . . وأردت أن تعرف الحقيقة منى . . وكلى رجاء أحلفك بابنك وكل غالى . . أن تحاول أن تنشر للناس هذه الحقيقة . فقد ظلم الناس عمر الشريف . ولا أريد أن تظلمه أنت أيضًا .

أبقاك الله وأدامك لى . ولبلدك الذى ترفع من شأنه بقلمك . وتقبل خالص شكرى على اهتمامك بى . وإلى لقاء قريب إن شاء الله . . بجوارى الصديق الحبيب كمال الطويل وقد عرف الحقيقة ويهديك السلام والحب . . وأنا أيضًا!

توقيع : عبد الحليم حافظ .

***

هكذا كانت رسائل عبد الحليم حافظ إلى محمد التابعى . . نموذجا للعلاقة بين فنان كبير حساس مخلص لفنه ولوطنه ولأصدقائه يدافع عنهم حتى وهو فى أقسى حالات المرض والألم.

أما خطابات محمد عبد الوهاب إلى التابعى فقد كانت شيئا آخر!

فعبد الوهاب الذى كان ينادى التابعى بلقب دلع «فيشفش» كان مرحا فى رسائله. وتكشف هذه الرسائل ليس فقط عن إعجاب النساء بعبد الوهاب فى ذلك الوقت . . بل أيضًا على أن هذا الإعجاب . . كان متبادلا!

من باريس أرسل عبد الوهاب رسالة إلى التابعى يقول له فيها :

عزيزى فيشفش . .

كنت أسمع عن محمود أبو الفتح منك . . ولكنى تأكدت من كلامك. وأنه خفيف المضروب. وذلك من اجتماعنا على الباخرة. قضينا سفرية لطيفة. البحر هادئ وكانت فى المركب غادة هيفاء «هوس» وأنا كنت ناوى أسافر وراها عملا بمبادئ الأستاذ التابعى. ولكنى لقيتها مسافرة السويد. وأنت عارف إنى ما استحملش البرد أكثر من ٤٠ فوق الصفر. وعلى ذلك نويت أنى أروح شتل جيون.

قبل آخر يوم من وصولنا جنوه - الأحد - أقمنا حفلة على الباخرة وشرفتها جلالة الملكة والبرنسيسة فائزة. وقد غنيت قطعة «عندما يأتى المساء». وطلبت جلالة الملكة قطعة أخرى فغنيت «يا وابور قولى رايح على فين» «تاكل ضانى تهضم بقرى». وكان المسافرون جميعا جالسين فى صالون كبير. والملكة والبرنسيسة والحاشية جالسين فى صالون آخر صغير. لكن كان ممكنا لهم أن يشاهدوا الحفلة.

وقد «التخمت» عندما «أتى المساء» ولم أجد الأسموكنج وكنت لم أخذه عملا بنصائحك الرشيدة. والسلام قبلونى على علاتى وكانت ليلة لطيفة . . إذا صح عزمك على الحضور فعنوانى بنك مصر باريز. وسلم لى على الجناحين مصطفى وعلى . . وإلى اللقاء.

توقيع : عبد الوهاب.

***

وبنفس «خفة الدم» أرسل عبد الوهاب رسالة أخرى من باريس إلى التابعى يقول له فيها :

أخى التابعى . .

أبعث إليك بأرق عواطفى وأجمل تمنياتى . وأحمل النسمات الناقلات لى أنفاس المحبين وهم بين الأشجار . مش عارف بإيه وإيه وإيه إلى آخر هذا التهجيص الشعرى الرائع !

اسمع ما جرى للشاطر محمد عبد الوهاب بالتمام والكمال . .

نصح لى الأطباء بالذهاب إلى شتل جيون بلدة المياة المعدنية للأمعاء . فحملت مصارينى العزيزة وذهبت بها إلى هناك . وأهل تلك البلاد يسمون المياه فى شتل «مياه الحياة» . وقد أردت التأكد من أن المياه المسكينة غرقانة العمر ده كله فى هذه المياه . فسألت سيدة تشغل وظيفة رئيسة الحى هناك .

قلت لها : لماذا يسمون الميه هنا «ما الحياة»؟

فقالت لى : لأنه يوجد عالم كيماوى هائل أحضر بعض ميكروبات وقطع منها بعض أعضائها ، وحطها فى الميه ونظر إليها بالميكروسكوب فوجدها عايشة فى أمان الله !

وعلى فكرة . . العالم الكيماوى الهائل اللى اكتشف هذا الاكتشاف توفى من ٥٠٠ سنة «أى من قبل اخترا الميكروسكوب» !

وأما الجو فى «شتل» فحزين دايما يا حبة عينى . وحاطط إيده على خده ونازل مطر ! وأما إذا تعطفت الشمس وخرجت عن سفورها وطلت من شباك السحاب على عباد الله العيانين عند ذلك تهرع النساء قبل الرجال كاشفات عن أجسامهن «إلا ما بقى طبعا ما يسمونه مواضع العفة والشرف التى لم أعرفها للآن» . يخرجن آل إيه علشان ياخدوا «الفيتامين» اللى الطب الحديث أثبت وجوده فى الشمس والطماطم بس . ليه ما تفهمش !

غير أن هناك تسلية موسيقية عظيمة . .

توجد فى البلد حديقة كبيرة بها جميع عيون المياه «اللى فى طرفها حور» وعندما يكون الجو «جنان» تتكون فرق موسيقية، كل فرقة على بعد شبر من الأخرى. وكل فرقة مكونة من غادة هيفاء تضرب القمر ميت شبشب «لأنه لا يوجد هنا صرم». وثلاث ستات كراكيب وراجلين ثلاثة فوق الثمانين. وأربع عيال أحفادهم!

والجميع يتناقشون من نغمة السيكاة فى فوائدالميه الفلانية للمصارين. والفرقة الأخرى تتباحث من صوت واحد من نغمة الحجاز كار كورد فى تأثير الميه العلانية على الطحال. . أما أنا فأود أن أقذف بهم جميعا إلى جهنم. وأمسك قيثارتى وأغنى لهم من نغمة البياتى. كما فعل من قبل زميلى الفاضل نيرون.

أرجو لك أعصابا هادئة. . وحرا جميلا!

توقيع: عبد الوهاب.

***

أما أسمهان فهى حكاية أخرى!

ولقد كتب التابعى كثير من تفاصيل هذه الحكاية فى مذكراته وفى كتاب أصدره عنها. لكن هناك الكثير والكثير عن هذه العلاقة لم ينشر حتى اليوم!

كانت أسمهان ـ وأسمها الحقيقى آمال الأطرش ـ عندما تسافر من القاهرة تبعث برسائلها إلى التابعى على الاسم الذى اختاره لنفسه من أجلهما وهو «حضرة المحترم حسين بك وهبة ـ وزارة المالية ـ».

ورسائل أسمهان إلى التابعى حزينة كقصة حياتها تماما!

فقد أرسلت إليه مثلا هذه الرسالة التى تقول:

بيروت فى ٤ ديسمبر ١٩٤١.

حبيبى وحياتى محمد. .

كيف أبدأ خطابى. إن يدى تكتب وقلمى يتمزق إننى الآن أراك أمامى. وكم كنت أتمنى أن أجدك وتجيبنى بدلا من الكتابة التى أصبحت هى سلاحى الوحيد.

تركتني وحيدة لا أمل لي في هذه الحياة . .

إنني الآن أتطلع أمامي فلا أجد سوى أعداء . ولا شيء يهمهم سوى تكسير أعصابي وقلبي وسلب نقودي بأفظع الطرق . . في هذه الحياة!

والآن دعني أحدثك عن الذي حصل بعد سفرك - من القدس - ودعت جمال وكنت قد أوصيته أن يفيقني قبل سفره . وبعد ذلك جمعت كل قواي وقمت لكي أذهب إلى شفيقة - إحدى صديقات أسمهان وكان زوجها قد توفي - وإذا بهلال يعطيني تلغرافا . وكم كنت سعيدة حين علمت أنه منك . يا إلهي كم كنت رحيما بإرسالك لي مثل هذه العبارات التي أنستني الكثير من آلامي . وصممت بعدها على الذهاب ووصلت إلى شفيقة . وإذ بي أفاجأ بالمنزل هادئا فارتحت قليلا وسألت عنها . فقالوا لي إنها في غرفة النوم . وأدخلوني عندها . ولا تتصور ماذا فعلت هذه المسكينة حين رفعت رأسها الذي لم أتمكن من معرفته في بادئ الأمر . بين ذلك السواد الذي يحيط بها . وذلك الوجه الشاحب اللون .

ضمتني إلى صدرها . .

وهتفت : أين زوجي فخري . . هل جئتني لكي نراه؟

فصحت بها : كفي والله معك .

ومضينا نبكي مدة طويلة دون أن يخاطب أحدنا الآخر . وأخيرا رفعت رأسها . وكأنها كانت في رحلة طويلة وسألتني : أين محمد الآن . . وهل قابلتيه؟

فتركتني المسكينة وكأنها فهمت ما أريد أن أقول .

ولا أطيل عليك الحديث . .

تغدينا وتحدثنا كثيرا بعد الغداء . .

ثم قالت لي : والآن . . هل لك أن تزوري فخري معي؟

فقلت : بكل تأكيد . .

انطلقنا أنا وهي إلى المقابر . . وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر وكان الطقس شديد الغيوم والمطر . فأصابتني رعشة فظيعة . وأنا لأول مرة في حياتي أزور المقابر .

وخصوصا فى ذلك اليوم. وحين دخلنا من الباب الكبير لم أستطع منع نفسى وأعصابى من الصريخ!

كانت المقابر موحشة . .

وبها فضاء مخيف وحين وصلنا قبر المرحوم، صاحت شفيقة: قم. . قم يا فخرى وشوف مين جاى يزورك؟!

يالها من عبارات وياله من موقف بغيض. لقد فضلت الموت فى تلك اللحظة خير لى من أن أرى بعينى هذه الحياة المليئة بالعذاب. وأخيرا بعد ساعة تقريبا.

قالت: كفى. . ودعينا نذهب.

فقمنا وأنا لا أستطيع رؤية الطريق لشدة الألم الذى أصابنى فى عينى. . ونصحتنى أن أهيم معها فى القدس. وأن أبعث تلغرافا إلى نجلا لكى ترسل لى بقية حاجاتى والأوتوموبيل لكى أخلص من هذا الجو الذى أعيش به الآن. وقالت إنها تفضل أن أخلص وأنا فى القدس خوفا من أن أتغرب ويمنعونى من العودة. فراقت لى هذه الفكرة.

وقلت لها: هذا جميل وسأفكر فى ذلك.

وتركتها حوالى الساعة الثانية ورجعت إلى الأوتيل ودخلت الصالون وإذا به ملىء بالزهور ومنسق تنسيقا جميلا. وتطلعت فوجدت نفسى وحيدة فارتميت على أول مقعد ورحت فى شبه غيبوبة. ولم أفق إلا على صوت جيرانى الفرنسيين. الذين تعجبوا حين رأونى فى هذه الوحدة والطرحة السوداء التى كانت على رأسى.

فصاحت واحدة منهم: يا إلهى. . ماذا حصل؟

قلت لهم: لا شىء. . سوى أننى كنت عند صديقة لى أعزيها فى زوجها الراحل.

فأخذوا يضحكون ويقولون: حسبنا عزيزا عليك قد. .

وسكتوا حين منعتهم وقلت لهم: أرجو أن تتركونى وشأنى فأنا متعبة جدا!

وقمت فى الصباح على جرس التليفون. .

وإذا بها شفيقة تقول لى: لماذا تأخرت؟

فذهبت إليها فى الحال وكانت أحسن حالا فى هذا اليوم.

وسألتنى: ماذا قررت؟

فقلت لها: فكرت كثيرا ووجدت من المستحيل أن تكون نجلا حرة فى المنزل بحيث ترسل لى كل حاجاتى.. لأن والدتى هناك وذلك من الصعب جدا. ولذلك فكرت أن أذهب باكر وأفعل ذلك بنفسى والله المعين.

فوافقتنى على ذلك..

لكنها قالت: آمل ألا تغيرى رأيك. لكنى وعدتها وتركتها وعدت وكانت عينى فى أسوأ حال وقضيت الليل أعالجها. ثم تركت القدس فى الثالثة صباحا. وكانت رحلتنا صعبة جدا لشدة المطر الذى لازمنا طوال الطريق. ووصلنا بيروت السابعة مساء. ووجدت الجو هنا مكهربا جدا. ووالدتى فقط فى المنزل ونجلا طبعا. ولو تعلم ماذا أخبرنى الجيران والخدم على الذى حصل فى غيابى.

فقلت: الله معى.. وسأفوز إن شاء الله..

هذا كل شىء جرى إلى الآن.. وسأكتب لك قريبا.. لقد أرسلت لك تلغرافا نهار الأربعاء صباحا. وإلى الآن لم يصلنى منك ولا كلمة واحدة. لعل المانع خيرا.

وختاما..

أقول صادقة إننى دائمًا لك.. ولك إلى الأبد.

اكتب لى مطولا.. وإلى اللقاء.

التوقيع: أ-أ

***

هذه لم تكن فقط مجرد خطابات من نجوم الفن إلى أحد نجوم الصحافة.

إنها من وجهة نظرى قطعة من تاريخ مصر الفنى والصحفى. وبعض من الضوء على شخصيات مرموقة طالما سمعنا عنها وأعجبنا بها.

ناصر.. بقلم الدكتورة هدى عبد الناصر!

كثير جدا ذلك الذى قيل عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

معظم الذين عرفوه وعاصروه كتبوا عنه . وحتى الذين لم يعيشوا عهده ولم يقتربوا منه كتبوا عنه .

وفى كل عام ومع ذكرى ميلاد جمال عبد الناصر يتجدد الكلام عنه . وسيظل جمال عبد الناصر مادة مثيرة تجذب اهتمام الأجيال .

لكننى اخترت من إحدى هذه المناسبات أن أقدم لقراء «آخر ساعة» صورة لجمال عبد الناصر من شخصية من أقرب الشخصيات إليه ، وهى كريمته الدكتورة هدى عبد الناصر التى رحبت بأن ترسل لى بعض الصور النادرة لجمال عبد الناصر وهو يلاعب ابنه عبد الحكيم عشرة طاولة ، بينما تراقبهما حرمه السيدة الفاضلة تحية عبد الناصر .

وآثرت الدكتورة هدى عبد الناصر أن تخصنى مع هذه الصور الفوتوغرافية النادرة بمقدمة كتابها «ناصر» والتى قالت فيها :

بعد مضى ثمانية وعشرين عاما على رحيل جمال عبد الناصر يثور تساؤل حول ما أصبحت تمثله شخصيته لشعوب مصر والوطن العربى والعالم الثالث . .

إن المبادئ التى دافع من أجلها عبد الناصر مازالت حية ، وكذلك فإن الصراعات التى فرضت عليه خلال المعركة من أجل تحقيق هذه المبادئ مازالت مستمرة . .

ولقد دافع عبد الناصر طوال حياته ولآخر لحظة عن الحرية ، حرية الإنسان من الاستغلال الاجتماعى والاقتصادى ، وحرية الوطن من الاستعمار والسيطرة الأجنبية .

وكان تحقيق هذه المبادئ يستدعى التغيير - بل الثورة - فى الداخل وتحدى قوى الهيمنة الأجنبية فى الخارج . .

لقد قاد عبد الناصر ثورة داخلية من أجل تغيير المجتمع المصرى الذى كان يطلق عليه مجتمع النصف فى المائة . فبعد أن قضت الثورة التى قادها فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على النظام الملكى انطلق من أجل تحديث المجتمع المصرى وتحقيق العدالة الاجتماعية بين أبنائه وتوسيع المشاركة الشعبية فى الحياة الاقتصادية والسياسية. ودخل عبد الناصر من أجل ذلك فى معارك داخلية مع الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم والسيطرة الأجنبية على الاقتصاد القومى . .

لقد كانت البداية هى تحديد الملكية الزراعية وتوزيع الأراضى على الفلاحين والمعدمين ووضع خطة للتنمية الاقتصادية والتصنيع لتحديث الاقتصاد المصرى وفتح فرص العمل أمام المصريين . وأعقب عقد اتفاقية الجلاء عن مصر فى ١٨ يونية ١٩٥٤ بدء وضع مشروع السد العالى على النيل موضع التنفيذ ، من أجل توسيع بقعة الأراضى المزروعة وزيادة الطاقة الكهربائية للبلاد . وهنا دخل عبد الناصر فى صراع دولى مع القوى الكبرى أدى إلى العدوان الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بعد تأميم قناة السويس لتوفير التمويل اللازم لهذا المشروع العملاق . .

إن صراع عبد الناصر مع قوى السيطرة الدولية لم يكن سببه فقط مبادرته للخروج من التبعية الدولية اقتصاديا وسياسيا ، ولكن كان الدافع الأساسى له هو وقوف مصر بجانب حركات التحرر فى العالم العربى والعالم الثالث ، ونجاح مصر فى عهده كنموذج لدولة نامية تقوم بعملية التحديث الاقتصادى والسياسى وهى مستقلة الإرادة . .

لقد كانت قيادة عبد الناصر لحركة عدم الانحياز مع تيتو ونهرو - والتى بدأت فى مؤتمر باندونج فى أبريل ١٩٥٥ ، ثم استمرت فى الاتساع مع استقلال باقى الدول الأفريقية فى الستينيات وانضمام دول آسيوية ومن أمريكا اللاتينية - نقطة تحول فى تاريخ العالم الثالث فى عصر الحرب الباردة التى عظمت فى ظلها ضغوط السيرة الدولية من أجل الانحياز إلى أحد القطبين المتصارعين . .

ومن هنا فإنه وبالرغم من العدوان الإسرائيلى على مصر والدول العربية المجاورة لها فى ٥ يونية ١٩٦٧ ، الذى كان الهدف الأساسى منه - كما بات مؤكدا من الوثائق الدولية - هو القضاء على النموذج الناصرى فى التنمية المستقلة والوحدة القومية ، إلا

أن عبد الناصر ـ وخلفه الشعب العربى الذى خرج ليؤيده بالرغم من الهزيمة العسكرية ـ بدأ فى حشد جميع القوى لإزالة آثار العدوان وجمع الدول العربية كلها حول هذا الهدف بعد مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ ، وظل ثابتا على مبادئه فى مقاومة قوى السيطرة والهيمنة الدولية. .

لقد أعطى عبد الناصر النموذج لدولة نامية هى مصر التى استطاعت أن تحقق منجزات داخلية تنقلها إلى مصاف الدول الحديثة وتعمل على تطوير موقعها فى ثلاث دوائر ذكرها عبد الناصر فى بداية الثورة فى ١٩٥٣ فى كتابة «فلسفة الثورة» وهى الدائرة العربية والدائرة الأفريقية والدائرة الإسلامية . .

ومازالت حتى الآن دعاوى الوحدة العربية حية ومرتبطة بشخصية ناصر بعد أن كافح من أجل جلاء القوات الأجنبية عن جميع الدول العربية ، وإن اختلفت الرؤى حول أساليب تحقيق هذه الوحدة مستفيدة بالخطوات التنفيذية للتجارب العالمية للوحدة مثل الوحدة الأوروبية . .

وبالنسبة لأفريقيا فقد ساند عبد الناصر حركات التحرر الأفريقية ضد الاستعمار بجميع الوسائل الممكنة ، كما حارب التفرقة العنصرية بكل قوة ، ولعل مما أثر فى نفسى كثيرا أثناء زيارة نيلسون مانديلا لمصر فى العام الماضى بعد رئاسته لجنوب أفريقيا طلبه زيارة قبر عبد الناصر ووضعه إكليلا من الزهور عليه ، مؤكدا لى بتأثر شديد أنه لن ينسى جهوده فى مساندة «المؤتمر الوطنى الأفريقى» فى كفاحه ضد التفرقة العنصرية ، مشيرا إلى انطباعاته عند لقائه به فى عام ١٩٦٠ فى القاهرة . .

ومن جانب آخر ، وجه عبد الناصر اهتماما خاصا لتوثيق صلات التعاون مع الدول الإسلامية والمسلمين فى العالم كله ، وكان حريصا على التعبير عن الطبيعة التقدمية للإسلام مؤكدا على مبادئه فى تحقيق العدالة والحرية والسماحة ، ومازالت دعواه هذه تجد صدى كبيرا إلى الآن فى العالم الإسلامى فى مواجهة تيارات التعصب الدينى والردة الانعزالية . .

وفى واقع الأمر لقد تعدى تأثير عبد الناصر كمفجر لقوى التحديث ومقاومة الاستغلال والهيمنة كل هذه المجالات السابق ذكرها ، ولعل ما كتب عنه فى أمريكا اللاتينية يؤيد ذلك ، ولن أنسى كم تأثرت حين قابلت أستاذا فى العلوم السياسية من

المكسيك فى كلية «سانت أنتونى» فى جامعة «أكسفورد» فى أبريل ١٩٧٤ وشرح لى كيف تأثر أبناء أمريكا اللاتينية بعبد الناصر وأخبرنى أنه قرأ كل خطبه . .

إن النموذج الذى قدمه عبد الناصر مازال حيا، كما أن الصراع حول أهدافه ومنجزاته مازال مشتعلا، والدليل على ذلك أن المناقشات حول تجربته مازالت مستمرة طوال الفترة التى أعقبت رحيله وتحتل أجهزة الإعلام العربية ـ على وجه الخصوص ـ ما بين مؤيد ومعارض حتى أنه يخيل إلى أحيانًا أنه مازال موجودا بيننا . .

وما أحوج شعوب العالم العربى والعالم الثالث اليوم فى عصر هيمنة القطب الواحد إلى النموذج الذى قدمه عبد الناصر من أجل تحقيق الحرية واستقلال الإرادة الوطنية، وإن اختلفت الوسائل لتحقيق ذلك فى عالم متغير سقطت الحواجز بين دوله بسبب التقدم التكنولوجي وثورة الاتصال وبرزت فيه الدعوة إلى وحدة عالمية تحت سيطرة هذا القطب، مع ما يتضمنه ذلك من تهميش للدول النامية التى تحاول جاهدة أن تحتفظ بتميزها واستقلالها وكرامة شعبها . .

الفهرست

رقم الإيداع ١٨٧٨٠/٢٠٠٢
الترقيم الدولى 9 - 0879 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)